المقدمة

نطاق البحث وتحليل المصادر :

الحمد لله الذي بحمده تدوم النعم والصلاة والسلام على نور الكائنات وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (صلى الله علية وسلم) الصادق الامين وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

كانت فاجعة "التتار " وهمجية "المغول" من اعظم ما بلي به المسلمون ولعل الذين عاشوا محنتها كانوا يظنون فيها نهاية الاسلام والمسلمين وعلى الرغم من هذه المحنه وما سبقها من محن او تلاها فقد بقى الاسلام كالطود الشامخ تحطمت على صخرته الصماء مكائد الاعداء والماكرين فأبى الله الا ان ينصر دينه ويحق الحق فقد تجدد هذا الدين من جديد في الاجيال اللاحقة من ابناء المسلمين بل لقد دخل في الاسلام طائفة من هؤلاء المغول بعد ان كانوا من الرعاع المتوحشين .

لقد كانت رسالتي بعنوان "النظام الاداري والسياسي والعسكري للمغول (599هـ-658هـ) " حيث تناولت فيها قبائل المغول من هم هؤلاء الاقوام وابرز ما قيل فيهم ومدى صحة تلك الروايات من خلال المصادر العربية والاسلامية ومقارنتة بما كتبه عنهم المستشرقون فكان من اهداف الرسالة هو بحث في التساؤل القائل هل ان ما كتبه مؤرخونا عن هؤلاء الاقوام وعن قوتهم ووحشيتهم صحيح ام انها مجرد حجج واهية وشماعة يبررون ضعفهم وعجزهم ام هو غياب القيادة الحكيمة والمدركة لهذا الخطر والمستوعبة لابعاده ام هو التناحر والانقسام وتغليب المصالح ؟ ام هو التامر والخيانة وهل ان المغول حقاً لم يجابهوا بما تستحقه المنازلة. فلو افترضنا انهم كما قيل عنهم انهم شعوب لا تقهر فبما يفسرون فشلهم في معركة عين جالوت وهزيمة جيوشهم شر هزيمة على يد الملك قطز وقائدة بيبرس الذين حققوا الانتصار بتوكلهم على الله ثم الاخذ بالاسباب .

وقد حاولنا جاهدين ان نرسم الهيكل الاداري والسياسي للمغول من خلال المصادر العربية والاسلامية لنبين مدى دقة تلك المصادر في تدوين المعلومات ومدى حيادهم وهم يكتبون عن الد اعدائهم واكثرهم شراسة بعد ان اطاحوا بالخلافة رمز الاسلام والمسلمين وحصنهم المنيع ودمروا تراثهم وحضاراتهم الزاهره فقتلوا وشردوا عددا" لايحصى من علماء الامه الاعلام وعندما كانت تبرز لنا ثغرات في معلومات الهيكل الاداري والسياسي رأينا ان نسد تلك الثغرات من المصادر الحديثه للمؤرخين العرب او غيرهم مع المحافظه على روح البحث العلمي والهدف الذي رسمنا في كتابة الرساله .

وفي ضوء الاعتبارات الموضوعيه لطبيعة الدراسة تم تقسيم البحث الى اربعة فصول تناولت في الفصل الاول التتار وتسميتهم والفرق بينهم وبين المغول واصولهم ومكان وزمان ظهورهم وموطنهم الاصلي واشهر قبائلهم وابرز الديانات التي كانوا يعتنقونها بالاضافة الى صفاتهم ونبذة عن مأكلهم وملبسهم وابرز عاداتهم وتناولت في الفصل الثاني النظام الاداري لهم وابرز الوظائف في بلاطهم وحلقات الصيد والبريد

والقضاء وقانون الياسا وما يتضمنه من بنود مدنية وعسكرية ومدى تأثيره على المغول هذا بالاضافة الى دراسة مقارنة بينه وبين الشريعة الاسلامية وما هو موقف المؤرخين من هذه الياسا وتطرقت ايضا" للبيليك ماذا يعني وما يتضمن. بينما تناولت في الفصل الثالث النظام السياسي مستعرضا" ابرز المناصب السياسية والشخصيات المغولية على رأسها جنكيزخان مؤسس الامبراطورية المغولية واهم اعماله ثم استعرضت خلفاءه وابرز اعمالهم ومواقفهم من الاسلام والمسلمين .

اما في الفصل الرابع والاخير فقد تناولت فيه النظام العسكري ابتداءا" بالجيش وتموينه والاسلحة المستخدمة من ثم اختتام الفصل بأبرز حملاتهم – حروبهم القبائلية – الاستيلاء على الصين – القضاء على الدولة الخوارزمية والاستيلاء على جميع مدنها والقضاء على الاسماعيلية والخلافة العباسية ومن ثم التوقف عند معركة عين جالوت .

تحليل المصادر:

اقتضت الدراسة التعامل مع مصادر ومراجع متعددة ومتنوعه ومتفاوته في معلوماتها ومن اهم المصادر التي اعتمدنا عليها في اعداد هذا البحث .

الكتب التاريخية:

- كتاب الكامل في التاريخ لأبن الاثير (ت:630 هـ / 1232 م) الذي يعتبر معاصرا" لبداية حملاتهم على المدن الاسلامية ولأنه كان يسكن في مدينة الموصل فقد سمع عما ارتكبه المغول من تخريب وتدمير المدن حيث اسهب في وصف واقعة المغول على الديار الاسلامية هذا وانه لم يشهد واقعة بغداد فقد توقفت رواياته في سنة 628 هـ أي قبل وفاته بسنتين الا ان المعلومات التي تركها لنا عن بداية المغول كانت قيمه وغنيه بمادتها العلمية وقد استفدت منه في فصلي الرسالة الاول والرابع .
- كتاب تاريخ مختصر الدول لأبن العبري (ت:684 هـ /1285 م)هو الآخر عاصر الغزو المغولي للبلاد الاسلامية لذلك نجده يذكر ما قام به المغول من مجازر ودمار في المناطق التي اجتاحوها الا انه عندما يذكر واقعة بغداد لايعطي تفاصيل كافيه كأنه حدث غير مهم مركزا" على دور الخليفة في سقوط الخلافة في حين لا يذكر دور ابن العلقمي بتاتا" في الوقت الذي تناوله اغلب المؤرخين مما جعل روايته يشوبها بعض الشك والارتياب من تحيزه هذا خصوصا" اذا علمنا انه قلل جدا" من اهمية الانتصار الذي حققه المسلمون في معركة ((عين جالوت)) ولكتاب ابن العبري أهمية خاصة في تاريخ المغول فهو يمثل وجهة نظر المسيحية نحو المغول وتعاطفهم معهم.
- كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله الهمذاني (ت:718 هـ/1318 م) الذي يعتبر مؤرخ المغول الثاني بعد الجويني وكتاب جامع التواريخ طابق اسمه مسماه لانه لم يقف عند بيان دولة المغول وانما تجاوز ذلك الى التواريخ الاسلامية المعاصره وكتبه باللغتين العربية والفارسية واحتوى على المنهاج الذي سارت عليه الدولة

المغولية في ادارتها لأمبراطوريتها الا ان مما يؤسف عليه انني لم احصل على الجزء الخاص بمؤسس الامبراطورية المغولية جنكيزخان وبالتالي فقد اثر ذلك على البحث لأنه كان يعتبر المصدر الوحيد الذي تناول تاريخهم بتفصيل وبالرغم من ان التحيز والميول اتجاه المغول تبدو واضحة في اسطر كتاباته لانه كان من مشاهير وزرائهم فمن الطبيعي ان يطري عليهم ويتغاضى عما ارتكبوه اتجاه البلاد الاسلامية لذلك فقد تعرض للكثير من الانتقادات والتهم من قبل المؤرخين حيث قالوا ان اصله يهودي فكتاباته لا تخلوا من الدس ولم يكن له فضل في انجازه الكبير للكتاب لأنه استعان بعلماء وارباب الثقافات بصفته وزير ومع هذا كله فلا احد ينكر قيمته العلمية الكبيرة والفائده التي يحصل عليها الباحث من هذا الكتاب لأنه يحوي على امور دقيقه وتفصيليه لكل موضوع قلما نجدها في المصادر الاخرى فقد رفدني بمعلومات كبيرة للبحث خصوصا" فصلي الرسالة الثالث والرابع .

- كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة المنسوب لأبن الفوطي (ت:723 هـ / 1323 م) وهو ايضا" عاصر المغول اذ كان من الذين وقعوا في اسرهم اثناء واقعة بغداد سنة 656 هـ /1258 م الا انه اطلق سراحه بعد سنة وعاد الى بغداد وبدأ يدون ما رأى وما سمع من اخبار مختلفة والتي من ضمنها اخبار غزوات المغول على البلاد الاسلامية وقد استفدنا منه فائدة كبيرة وخاصة في الفصل الرابع . هذا بالاضافة الى العديد من المصادر الاخرى ابرزها مؤلفات الذهبي (ت:748 هـ / 1348 م) وكتاب عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي (ت:764هـ/1363م) وكتاب البداية والنهاية لابن كثير (ت:774هـ/1373م) وكتاب العبر لابن خلدون (ت:808هـ/1405م) وكتاب الخطط للمقريزي (ت:845هـ/1441م) وكتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردى (ت:874هـ/1469م) وتاريخ الخلفاء للسيوطي (ت:911هـ/1505م).

وقد اعتمدت على بعض الكتب التاريخية المدونة باللغة الفارسية التي كان لها الدور الكبير في رفد هذه الرسالة بمعلومات قيمة ابرزها كتاب جهانكشاي لعلاء الدين عطا ملك الجويني (ت:681هـ/1282م) الذي يعد من أهم مصادر هذه الرسالة وذلك لأن الجويني يعتبر مؤرخ المغول الاول فقد استفاد من كونه كان يعمل كاتب لاحد امراء المغول فسافر معه الى قراقورم عاصمة المغول فاحتك بهم عن قرب. وكلمة جُهانكشاي تعني فاتح العالم ويراد به جنكيزخان حيث يعد من اقدم ما كتب عن المغول ولم يسبقه الا بعض التواريخ والجويني اتصل بالمغول اتصالاً وثيقاً ومباشراً فشاهد العارفين باحوالهم وتوصل الى ما لم يتوصل اليه غيره وكان شاهد عيان لما كتبه الا ان مما يؤسف عليه انه توقف في كتابة تاريخ المغول عند حدود سنة (654هـ/1256م) حيث رافق هولاكو في حملاته العسكرية حيث تولى مسؤولية الحكم في بغداد لاكثر من عشرين سنة بعد سقوط الخلافة ورغم اهمية هذا المصدر الا ان هو الاخر لا يخلو من

ميول نحو المغول وهذا يتجلى واضحاً من تناوله اعمالهم وشخصياتهم وقد استفدنا منه فائدة كبيرة في فصول البحث كافة.

هذا بالاضافة الى ان هناك مصادر فارسية اخرى اقل اهمية مما سبق منها كتاب روضة الصفا لميرخواند(ت:903هـ/1398م) الذي اتخذ من كتاب جامع التواريخ اساساً له ولكنه هذب ونقح وحذف الفاظ المدح الزائد والثناء الكثير ومن الكتب الفارسية ايضاً كتاب حبيب السير لخواندمير(ت:942هـ/1535م) وهو ابن ميرخواند وقيل حفيده.

الكتب الادبية:

ويأتي في مقدمتها كتاب صبح الاعشى في صناعة الانشا للقلقشندي (ت:821هـ/1418م) كانت له اهمية كبيرة في رفد هذه الرسالة بالمعلومات المفيدة في اغلب فصولها.

كتب الجغرافية والبلدان

كان لكتب الجغرافية والبلدان اهمية كبيرة في دراستي فلقد اعتمدنا عليها في تحديد وتعين مواقع المدن والقصبات والاقاليم كما امدتنا ببعض المعلومات التاريخية ويأتي في طليعتها كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت:626هـ/1229م) وكتاب اثار البلاد واخبار العباد للقزويني (ت:682هـ/1283م) وكتاب تقويم البلدان لابو الفدا (ت:732هـ/1331م).

المراجع الحديثة

كان للمراجع الحديثة دور كبير في اغناء البحث بافكار جديدة واستنتاجات مهمة ولقد اطلعت على عدد كبير منها ولقد افدت بشكل واسع ومهم من كتابات المستشرقين ويأتي في مقدمتهم المستشرق الروسي فاسلي فلاديميروفتش بارتولد الذي يعد الرائد المتخصص في هذا المجال من خلال مؤلفه المشهور تركستان ومحاضراته عن تاريخ الترك باسيا هذا بالاضافة الى العديد من مقالاته التي كتبها في دائرة المعارف الاسلامية وتأتي اهمية دراساته بان كان عارفاً باللغات الاسيوية واطلع على المخطوطات التي تعد المصادر الاولية للمغول ومما لايخفى على احد ان بارتولد لم يكن موضوعياً في كل ما كتب فقد عرف بتعاطفه مع المغول وتبريراته لاكثر الاعمال الشنيعة التي ارتكبوها الا ان هذا لا يلغي ريادته في هذا المجال وقد استفدت منه كثيراً وخاصة فيما يتعلق بغزوهم للبلاد الاسلامية ومن كتب المستشرقين ايضاً كتاب جنكيز خان وكتاب شعلة الاسلام لهارولد لامب وكتاب الدعوة الى الاسلام لارنولد هذا بالاضافة الى المراجع الفارسية مثل كتاب ((تاريخ مفصل ايران)) لعباس اقبال اما المراجع العربية فقد كان لها حصة كبيرة في الرسالة كان من ابرزها كتاب العراق بين

احتلالين للعزاوي وكتاب ((المغول)) للعريني وكتاب ((الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية)) للقزاز واخيراً كتاب((المغول في التاريخ)) للصياد.

اما عن ابرز الاطاريح التي افادت البحث بشكل كبير من خلال اعطائي معلومات قيمة ودقيقة عن المغول وارشدتني ايضاًَ الى المصادر والمراجع كان من ابرزها اطروحة الدكتور عجمي محمود خطاب الجنابي الموسومة ((المقاومة العربية للغزو المغولي حتى عين جالوت)) واطروحة ((الايلخان هولاكو ودوره في نشاة وقيام الدولة الايلخانية)) لعبد الرحمن فرطوس حيدر وكذلك اطروحة ((دراسات المستشرق ف.ف.بارتولد عن المشرق الاسلامي)) لعباس عبد الستار عبد القادر الزهاوي.

الفصل الاول \ التتر والمغول

تسمية التتر

تختلف كلمة التتر بالمعنى العام باختلاف العصور وتكتب تاتار وتتار[1] وجاءت بعدة معاني منها ان كلمة تتري معناها الفلاح [2] وقيل تتار تعني سعاة البريد[3] والتتار عند الصينيين هم الغرباء والشعوب البعيدة والجماعات غير المتمدنة واللصوص[4] وقد سمى ابن الاثير اسلاف جنكيزخان بأسم التتر[5] وهم التتر الاوائل وكانوا يعرفون عند قدماء اليونان بأسم (سيتيا او سكوتيا) [6]

تسمية المغول

لم يظهر اسم المغول على صفحات التاريخ حتى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[7] فقد برزت كلمة (المغول) لاول مرة في زمن جنكيزخان لتكون علما لامبراطورية وبدا السلالة ثم الت استعمالاً لتكون اسم لقوم[8].

ان معنى اسم المغول قد يكون مشتقا من اللفظة (مونك mong) الصينية بمعنى (الباسل الشجاع)[1] ان لفظة المغول تعتبرمن الاخطاء الشائعة المشهورة فالتسمية

---

(1) هوتسما واخرون، تتر، دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة احمد الشناوي واخرون، مج4، ص579.

(2) الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت:748هـ) سير اعلام النبلاء، تح د.بشار عواد معروف و د.محي هلال السرحان، ط4 (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت - 1986) جـ22، ص227.

(3) العمري، ياسين بن خير الله، زبدة الاثار الجلية في الحوادث الارضية، تح عماد عبد السلام رؤوف (مطبعة الاداب – النجف الاشرف –1974) ص169.

(4) الساداتي، احمد محمود، تاريخ الدول الاسلامية باسيا وحضارتها(مكتبة نهضة الشرق- القاهرة-1987) ص58.

(5) ابن الاثير، عزالدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت:630هـ) الكامل في التاريخ (دار الفكر- بيروت- 1398هـ / 1978م) جـ9، ص295؛ ارنولد، سيرتوماس ، الدعوة الى الاسلام، ترجمة حسن ابراهيم حسن واخرون ط3 (مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر – القاهرة –1970) ص248.

(6) الخضري، الشيخ محمد، تاريخ الامم الاسلامية ، (المكتبة التجارية الكبرى- مصر- 1970) ص467.

(7) حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي ، (ط1- مطبعة السنة المحمدية – القاهرة 1967) جـ4، ص130.

(8) لين بول، ستانلي، الدول الاسلامية، ترجمة محمد صبحي فرزات (مطبعة الملاح – دمشق – 1394هـ/ 1974م) جـ2، ص497.

الصحيحة الواجبة هي(منغول لا مغول) [2] لأنهم من سكان منغوليا[3] ويقال لهم عند الغربيين مونغول ويلفظهم العرب (مغول ومغل)[4] والمغل قبيله مشهورة كانت تقطن

أواسط آسيا حيث وردت هذه الكلمه في كتب العديد من المؤرخين[5].

الفرق بين تسميتي تتار ومغول

لقد عرفهم مؤرخونا العرب منهم على وجه الخصوص الذين عاصروا احداث ظهور التتار وغزواتهم للعالم الاسلامي باسم ((تتر وتاتار))[6] وقد نهج منهجهم من جاء بعدهم من المؤرخين فمنهم من استخدم الكلمة الاولى أي (تتر)[7] وقسم استخدم كلمة (تتار)[8] بل وحتى الاغلبية من مؤرخي المغول في عصرنا الحاضر حذا حذوهم

---

(1) العريني، السيد الباز، المغول ، (دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – 1967) ص39؛ الدهوكي، فرست مرعي، جهاد الايوبيين والمماليك ضد الصليبيين والمغول، ط2 (المنتدى الجامعي للطباعة والنشر والتوزيع– صنعاء– 1424هـ/ 2003م) ص168.

(2) الساداتي، احمد محمود، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (المطبعة النموذجية - القاهرة - 1378 هـ / 1959 م) جـ 2، ص 331

(3) بارتولد، فاسلي فلاد مير وفتش، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة احمد السعيد السلمان (مطبعة الانجلو - القاهرة - 1958) ص 54 - 55

(4) العزّاوي، عباس، العراق بين احتلالين (مطبعة بغداد - 1935) جـ 1، ص 58

(5) ابن العبري، غريغور يوس ابوالفرج بن هارون الملطي (ت: 685 هـ) تاريخ مختصر الدول، ط 3 (دار الرائد اللبناني- بيروت- 1403 هـ/ 1983م) ص 482؛ ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت: 709 هـ) الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، (دار صادر- بيروت- 1403هـ/ 1983) ص19؛ ابن الفوطي، كمال الدين ابوالفضل عبدالرزاق البغدادي (ت: 723 هـ) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تح مصطفى جواد، (مطبعة الفرات - بغداد - 1351 هـ / 1931م) ص27.

(6) ابن الاثير،الكامل، جـ9، ص395؛ النسوي،محمد بن احمد(ت:647هـ) سيرة جلال الدين منكبرتي، تح حافظ احمد حمدي،(دار الفكر العربي مطبعة الاعتماد–مصر–1953)، ص38.

(7) ابن كثير،عمادالدين اسماعيل عمر القريشي(ت:774 هـ/ 1372م)، البداية والنهاية(دار الفكر- بيروت)، جـ 13، ص94؛ القلقشندي، ابوالعباس احمد بن علي(ت:821)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، تح محمد حسين شمس الدين (دار الكتب العلمية- بيروت - 1407 هـ / 1987) جـ 4، ص 315.

(8) ابن شاكر الكتبي، ابوعبدالله محمد(ت:764هـ/1362م)، عيون التواريخ، تح فيصل السامر ونبيلة عبدالمنعم (دار الحريّة للطباعة والنشر-1400هـ/1980م) جـ 20، ص36؛ المقريزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي (ت:845هـ/1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح محمد مصطفى زيادة ط 2 (-مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- 1956) جـ1، ق 1، ص214؛ ابن تغري بردى، جمال الدين ابي المحاسن يوسف (ت: 874) النجوم الزاهرة في

في استخدام هذه التسمية الخاطئة وهذا لم يقتصر على المؤرخين المسلمين العرب ولم يتلافى هذا الخطأ الا المستشرقون فقد عرفوا الفرق بين التتر والمغول من خلال كتاب (جامع التواريخ) لرشيدالدين. فالتتر قبيلة مستقلة عن المغول فالمغول اسم يطلق على الشعوب التي خضعت لجنكيزخان بعد قهرها[1] ومن هنا كان لفظا المغول والتتار اسمين لقبيلتين كانتا تعيشان في الشطر الشرقي من اسيا الوسطى من الشمال الغربي من الصين.[2] ان مؤرخوا الترك ونسّابوهم يقولون ان ((النجة خان)) وهو احد ملوك الترك في الازمنة القديمة ولد له ولدان توأمان هما ((تتارخان)) و((مغل خان))[3] كما هو الحال في ربيعه ومضر عند العرب[4] وقد استمر اولادهما على صفاء ومودة[5].

الى ان وقع النزاع بينهما في عهد ((ايلخان)) ملك المغل و((سنج خان)) ملك التتر وادى هذا النزاع الى حروب انتهت بانتصار التتار وقتل ايلخان ملك المغل وصارت السيادة من ذلك الوقت للتتر فاستعبدوا المغل مدة طويلة الى ان جمع المغل جموعهم واتحدوا فقاموا بحرب التتر وكسر شوكتهم واستردوا ماضاع من حريتهم فعادت السيادة من ذلك الوقت الى المغل وصار الملك متوارثاً فيهم الى زمن (يسوكي بهادر) والد جنكيزخان وبالتالي يمكن القول ان المغول خضعوا لسيطرة جنكيزخان واعترفوا بسلطانه ومن هنا برز اسم المغول حتى اصبح مرادفاً لكلمة تتار واصبح اكثر التتر ينسبون انفسهم للمغول مما يجعل من الممكن ان نتحدث عن المغول والتتر دون خلاف[6].

فقد اندمجت الفئتان في امبراطورية واحدة بعد انتصارات حققها جنكيزخان اذ اجمعت على انتخابه امبراطوراً عليها.[7] بناءاً على هذا نجد ان المغول شيء والتتر شيء اخر فالتتر هم المغول ولكن ليس المغول تتراً فانهم شعبه متفرعة من المغول وليس المغول فرع من التتر فالاصل هنا مغول.[8]

ملوك مصر والقاهرة، مطابع غوستاتوماس- القاهرة)، جـ6، ص 248؛ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت: 911 هـ) تاريخ الخلفاء، تح محمد ابوالفضل ابراهيم، محمد محي الدين عبدالحميد (دار الفكر العربي - القاهرة) ص 539.

(1) ارنولد، الدعوه الى الاسلام، ص 249؛ العريني، المغول، ص 34.

(2) القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية (مطبعة القضاء - النجف الاشرف- 1390هـ/ 1970م) ص 7 - 8 .

(3) الخضري، تاريخ الامم الاسلامية، ص 467.

(4) حسن، تاريخ الاسلام، جـ 4، ص 131.

(5) العزّاوي، العراق بين احتلالين، جـ 1، ص 55.

(6) شلبي، احمد، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ط 2-(مكتبة النهضة المصرية - 1982) جـ 7، ص 556 .

(7) عاشور، فايد حماد، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكة، قدمه وراجعه د. جوزيف نسيم ط 1-(دار المعارف - مصر - 1975) ص 31.

(8) الغامدي، سعد بن محمد بن حذيفة مسفر، سقوط الدولة العباسية ط2-(1453هـ/1983م)، ص53.

على أية حال هناك قرابة بين المغول والتتر الذين اندمج بعضهم في بعض على مر العصور حتى انه يبدو عدم استطاعت المؤرخين الجغرافيين وغير الجغرافيين التمييز بين هذين الشعبين[1].

اصولهم

ميّز المؤرخون بين الترك والمغول واعتبروا المغول شعباً من الاجناس التركية[2] وقد اتفق اهل التاريخ ان الترك اكثر اجناس العالم وهم امم لايحصيهم الا خالقهم[3] والتتار هم من اكثر الترك عدداً[4] وان الترك كلهم من ولد كومر بن يافث بن نوح عليه السلام[5] ومساكنهم كانت جبال طمغاج* من بلاد الصين بينهما وبين بلاد الاسلام وما يزيد عن ستة اشهر. [6]

موطنهم

يمكن اعتبار هضبة منغوليا بقسميها الجبلي والصحراوي الموطن الرئيسي لهذه القبائل[7] والتي كانت تستقر في الشتاء في سهولها ومناطقها الدافئة حيث تتوفر المراعي لحيواناتهم وفي الصيف يستقرون في المرتفعات واعالي الجبال لمدة شهرين

---

(1) حسن، تاريخ الاسلام، جـ 4، ص130.

(2) القزويني، ابوعبدالله زكريا محمد بن محمود (ت:682 هـ/ 1283م) اثار البلاد واخبار العباد، (دار صادر- بيروت-1380هـ/1960م)، ص 581؛ الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تح د. عمر عبدالسلام تدمري ط 2(دار الكتاب العربي- بيروت- 1999) ص39؛ الغياثي، عبدالله بن فتح الله البغدادي، كان حياً حتى سنة (891هـ) التاريخ الغياثي، تح طارق نافع الحمداني، (مطبعة اسعد - بغداد- 1979) ص 41.

(3) القرماني، ابوالعباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي (ت: 1019هـ) اخبار الدول وآثار الاول في التاريخ (عالم الكتب- بيروت) ، ص283.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، جـ 9، ص330؛ العودة، د. سليمان بن حمد، كيف دخل التتار بلاد المسلمين ط 3-(دار طيبة للنشر والتوزيع-الرياض-1422هـ-2001 م) ص14

(5) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت : 808 هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ط 4 - (دار الكتب العلمية - مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت - لبنان) جـ 5، ص5.

*طمغاج: مدينة مشهورة من بلاد الترك عندهم معدن الذهب والفضة، القزويني، آثار البلاد واخبار العباد، ص411؛ ابوالفدا، عماد الدين اسماعيل (ت: 732هـ/ 1332م) تقويم البلدان (دار الطباعة السلطانية - باريس - 1850)، ص 504.

(6) ابن الاثير الكامل، جـ 9، ص 331؛ دحلان، السيد احمد زيني، الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، (مطبعة مصطفى محمد- القاهرة) جـ 2، ص 24

(7) بارتولد، جنكيزخان، دائرة المعارف الاسلامية، مج7، ص127.

او ثلاثة حيث تكون المنطقة باردة وتتوفر فيها المياه والمراعي[1] وتوجد هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي* [2] ويمكن تقسيم منغوليا الى قسمين: قسم شمالي مرتفع به جبال كثيرة توجد بينهما هضاب ووديان وقسم جنوبي شرقي منخفض يشمل صحراء جوبي او شامو التي ليست الا سهلا متسعا مسطحا او متموجا، بالاضافة الى ذلك يوجد بمنغوليا القليل من البحيرات كما تتفجر بعض الينابيع[3].

اما عن مناخ هذه المنطقة فيكفي ان نعلم انه يمتاز بشتاء طويل قاسي البرودة تهطل فيه الامطار وتنخفض درجة الحرارة الى ابعد حد اذ تصل في بعض الجهات الى 58 درجة تحت الصفر فتتجمد المياه ويرى الجليد حتى على اواني الشرب فا ذا حل الصيف القصير اشتدت الحرارة فتصل أحياناً 60 درجة [4] ان قسوة المناخ لا تقف عند هذا الحد بل هنالك ايضاً الرياح الشديدة التي تهب معظم ايام السنة فتحمل الحصى وترسله الى مسافات بعيدة وتكون بذلك مواجهتها مستحيلة [5] واحيانا تتحول الى اعاصير عاتية مدمرة [6] يصعب معها بقاء الرجل على سرجه ثم ان هذا المناخ لا يثبت على حال واحدة حتى لو كان الوقت صيفاً[7] وقد اثر هذا المناخ دون شك على عادات واخلاق وطبائع المغول[8].

ظهورهم

---

(1) القزاز، الحياة السياسية في عهد السيطرة المغولية، ص4؛ الخالدي، اسماعيل عبدالعزيز، العالم الاسلامي والغزو المغولي ، اشراف د.احمد محمد العمال و عبد الستار فتح الله، (مطابع دار القبس– الكويت– 1404هـ/1984م) ، ص19.

*صحراء جوبي: او غوبي لفظ مغولي معناه الصحراء المجدبة الخاوية ، فامبري، ارمينوس، تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة احمد محمود الساداتي و يحيى الخشاب، ط2، (دار الكتب– مصر- 1987) ، ص161.

(2) الجميلي، رشيد عبد الله، تاريخ الدولة العربية الاسلامية (العصور العباسية المتأخرة)، ط1، (مطبعة التعليم العالي– بغداد– 1989)، ص143؛ الفقي، عصام عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة في اواخر العصر العباسي ، (دار الفكر العربي، مؤسسة الكتاب الحديث– الكويت)ص194.

(3) الصياد، فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ،(دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت-1980)جـ1، ص31.

(4) الجويني، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد (ت:681)، تاريخ جـها نكشاي تح، محمدبن عبد الوهاب القزويني (ليدن-طهران–1337هـ)جـ1، ص12؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص31؛ النبراوي، فتحية، العلاقات السياسية الاسلامية وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى، ط1(دار التضامن للطباعة –القاهرة –1982) ، ص267

(5) الصياد ، المغول في التاريخ ، جـ1، ص30-31.

(6)النبراوي ، فتحية ومحمد نصير مهنا ، قضايا العالم الاسلامي ومشكلاته السياسية بين الماضي والحاضر ، (مطبعة اطلس – القاهرة –1983)ص71-72 .

(7) الصياد ، المغول في التاريخ ، جـ1، ص31 .

(8) النبراوي ، العلاقات السياسية الاسلامية ، ص267 .

تختلف المصادر في تحديد تاريخ دقيق لبداية ظهور المغول (التتر) قسم من المؤرخين يقرن ظهورهم بتاسيس دولتهم فنلاحظ ان ابن الاثير لم يذكرهم الا في احداث سنة(604هـ/1207م) فقد تحدث عن التتر الاولى وملكهم (كشلي خان) وان هؤلاء خرجوا من بلادهم حدود الصين قديماً ونزلو وراء بلاد تركستان*[1]. ومنهم من ذكر اول خروج لهم من بلادهم كان في سنة 606هـ/1209م[2].

والبعض الاخر يذكر ظهورهم سنة 613 هـ/1216م[3] وقسم من المؤرخين يجعل خروجهم للغزو هو مبدأ ظهورهم أي في سنة 615هـ/1218م[4] وقيل ايضاً ان مبدأ ظهورهم هي سنة 616هـ/1219م[5] الا انه يمكن اعتبار سنة 617هـ/1220م هي سنة ظهورهم وذلك باتفاق اغلب المؤرخين على اعتبار غزواتهم اتجاه المدن الاسلامية بدأت في هذه السنة[6] هكذا لاحظنا اختلاف الروايات واختلاف اعتماد سنة ظهورهم بالنسبة للعالم الاسلامي من مؤرخ لأخر وهذا بدوره اثر على روايات المؤرخين المحدثين الذين اعتبروا ظهور جنكيزخان

---

*تركستان:وهو اسم جامع لجميع بلاد الترك ومعناها بالفارسية بلاد الترك، ياقوت الحموي، شهاب الدين عبد الله الرومي(ت:626هـ/1228م) معجم البلدان (دار الفكر-بيروت)، جـ2، ص23.

(1) الكامل في التاريخ ، جـ9، ص295.

(2) الذهبي، دول الاسلام، ط2(مطبعة دائرة المعارف العثمانية-حيدر اباد الدكن-1365هـ) جـ2، ص83؛ العبر في خبر من غبر، تح ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (دار الكتب العلمية-بيروت)، جـ3، ص141؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص540؛ الديار البكري، حسين بن محمد بن الحسن(ت:982هـ).تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس(مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع -بيروت - 1823 م) جـ2، ص 379.

(3) ابن الفرات، ناصرالدين محمد بن عبدالرحيم (ت:807 هـ)، تاريخ ابن الفرات، تح د. حسن محمد الشماع (دار الطباعة الحديثة- البصرة- 1390 هـ 1970 م) مج 5 جـ1، ص210

(4) سبط بن الجوزي، شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت:654 هـ)، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر اباد الدكن– الهند– 1951)جـ 8، ص 608–609

(5) الداويداري، ابي بكر بن عبدالله ايبك (ت:736 هـ)، كنز الدرر وجامع الغرر، تح د0 سعيد عبدالفتاح عاشور (طبع بدار احياء الكتب العربية –القاهرة– 1972)، جـ 7، ص 207؛ المقريزي، السلوك، جـ 1، ق 1، ص 204

(6) ابو شامه، شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي(ت:665 هـ/1266م) تراجم القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، تح، ابراهيم شمس الدين (دار الكتب العلمية–بيروت–1422هـ/2002م) مج 3، جـ 5، ص183؛ الاشرف الغساني، ابوالعباس اسماعيل بن رسول (ت:803هـ/ 1400م) العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تح شاكر محمود عبدالمنعم (دار البيان– بغداد –1395هـ/1975م)، دار التراث الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت)جـ2، ص370، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ 6، ص284.

هو بداية ظهور المغول[1] ولكن هذا لاينفي ظهورهم او بروزهم في آسيا الوسطى من ثم امتداد دولتهم حتى وصلوا الى سيبيريا واوربا الشرقية. [2]

القبائل التي تكوّن منها المجتمع المغولي:

في النصف الاول من القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري نزلت شمال منشوريا ومنغوليا وتركستان قبائل، انقسمت هذه القبائل من الناحية اللغوية الى ثلاث مجموعات: المجموعة التركية والمجموعة المغولية والمجموعة التونغوزية ويصعب على المؤرخ ان يفصل بشكل قاطع بين هذه المجموعات وذلك لأنه صلات معينة قامت بينهم جعلت القابهم وعاداتهم وحتى كلامهم متقارباً من هذه المجموعات[3].

اولاً/ القبائل التركية وتشمل:

قبيلة توركش وهي من اشهر القبائل التركية في الغرب اتخذ رؤسائها لقب ًخاناتً وقبيلة القرغيز وهم من الترك كانوا ينزلون في اعالي نهر ينسي واتخذ اميرهم لقب خاقان ايضاً[4] وقبيلة الايغور وهم من الترك كانوا ينزلون شمال منغوليا اتخذ اميرهم لقب (التابير) وهو ادنى مكانة من لقب خاقان ويؤلف الايغور من تسع قبائل اغلبهم يعتنق المانوية*[5] وقبيلة الاغوز:(وفي اللغة العربية ألغز) وهم طائفة من التركمان كانوا يستقرون في بلاد ماوراء النهر** [1] وكذلك قبيلة القارلوق وتقع بلادهم جنوب

---

(1) شبر، جاسم حسن، تاريخ المشعشعين وتراجم اعلامهم (مطبعة الاداب- النجف الاشرف - 1385هـ- 1965م)، ص11؛ رفعت، محمد، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية (دار المعارف– مصر– 1959)، ص 53.

(2) خصباك، جعفر حسين، العراق في عهد المغول الايلخانين ،(مطبعة العاني– بغداد – 1976)، ص1.

(3) العريني، المغول، ص 29 .

(4) اقبال، عباس، تاريخ مفصل ايران من استيلاء المغول حتى اعلان المشروطيه (درجابخانه سيهر-يافت– طهران –1347هـ) جـ 1، ص8.

* المانوية: نسبة الى (ماني او مانوا) بن فاتك الذي يقول بنبوة المسيح واقتبس من الديانة المجوسية القول بأن العالم مركب من اصلين احدهما نور والاخر ظلمة وانهما ازليان لم يزالا وسيبقيان وانكر وجود شيء من اصل قديم، الشهرستاني، ابي الفتح محمد عبدالكريم (ت:548 هـ) الملل والنحل، تح احمد فهمي محمد، ط1 (مطبعة حجازي –القاهرة–1368 هـ/ 1948م) مكتبة الحسين التجاريةه، جـ2،ص82؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص 54– 55.

(5) رشيدالدين، فضل الله بن عماد الدولة بن الخير (ت:718 هـ)، جامع التواريخ، ترجمة صادق نشأت وآخرون، (دار احياء الكتب العربية–1960) مج 2، جـ1 ص 195؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص 54 – 55

** بلاد ماوراء النهر : اسم اطلقه العرب على كل المنطقة التي تقع بعد نهر جيحون بخراسان وهي متاخمه لبلاد الترك، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ5، ص 45-47؛ القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص235

مملكة الايغور وهؤلاء الاتراك كانوا يعرفون في الشعر الفارسي بأســـم ((خلج)) ويوصفون باستقامة القامة وجمال الوجه[2] ولم يتخذ امرائهم لقب خاقان انما اكتفوا باتخاذ لقب ((بيغوا)) [3].

---

(1) الراوندي، محمد بن علي بن سليمان (ت:559 هـ -1202 م)، راحة الصدور واية السرور (في تاريخ الدولة السلجوقية)، نقله الى العربية د0 ابراهيم امين الشواربي واخرون، (مطابع دار القلم – القاهرة – 1960) ص 268

(2) بارتولد، تاريخ الترك، ص50؛ اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ1، ص8

(3) بارتولد، تاريخ الترك، ص120 – 129؛ الخالدي، العالم الاسلامي، ص 25

ثانياً القبائل غير التركية:

الخطا او القرة خيتاوي وهم يؤلفون جماعة لا حصر لها من البدو يعيشون حياة البدو ويعبدون الهواء وطعامهم اللحم النيء ولا ياكلون الخبز[1] والخطا او القرة خيتاوي او الخيتاوي كلها اسماء لشعب خيتاي والراجح انهم من القبائل التونغوزية (ويرى البعض انهم مغول) وكانت بلا ساغون* عاصمة لهم واتخذ ملكهم لقب (كورخان) أي خان الخانات وكانتت بلاد امراء البلا ساغون تعتبر حدود العالم الاسلامي[2].

التتار- وهم من الشعوب غير التركية وكان التتر قسمين الاول تسع قبائل والقسم الثاني ثلاثين قبيلة[3] والتتر ثلاث اصناف هي التتر البيض وهم الذين ينزلون خارج سور الصين مباشرة وتأثر هؤلاء بالحضارة الصينية , والصنف الثاني التتر السود وكانوا ينزلون شمال صحراء جوبي وكانوا بدو رحلا اما الصنف الثالث يدعى تتار الغابة وكانوا يعيشون حول روافد بعض الانهار ومارسوا حياة الصيد[4].

قبيلة الكرايت وموطنهم الواحات الشرقية الداخلية في صحراء جوبي حتى سور الصين وظلت قبائل الكرايت من اقوى اقوام المغول وهي تدين المسيحية وقبيلة المركيت الذين يسكنون المنطقة الواقعة شمال بلاد الكرايت .وكان لهم جيش قوي ذو بأس شديد في الحرب والمعروف ان والدة جنكيز خان وزوجته من هذه القبيلة[5] قبيلة النايمان ويسكنون الجزء الغربي من منغوليا وكلمة نايمان بالمغولية بمعنى (ثمانيه) وهم يدينون بالمسيحية ويطلق على ملوكهم (كوشلوك او بويروق)*[6].

قبيلة بورجقين المغولية وفيها طائفة صغيرة اسمها (قيات) هذه الطائفة بعينها هي التي نشأ فيها جنكيزخان مؤسس امبراطورية المغول ففي عهده انقسمت القبائل المغولية الى قسمين

---

(1) ابن يونة التطيلي، بنيامين النباري الاندلسي (ت:569هـ / 1173م)، رحلة بنيامين، ترجمها من العبرية عزرا حداد، (المطبعة الشرقية – بغداد – 1945) ، ص160.

* بلا ساغون: وهي بلدة من ثغور الترك تقع وراء نهر سيحون قريبة من كاشغر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ2، ص476؛ ابو الفدا، تقويم البلدان، ص501؛ ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي(ت: 739هـ)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تح علي محمد البجاوي، (دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت- 1374هـ /1955م) جـ1، ص215.

(2) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص3؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص120-129.

(3) بارتولد، تاريخ الترك، ص34؛ اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ1، ص80.

(4) بارتولد ، تاريخ الترك، ص153؛ الخالدي؛ العالم الاسلامي والغزو المغولي ، ص 25 .

(5) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، مج2، جـ1، ص219 –220؛ ناجي عبدالجبار واخرون، الدولة العربية في العصر العباسي، (مطابع التعليم العالي– البصرة–1989)، ص471.

* معنى كوشلوك الملك العظيم والقوي اما بويروق فمعناه معطي الاوامر، رشيدالدين، جامع التواريخ، نقلا" عن الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص 29 – 30.

(6) بارتولد، تاريخ الترك، ص 121 .

القسم الاول: يشمل عشائر بيرون اوبورس واتخذت هذا الاسم لانتمائها الى بورجقين ويفوقون القسم الثاني في اصالة النسب ومن هذه العشائر التايجيوت، جاجيرات، برلاس، بارين، دوريان، سالجيون، كتاكين[1].

القسم الثاني : فيشمل عشائر دورلوكين ومنهم اولات بايات، قورلاس، ايكراس. يضاف اليهم الجلائر التي لم يعرف اصلهم على وجه التحقيق وهذه القبائل خضعت لأجداد جنكيزخان. وفي القرن الثاني عشرالميلادي ارتبط القنقرات بصلة المعاهده مع التايجبوت وبورجقين[2] لم تفصح المصادر العربية والاسلامية عن التقسيمات القبليه للمغول باستثناء كتاب جامع التواريخ الذي لم استطع الحصول على الجزء الخاص بهذه التقسيمات لذلك اكتفيت بالاشارة الى ذكرهم مجتمعين تحت اسم المغول والتتار.

الدين عند المغول

ان المتفحص لتاريخ هؤلاء الاقوام يجد صعوبة في التعرف على المبادئ الصحيحة لدينهم فبعض المصادر لا تشفي غليلا فقد جاءت تفسيراتهم باهتة لدياناتهم مكتفين بالقول بانهم كانوا كفارا لا يعبدون الله والقسم الاخر لا يذكر شيئاً عن دينهم فأبن الاثير مثلا يقول في هذا المجال: اما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيئاً[3] وقيل ايضاً ان بعض هؤلاء يعبدون النار وبعضهم الاخر يعبد الاصنام ومنهم من لا دين له ولا يعتقدون شيئاً[4] حتى ان اشهر مؤرخي المغول وممن عاصرهم لم يعطوا تفاصيل دقيقة عن معتقداتهم واكتفوا من القول بعمومياته[5] ولم يختلف المقريزي عن اسلافه من المؤرخين فأشار الى معتقدهم ببعض الكلمات بقوله: ((كان التتار لا يدينون بدين الا انهم يعترفون بالله تعالى من غير شريعة)) [6] ولقد عزا القزاز تفسيرات المؤرخين الباهتة لديانة المغول وعدم وضوحها الى الفزع الذي ألقوه في قلوب الناس منع ذوي الرأي والمؤرخين منهم من التحقيق ومعرفة طبيعة معتقداتهم[7].

---

(1) اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ1، ص7.
(2) العريني، المغول، ص 35 – 36 .
(3) الكامل في التاريخ، جـ9، ص330؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، جـ13، ص88.
(4) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج5، جـ1، ص210.
(5) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص14.
(6) السلوك، جـ1 ق1، ص204-205.
(7) الحياة السياسية ، ص19 0

ابرز الديانات التي اعتنقها المغول
لم يكن للمغول دين واحد بعينه يعتنقونه ويجمعون عليه بل كانت طوائفهم تتنازع الديانات المختلفة ويمكن ايجاز تلك الديانات :-

الشامانية : وهي نوع من الوثنية كانت تتمثل في عبادة كل شيء يسمو على مدارك المغول ويدق على افهامهم[1] في حين عرفها بارتولد بقوله هي العقيدة الفاصلة بين ديانات الشعوب البدائية وديانة الشعوب المتحضرة ذلك ان الشامانية وما شابهها من الديانات البدائية لا تقوم على اسس اخلاقية فمثلاً عندهم القاتل تزداد منزلته في يوم القيامة بأزدياد عدد من قتلهم ,علماً ان هذه الديانة هي التي تبناها خانات المغول ابتداءً من جنكيز خان واحفاده[2]، قد يكون هذا تفسير المجازر البشرية التي ارتكبها اذن يمكن القول ان الشامانية هي الديانة الرسمية للمغول وتسمى ًبالشامانزم (Sharmanism) وتتمثل بعبادة الظواهر الطبيعية وخاصة الشمس[3] حيث يسجدون لها عند طلوعها[4].
وهم يطيعون رجال دينهم بكل ما يأمرون به ويصطلح عليهم (الشماناس) [5] وكلمة (شامانية) مشتقة من شامان والتي تعني الساحر الشاعر والطبيب الروحاني وكانت تطلق على كاهن الدين التركي القديم واصل الكلمة بالتركية (قام) [6].
وتقضي الشامانية بعبادة الاسلاف فقد كانوا يعبدون ارواح اجدادهم القدامى فهم يعتبرونها ذات سلطان عظيم على حياة اعقابهم وكانوا يلجاون الى القسيسين من الشامان وسحرة والى رجال الحكمة الذين يعتبرونهم ذوي نفوذ خفي وسلطان غريب على ارواح الموتى[7] والشامانية تعترف بالاله العظيم ولكنها لا تؤدي له الصلوات وانما تقوم بها لالهة الشر اتقاء لخطرها[8].

البوذية: مشتقة من بوذة وهو اسم هندي معناه عالم او حكيم او عاقل. وقد ظهرت هذه الديانة في بلاد فارس وما وراء النهر وقد دخلت الصين وبلاد التتر ومدن اخرى كثيرة وكانوا يلبسون طيالس صفراء ويحلقون رؤوسهم وكانت عبادتهم تقوم على نكران

(1) الصياد، المغول في التاريخ ، جـ1، ص335 .
(2) تاريخ الترك ، ص14 .
(3) ارنولد، الدعوة الى الاسلام، ص251.
(4) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص543.
(5) القزاز، الحياة السياسية، ص21.
(6) بارتولد، تاريخ الترك، ص263؛ ارنولد، الدعوة الى الاسلام، ص251.
(7) ارنولد، الدعوة الى الاسلام، ص251؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه امين فارس ومنير بعلبكي، ط4(دار العلم للملايين-بيروت-1965)، ص381-382؛ حسن، تاريخ الاسلام، جـ4، ص133.
(8) ارنولد، الدعوة الى الاسلام، ص251؛ الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، جـ2، ص339

نفوسهم وقمع شهواتهم وقهر ابدانهم والرحمة بجميع الكائنات[1]. والبوذية حلت محل الشامانية وسرعان ما اجتذبت اليها طوائف المغول خصوصاً بعد ان استقرت هذه الديانة في هضبة التبت واخذ دعاتها يعملون على نشرها في الجزء الشرقي من اسيا و زاد نفوذ هذه الديانة زيادة كبيرة عندما اعتنقها الخان الاعظم قوبيلاي (658-693هـ/1260-1294م) [2] فقد دخلت هذه الديانة من الهند عندما طردت من شبه القارة الهندية[3].

المانوية: نسبة الى ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان سابور بن ارد شير والمانوية هي اول دين يدخل مملكة الترك بوصفهم شعباً بعد الديانة الشامانية، وكانت اول دين ذي اسس اخلاقية يعتنقه الترك فبينما ترى الديانة الشامانية ان قتل الانسان يفيد يوم القيامة فان ديانة (ماني) لا تكفي بتحريم قتل الانسان بل تحرم اكل لحم الحيوان[4]. وهذا تحول كبير اذ جعل قيمة الانسان عليا في المجتمع بعد ان حدث من قتله تقرباً الى الله.

والمانوية قريبة الشبه بالبوذية فقد كان يعاقب على التطاول بالمقدسات المانوية بنفس الطريقة المتبعة في الديانة البوذية ويظهر تقارب الديانتين من خلال لاصطلاحات المشتركة التي تدل في نفس الوقت على انهما كانتا تتأثران احدهما بالاخرى[5].

المسيحية: استطاعت المسيحية ان تجد لها مجالاً خصباً بين المغول وسبق ان علمنا ان قبيلة الكرايت كانت تدين بالمسيحية حيث كانت ابنة رئيس هذه القبيلة احدى زوجات جنكيز خان[6].

الإسلام: بالرغم من وجود الكثير من التجار المسلمين في عاصمة جنكيز خان (قراقورم) الا ان القليل جداً من سكان المغول من اعتنق الاسلام في بداية نشوء هذه الامبراطورية. اذ لا توجد لدينا في هذا الباب سوى رواية واحدة تدل على ان بعض المغول دخلوا في الاسلام وجنكيز خان على قيد الحياة فقد كان اخو زوجته وهو احد زعماء الماركيت يحمل اسماً اسلامياً وهو جمال خوجة[7] ونتيجة لاختلاطهم بالمسلمين في غزواتهم فيما بعد اسلم فريق منهم وكان اول من اسلم من امرائهم هو

---

(1) الشهرستاني، الملل والنحل، جـ2، ص82؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص54-55.
(2) الرمزي، تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار، نقلاً عن الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص336.
(3) بارتولد، تاريخ الترك باسيا، ص41؛ ارنولد، الدعوة الى الاسلام، ص252؛ شلبي، موسوعة التاريخ الاسلامي، جـ7، ص557.
(4) الشهرستاني، الملل والنحل، جـ2، ص72؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص48.
(5) الشهرستاني، الملل والنحل، جـ2، ص72-82؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص55.
(6) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص314؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص338.
(7) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص14؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص155.

(بركة خان)* زعيم القبيلة الذهبية** (القبجاق) بين سنتي (654-666هـ-1256-1267م)[1] وكذلك من ديانات المغول الاخرى الوثنية فبعضهم عبد الاصنام[2] كما اعتنق المغول المجوسية[3] والمجوس هم عبدة النيران القائلون ان للعالم اصلين نور وظلمة وقيل ان كلمة المجوس هي في الاصل (نجوس) لتدينهم باستعمال النجاسات والمجوس اقدم الطوائف واصلهم من بلاد فارس وقد نبغوا في علم النجوم[4].

الزرادشتية: وهي من الديانات التي اعتنقها المغول وهم اصحاب زرادشت الذي يزعم المجوس نبوته وقال علماء الفرس انه جاء بكتاب ادعاه وحياً كتب نقشاً بالذهب ومنع من تعليمه العامة ويسمى ذلك (نسياه) وهو كتاب الزمزمة وقبلتهم المشرق وصلواتهم في وقت الطلوع والزوال والغروب وانها ذات سجدات ودعوات وجدد لهم زرادشت بيوت النيران ورتب لهم عيدين النيروز في الربيع والمهرجان في الخريف[5] والزرداشتية الفارسية كان لها نفوذ راجح عند المغول[6].

ابرز سماتهم:

للمغول صفاتهم الخاصة جداً سواء كانت الخلقية او الخُلُقية وجاء ذلك نتيجة البيئة التي عاشوا فيها.

فقد كانت ابرز صفاتهم الخلقية هي انهم كانوا عراض الوجوه واسعوا الصدور خفاف الاعجاز صغار الاطراف،سمر الالوان سريعوا الحركة في الجسم والرأي[7] وقيل في اوصاف الشخص المغولي بانه ذا راس كبير ووجه عريض نحيل وعظام الخد

---

* بركة او بركاي: وهو ابن جوجي بن جنكيز خان احد زعماء القبيلة الذهبية عمل على نشر الاسلام بين افراد قبيلته وجيشه حتى اصبح اغلب جنوده مسلمين اختلفت الروايات في كيفية وتاريخ اسلامه فقد قيل انه اسلم على يد التجار المسلمين ويذكر الجوزجاني انه اعتنق الاسلام منذ طفولته اعلن الحرب على ابن عمه هولاكو لانه اعتدى على خليفة المسلمين للمزيد من المعلومات نظر رشيد الدين، جامع التواريخ، ص124؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ7، ص222؛ ارنولد، الدعوة الى الاسلام، ص259؛ الخالدي، العالم الاسلامي، ص204-207.

** القبيلة الذهبية: اطلق عليها هذا الاسم نسبة الى خيم معسكراتها ذات اللون الاحمر الذهبي واغلب اهلها من الاتراك: الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص143.

(1) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص313؛ ارنولد، الدعوة الى الاسلام، ص258-259.

(2) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص14؛ الذهبي، دول الاسلام، جـ2، ص90.

(3) الذهبي، دول الاسلام، جـ2، ص90.

(4) الشهرستاني، الملل والنحل، جـ2، ص54.

(5) الشهرستاني، الملل والنحل، جـ2، ص65.

(6) الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، جـ2، ص339.

(7) الذهبي، سير اعلام النبلاء، جـ22، ص227؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص539.

بـارزة والعيـون صـغيرة ذات الجفـون الطويلـة والانـف المسـطح والشـفاه العريضـة والاسـنان القويـة والرقبـة القصـيرة والصـدر العـريض والسـاقين القصـيرتين والقامـة القصيرة والبشرة الصفراء السميكة[1] وقد وصفهم البعض بـانهم صـغار الاجسام اذا مـا وقفوا على اقدامهم ولكنهم عمالقة اذا ما امتطوا ظهور جيادهم[2].

هذا ابرز ما قيل في اوصـافهم امـا صـفاتهم فقد كـانوا يتصفون بالشراسة والهمجية ويمارسـون العنـف الـدموي بأقسـى الاسـاليب فقد جـرت الـدماء علـى طـول الخـط الـذي سـلكته جحـافلهم تاركـة اثـراً لا يمحـى[3]. ولخـص احـد المستشـرقين صـفاتهم بكلمـات فقال((لهم ذكاء الحيوان لا تبـالي بـالام البشر ومتعطشـة لكل مـا هـو جديد ونفيس تحب العبث كالاطفـال)) [4] وقـال ايضـاً ((انهـم اطـوع النـاس لاسيادهم ويبجلـونهم ويـوقرونـهم ولا يخونـونـهم فـي القـول والعمـل ومـن النـادر ان يتنـازع او يتشـاحن او يجـرح او يقتـل بعضـهم الـبعض))[5] وقيـل ايضـاً فـي صـفاتهم انهـم اصـبر النـاس علـى الشـقاء والجـوع والبلاء ولم يرى ازرى من حالهم[6] والطاعة التامة سواء فـي السلم والحـرب وامتـازوا بارتكـاب الجـرائم وكـل اصـناف القسـوة والتعـذيب والتخـريـب والتـدمير[7] ومـن طبـائعهم المكر والغـدر ونكـث العهـد[8] وهـم يفوقـون الاحصـاء وانـهم اصـبر خلـق الله علـى القتـال ولا يعرفـون هزيمـة[9] واشـتهروا بالبسـالة وشـدة الاحتمـال والنظـام والفروسـية والرمايـة يقابلـه مـا هـو معروف عنهم من الغطرسة والعنـاد والكبريـاء والقذارة كانـت مـن صـفاتهم المـالوفة[10] ووصـفهم القرمـاني حيث قال((هم اقوام لا حاكم يردعهم ولا ديـن ولا اعتقـاد

---

(1) هـورث، تـاريخ المغـول، نقـلاً عـن عجـمـي محمـود خطـاب الجـنـابي، المقاومـة العربيـة للغـزو المغولـي حتـى عين جـالوت، (اطروحـة دكتـوراه مطبوعـة علـى الالـة الكاتبـة-كليـة الاداب-بغـداد-1990)، ص13.

(2) لامب، هارولد، جنكيز خان، ترجمة اللواء بهاء الدين نوري، (مطبعة السكك الحديديـة-بغـداد-1946)، ص39.

(3) حتـى، فيليب واخرون، تـاريخ العـرب المطـول ط2،(دار الكشـاف للنشـر والطباعـة والتوزيـع-بيـروت-لبنـان-1953)، جــ2، ص578؛ ياسين، بـاقر، تـاريخ العنـف الـدموي فـي العـراق (دار الكنوز الادبية-بيروت-1999)، ص169-170.

(4) لامب، هارولد، شعلة الاسلام، ترجـمة محمـود عبـد الله، (مطبعـة الارشـاد-بغـداد-1967) نشـر بالمشـاركة مـع مؤسسـة فـرانكلين للطباعـة والنشـر-بغـداد-نيويـورك) مكتبـة دار المتنبـي-بغـداد، ص557.

(5) لامب، جنكيز خان، ص53.

(6) الـداوداري، كنـز الـدرر، جــ7، ص238؛ ديورانـت، ول، قصـة الحضـارة، ترجـمة محمـد بدران(دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع-بيروت-1988)، مج4، جـ2، ص377.

(7) عاشور، فايد حماد ،العلاقات السياسية بين المماليك والمغول، ص32؛ عمارة، محمد، معـارك العرب ضد الغزاة ، (دار الحرية-بيروت-1972)، ص120.

(8) الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، جـ2، ص430.

(9) الذهبي، تاريخ الاسلام، ص40.

(10) العريني، المغول، ص40.

يجمعهم وهم قبائل وشعوب واصناف وضروب وكل طائفة تغير غارتها وتقصد جارتها وتلعن اختها وتنهب تحتها وتاكل سحتها))[1] اما القزويني فقال عنهم ((اشبه شيء بالسباع في قساوة القلب وفظاظة الخلق وصلابة البدن وغلظ الطبع وحبهم للخصومات وسفك الدماء وتعذيب الحيوان)) [2] الا ان هناك من يختلف معهم فقد ذكر بارتولد ان المؤرخين المسلمين تحاملوا على المغول وبالغوا في ذكر صفاتهم السلبية وذلك بقوله: ((لقد حال التعصب الديني لدى المسلمين باستثناء القليل منهم دون رؤية الخصال الحسنة التي ميزت الرحل لذلك فقد تركوا لوحة رهيبة للتخريب والتدمير الذي خلفه المغول في اعقابهم)). وقال في صفاتهم مادحاً ((لقد اعجب الصينيون ببساطة اخلاقهم وعاداتهم الاصيلة التي لم تلوثها المدنيه)) [3] نستتشف مما تقدم ان المغول في بداية ظهورهم ونشوء دولتهم عرفوا بالبساطة والبداوة. اما تلك الاوصاف الذميمة التي اضفاها المؤرخون على ما يبدو انها جاءت رداً على انهيار دولتهم وشدة بغضهم لما اصابهم من جراء زحف هذه الاقوام.

حياة المغول الاجتماعية:

كان المجتمع المغولي يقوم على اساس طبقي فقد كانت القبيلة مقسمة الى ثلاث طبقات وهي:

طبقة النبلاء :- وكانوا يلقبون بالالقاب ((بهادر)) أي الباسل و((توبان)) أي النبيل و((ستسن)) أي الحكيم و**الطبقه الثانية** هي طبقة ال ((نوكور)) أي الاحرار وعلى هؤلاء يرتكز النظام العسكري والسياسي في منغوليا زمن جنكيزخان وكانوا يؤلفون طبقة المحاربين والموالين له و**الطبقه الثالثة** هي الطبقة العامة وطبقة الارقاء وكان لكل جماعة او عشيرة من المغول رئيساً قد يكون ملكاً (خان،قان، او زعيماً (باكي، بكي) وبهذا اللقب اشتهر رؤوساء قبائل الغابة امثال (اويرات، مركيت)[4] ومن الطبيعي ان يكون للبيئة التي عاشها هؤلاء تاثير كبير على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية خصوصاً اذ كانت هذه البيئة قاسية جداً فهم لم يعرفوا الاستقرار قط[5] ويعيب فامبري على التواريخ الشرقية اسلوبهم في تناول احوال المغول الاجتماعية بقوله ((ان قارئ التواريخ الشرقية سوف يصدم بتكرار وصف المغول بانهم همج اجلاف ورجال حرب)) وابرز ما كتب عنهم ((هم قوم يغلب عليهم البكاء في اعيادهم ويغمرهم السرور في حروبهم ويطيعون قادتهم طاعة عمياء ولا يضجرهم البرد او

---

(1) اخبار الدول واثار الاول، ص 284
(2) اثار البلاد واخبار العباد، ص 581
(3) تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم (شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع – الكويت – 1981)، ص 109
(4) العريني، المغول، ص38.
(5) هورث، تاريخ المغول، نقلاً عن احمد عبد الرحيم مصطفى، في اصول التاريخ العثماني، ط1، (دار الشررق-بيروت-1982)، ص11.

الجوع ولا يعرفون الراحة او اللهو بل وليس لهم من لسانهم من الكلمات ما يكفي ليعبروا به عما يريدون. وهم يعدون سلاحهم بايديهم ويحملونه تجمعهم نفس واحدة وروح واحدة لا يهتمون بالطعام او الثياب ولا تعرف الرحمة طريقها الى قلوبهم فلا يتورعون عن انتزاع الطفل الذي لم يولد بعد من بطن امه...الخ)) ثم يضيف فامبري ان احوالهم لا تبعد كثيراً عما يحدث في ما وراء النهر لذلك كانت انتصارات جنكيز خان باهرة وحاسمة في اقليم ما وراء النهر الذي يسوده الانقسامات[1] وذكر بارتولد بعض الاراء التي تناولت تحول الحياة الاجتماعية عند المغول منها ((عاشوا قروناً طويلة على الفطرة قانعين باسلوبهم البسيط في الحياة لا تزعجهم شواغل الحضارة ...فبداوا يخرجون من حياة الفوضى (أي البساطة) ويقوضون مبادئهم الفطرية (أي السليمة) الالهية ويتعلمون مكر المتحضرين ونفاقهم))[2].

مأكل المغول

وكما كان للبيئة تاثير على حياتهم فتاثيرها اكبر على نوعية وكمية ما يتناوله من الطعام فبالاضافة الى كونه بسيط كان قليل جداً وخاصة في الشتاء لذلك اشتهرت قبائلهم بالصبر على الجوع وذكر انهم لا يحرمون شيئاً ياكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير[3] ولحوم البهائم[4] كما يتغذون ايضاً بلحوم الخيول والذئاب والثعالب والفئران[5] بالاضافة الى الحشرات[6] منها القمل ولم يكونوا يشمئزون من اكل القطط[7] والطامة الكبرى انهم يأكلون الميتة واللحوم البشرية وهذا ما اكده اغلب المؤرخين[8] فقد قيل انهم في احدى غزواتهم في الصين عندما نفذ طعامهم ضحوا بواحد من كل عشره رجال في الجيش ليكون طعاماً للباقيين[9].

أما رشيد الدين فيقول انهم من جوعهم كادوا ان يأكلوا اللحوم البشرية[10] وبما انهم لايحرمون شيئاً فقد كانوا في حالة شبه اكتفاء ذاتي وهذا ما اكده ابن الاثير بقوله ((انهم لايحتاجون ميره ومدد)) [11] ويحكى ان احد المغول نفذ ما عنده من طعام فلجأ الى

---

(1) تاريخ بخارى، ص182.
(2) تركستان، ص109.
(3) ابن الاثير، الكامل، جـ9، ص330؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص542.
(4) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص12.
(5) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص87.
(6) دحلان، الفتوحات الاسلامية، جـ2، ص24.
(7) ديورانت، قصة الحضارة، مج4، جـ2، ص 377
(8) الذهبي، تاريخ الاسلام، ص39؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص471؛ دحلان، الفتوحات الاسلامية، جـ2، ص24
(9) هورث، تاريخ المغول، نقلا" عن الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص 332
(10) رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 33
(11) الكامل، جـ9، ص330، السيوطي؛ تاريخ الخلفاء، ص 542

جرح ساق فرسه واخذ دمه الى ان جمد ثم قام بشواءه واكله.[1] وهنا سؤال يطرح نفسه هل كان لطعامهم تأثير سلبي على شخصياتهم ام ان القساوة والشراسة والعدوانية التي يتصفون بها جعلتهم يتناولون أي نوع من اللحوم حتى لو كانت تلك اللحوم بشرية! ان قدرتهم العجيبة على تحمل الجوع قد افادتهم فائدة كبيرة في الحروب فقد كان باستطاعتهم ان يبقوا لمدة ثلاثة ايام او اربعة بدون طعام مطهي[2] وهذا حال الشعوب البدائية اما عن عاداتهم في تناول الطعام يتقدم اقوياء البنية فيأكلون الوجبة الاولى منه وبعد ذلك يأتي دور الشيوخ والنساء فيتسلمون ما تبقى. اما الاطفال فعليهم ان يتطاحنوا على العظام وفتات اللحم.[3]

وللمغول طريقة عجيبة في حفظ اللحوم هي انه اذا مات ثور او حصان او غير ذلك قطّعوا لحمه الى شرائح رقيقه ثم يقومون بتعليقها في الشمس او الهواء لتجف دون ان تعتريها عفونه[4] وكان شرابهم هو لبن الحيوانات[5] نتيجة لقلّة اللحم فأن اكثر اعتمادهم في فصل الشتاء على الالبان وما يستخرج منها من زبد وجبن اما البان الافراس فقد كانوا يستخرجون منها ما يعرف ((بالقيمز)) او ((خمير اللبن)) وطريقة صنعه ان توضع البان الافراس في قراب ثم تخض بشدة وتترك حتى تخمر فتصبح صالحه للشرب[6] وهو يغذي الطفل ويسكره وهو في الثالثة او الرابعة من عمره بالاضافة الى تناول الدخن المغلي لالهاء البطون الخاوية[7] والارز[8] ومما اشتهر به المغول هو اكل لحوم اعدائهم ويشربون دمائهم خصوصاً اولئك الذين يخونونهم او يقاومونهم ويوقعون بهم الخسائر الفادحة[9] اما عن مأكل خيولهم فأنها تحفر الارض بحوافرها فتأكل عروق النبات ولا تعرف الشعير[10].

طبيعة مساكنهم :

---

(1) ابن بطوطة، عبدالله محمد بن عبدالله بن ابراهيم اللواتي (ت:779 هـ)، رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار)، (دار التراث – بيروت 1388هـ-1968م)ص 353
(2) الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص 330
(3) لامب، جنكيزخان، ص 7
(4) الخالدي، العالم الاسلامي والغزو المغولي، ص 30
(5) الجويني، جهانكشاي، جـ 1، ص 12
(6) الصياد، المغول، جـ 1، ص 331
(7) لامب، جنكيزخان، ص 8
(8) القرماني، اخبار الدول واثار الاول، ص 283
(9) المقريزي، السلوك، جـ1، ق2، ص 674؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص 331
(10) ابن الاثير، الكامل، جـ 9، ص 330؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 543

تختلف مساكن المغول باختلاف المناطق التي يسكنونها ففي الغابات كانوا يصنعون اكواخهم وغالباً ما تكون من الخشب او فروع الاشجار[1] وكانوا يسكنون الجبال ايضاً[2] اما في مناطق السهوب فقد كانت مساكنهم على شكل خيام من الصوف او اللباد ويراعى فيها ان تكون على شكل قباب متينة محكمة بحيث تقاوم اعتى الرياح وتثبت امام اشد الاعاصير.[3] وكان المغول يضربون خيامهم في مناطق الاعشاب التي تكفل الحصول على قوتهم في يسر وسهوله اما اذا اقفرت الارض طووا خيامهم وحملوها على عجلات تجرها ثيران وهكذا كانت حياتهم تقوم على رحلات الشتاء والصيف[4] لذلك نجد نسائهم دائماً يكن على اهبة الاستعداد للرحيل فمن السهل تعبئة ملابسهم واوعيتهم التي يستخدمونها في صناديق من الجلد او لفيفات اسطوانية ثم تحمل هذه الاشياء على ظهور الحيوانات او توضع في عربات ذوات عجل يجرها عشرون ثوراً اما الاثاث اوالادوات التي كانوا يستخدمونها فكانت غاية في البساطة فأوانيهم جلدية وجدرانهم تزينها الاسلحة ومنازلهم تقسم الى اجزاء واتجاهات ولكل فرد اتجاهه الخاص به ففي الجزء المواجه للباب يوضع فراش رب البيت في حين يخصص الجانب الغربي من البيت للرجال والجانب الشرقي للنساء وكذلك يوجد داخل الخيمة صناديق تحفظ فيها الملابس وكل مايخافون عليه من العطب وهذه الصناديق مصنوعة من نسيج متين مغطى بالصوف ومطلي بشحم الحيوانات حتى لاينفذ منه الماء اذ ما نزل المطر او اضطروا لعبور الانهار[5] وبالقرب من خيمة العائلة توجد مقاعد لايجلس عليها الا المقاتلون الفتيان والضيوف اما النساء فلهن ان يجلسن على بعد في الجانب الايسر ويباح للصبيان والبنات الجلوس حيث يتيسر لهم ذلك.[6] الا ان هذه البيوت لم تبقى على بساطتها فقد طرأ تغيير كبير عليها بعد عمليات الغزو التي قاموا بها خصوصاً في الاقاليم الشماليه للصين وكان لزعيمهم نصيب في هذا التغيير فقد طرأ تطور كبير على مسكنه[7] الذي كان عبارة عن خيمة من لباد مثبت على هيكل من العماد المشبكة بالعوارض من الاعواد وفي اعلاها كوه يتصاعد الدخان منها وقد طليت بالنورة البيضاء وزينت بالرسوم وهي خيمة غربية الطراز حيث يمكن نقلها من مكان لآخر وان شكلها المقبب يجعلها مريحة ومفيدة تقاوم الريح العاصفة[8] ثم صار يقيم سرداقاً

(1) الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص 333
(2) الجويني، جهانكشاي، جـ 1، ص 12
(3) لامب، جنكيزخان، ص 8
(4) حسن، تاريخ الاسلام، ص 132
(5) الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص 333 -334
(6) لامب، جنكيزخان، ص 7
(7) الصياد، المغول في التاريخ، جـ 1، ص 334
(8) لامب، جنكيزخان، ص 7

مصنوعاً من اللباد الابيض ومبطناً بالحرير الى جانب المدخل منضدة من الفضة عليها لبن الخيل والفاكهة واللحوم حتى يأكل من كان يأتي لمقابلته[1].

ملابسهم:

لايكاد يوجد فرق كبير بين ملابس الرجال والنساء عندهم فعلى العموم كانت ملابسهم بسيطة ساذجة تتفق والبيئة التي يعيشون فيها وكانت مصنوعة من اصواف الغنم ووبر الابل[2] وفي الغالب يلبس الرجال جلود البهائم[3] بالاضافة الى (سراقوج) وهي (الطاقية او العمامة) وهي لباس الرأس عند المغول. [4] وقيل ان افخر ملبوسهم يكون من جلود الكلاب والنموس. [5] اما النساء فيلبسن الملابس الحريرية التي يحصلن عليها عن طريق نظام المقايضة مع التجار المسلمين بالاضافة الى البوقتاق* وفيما بعد انساح المغول في ارجاء الارض وكونوا امبراطورية واسعة وصاروا يستوردون الحرير من الصين والفراء الثمين من روسيا[6] وبالرغم من ارتداء الملابس الثمينة الا انهم لايغيرون ملابسهم ولا يغسلونها حتى تبلى وهذا احد قوانين (الياسا) التي لاتميز بين طاهر ونجس[7] والتي سنتحدث عنها لاحقاً. كما انهم يلجئون الى دلك ابدانهم بالشحم اتقاء البرد او الرطوبة ومع ذلك نراهم يموتون بعد تجمدهم بفعل البرد القارص. [8]

مهنتهم:

لقد اثرت البيئة التي عاشها المغول تأثيراً كبيراً على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية فمناخها القاري والسعي وراء الاعشاب لرعي الماشية والاغنام فرض عليهم مهنة الرعي والصيد فالتتار الاصليون اجداد جنكيزخان كانوا يمارسون الرعي[9] من جهة ويعيشون على الصيد من جهة اخرى نظراً لأن منازلهم كانت تقع

---

(1) الصياد، المغول في التاريخ، جـ 1 ص 334
(2) الخالدي، العالم الاسلامي والغزو المغولي، ص 31
(3) لامب، جنكيزخان، ص 5
(4) الدوايداري، كنز الدرر، جـ 7، ص 258
(5) الجويني، تاريخ جهانكشاي، جـ 1، ص12؛ القرماني، اخبار الدول واثار الاول، ص284
* البوقتاق :- وتعني القلنسوة التي تلبسها اميرات المغول على رأسهن وتكون مرصعة بالجواهر، انظر رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 5
(6) الصياد، المغول في التاريخ، جـ 1، ص 332
(7) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص314 – 315؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف (بالخطط المقريزية)، (دار صادر - بيروت) جـ2، ص 220
(8) لامب، جنكيزخان، ص 5 – 6
(9) الخالدي، العالم الاسلامي والغزو المغولي، ص29 – 30؛ ابو خليل، د. شوقي، اطلس التاريخ العربي الاسلامي، ط12 ، (دار الفكر – سوريا)، ص 223

بين السهوب والغابات[1] وبالتالي فقد انقسمت قبائلهم الى قبائل رعاة في جوار المراعي والى قبائل صيادين يصيدون السمك من الانهار والحيوانات من الغابات وكان الصيادون من المغول يزاولون مهنة الصيد في صور مختلفة فهناك فئة تعكف على صيد الاسماك واخرى من سكان الغابات تركب الزحافات من الخشب او من العظم وتطارد الحيوانات ذوات الفراء حيث تتاجر في فرائها وفئة ثالثة من رعاة الحيوان تطارد الظباء بواسطة الحبال والنبال[2] كما امتهنوا التجارة وقد اشار ابن الاثير الى ذلك بقوله ((وسير جنكيزخان جماعة من التجار الاتراك ومعهم شيء كثير من النقرة* والقندر** وغيرهما الى بلاد ماوراء النهر ليشتر له ثياباً للكسوة)) [3] يفهم من هذا انهم يصدرون النقرة والقندر ويستوردون الملابس لخلو البلاد المغولية من صناعة النسيج[4] كما كان هناك عمليات تبادل الجلود والدواب بينهم وبين الترك والصينيين[5]

الزواج عند المغول:

ذكر العديد من المؤرخين ان هؤلاء القوم لايعرفون نكاحاً وان المرأه يأتيها غير واحد من الرجال والولد لايعرف اباه. [6] وهذا الراي يغاير المبدأ القبلي ويتنافى مع تقاليدهم الا ان هناك من المؤرخين وخاصة المعاصرين يذكرون حالات الزواج عندهم الا انه لايكون داخل العشيرة الواحدة فهو يتنافى مع تقاليد الرعاة من الترك والمغول لذلك يذهب المقاتلون للحصول على زوجات لهم بين العشائر الاخرى واحياناً يأخذ المقاتل عروساً لأبنه من عشيرة امه وكان تقديم عروس لأهل البيت المالك من امتيازات قبيلة معينة. ولقد عوقبت احدى القبائل لقيامها بتزويج بناتها الى ابنائها لأنها تجاوزت العرف والتقاليد الشعبية ولعل هذه القبيلة خافت من اجبارها على التصاهر مع قبيلة معادية من قبل القآن الذي اصدر بدوره قراراً يرمي الى تشجيع التزاوج بين

---

(1) العريني، المغول، ص 36

(2) الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص 32

* النقرة:- هي القطعة المذابة من الذهب والفضة: انظر الفيروز ابادي، مجدالدين محمد بن يعقوب (ت:817هـ)، القاموس المحيط، اعداد وتقديم محمد عبدالرحمن مرعشلي، ط2 (دار احياء التراث العربي –بيروت – 2003) ص 452

** القندر :- وتعني الكافور والعنبر فالكافور نبات طيب لونه احمر والعنبر طيب ايضا" لكنه يستخرج من حيوان بحري، انظر الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ص 438 – 415

(3) الكامل، جـ 9، ص 330

(4) الامين، حسن، جـنكيزخان وهولاكو والغزو المغولي للبلاد الاسلامية من بغداد الى عين جالوت، ط 2 ، (دار النهار للنشر – بيروت – 1983)، ص 48

(5) حسن، تاريخ الاسلام، جـ 4، ص 132

(6) الذهبي، تاريخ الاسلام، ص 39؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 543؛ دحلان، الفتوحات الاسلامية، جـ2، ص 24

المغول والمسلمين.[1] وللخان الحق في الزواج بمن شاء وكان يأخذ بمبدأ تعدد الزوجات والعادة المتبعة عندهم انه اذا عقد اتفاقاً او تحالفاً مع ملك او
امير فأنه يتزوج من ابنته او اخته اما اذا تغلب عليه وقتله فأنه يتزوج من امرأته.[2]

ومن تقاليدهم ان تئول جميع زوجات الخان الى ابنه الاكبر وله الحق في ان يتزوج بمن يشاء منهن باستثناء والدته[3] ولما كان للمغول من الزواج بعدة نساء الا انهم يفضلون ابنائهم من الزوجة الاولى التي يؤثرها على بقية النسوة وهؤلاء الابناء هم الذين يرثون ابيهم ويطلق عليهم الابناء المعتمدين وللابن الاصغر مزايا يقرها العرف المغولي وهي ميراثه لجميع اراضي وممتلكات ابيه.[4]

العادات والتقاليد:

لكل شعب من الشعوب عادات وتقاليد تختلف من شعب لآخر وهناك عادات مألوفه واخرى غريبة فأما عادات المغول فهي من النوع الغريب الغير مألوف فمثلاً انهم يسمون الطفل بأسم اول داخل الى البيت عند ولادته سواء كان الداخل انسان او حيوان[5] ومن عاداتهم ارسال شعورهم اذ يرون قص الشعر رمزاً للتحول من دين لآخر[6] ومن عاداتهم حضور النساء مجالس الرجال وكان السلطان يصدّر اوامره بأسمه او بأسم خواتينه (زوجاته)[7] الا ان اغرب عاداتهم هي قتل جميع الذين يصادفون جنازة امبراطور منهم اثناء نقلها الى مقرها الاخير خشية ان يتسرب نبأ موته قبل اعلانه رسمياً بالاضافة الى اختيارهم الفتيات الحسناوات ثم قتلهن وتقديمهن قرباناً لأرواحهم[8] ومن عاداتهم في دفن موتاهم هو اختيار موقع الدفن بحيث تكون اماكن الدفن مرتفعة ونائية ربما يعود ذلك لأعتقادهم للقرب من القبه الزرقاء (كوك تنكري) الاله العظيم عند المغول اما السرّية في الدفن فهي خشية من تعرض تلك القبور للسرقة

---

(1) بارتولد، تركستان، ص 651 – 652
(2) خوندامير، غياث الدين محمد بن همام الدين (ت:942 هـ)، تاريخ حبيب السير في اخبار افراد البشر (طهران – 1333 هـ) مج 3، جـ 1، ص 17
(3) الصياد، المغول، جـ 1، ص 352
(4) الجويني، جهانكشاي، جـ 1، ص 21 – 22
(5) الندوى، على ابوالحسن بن عبدالحي بن فخرالدين الحسيني، رجال الفكر والدعوة الى الاسلام ط 3 ، (دار ابن كثير – دمشق – 1420 هـ / 1999 م) ص 300
(6) الخالدي، العالم الاسلامي والغزو المغولي، ص 218
(7) العبادي، احمد مختار، تاريخ الايوبين والمماليك (دار النهضة للطباعة والنشر – بيروت – 1995)، ص 128
(8) رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 30

لما تحتوية من كنوز ونفائس[1] وكان المغول يتشائمون من اراقة الدماء الملكية النبيلة[2] وهذا الامر جعل ملوكهم محاطين بهالة من الاحترام والتقديس نتيجة للبداوة الغالبة على المغول والجهل متفشياً بينهم فان ذلك قد روج بينهم سلسلة من الخرافات والعادات السيئة فمثلاً كانوا يعتقدون ان للشياطين تأثيراً كبيراً على حياتهم وكانوا يخشون السحر ويخافونه وقد تضمنت الياسا احكاماً شديدة رادعة على كل من يتهم بالسحر والشعوذة بقصد الضرر بالغير وكان ينظرون الى طائفة الكهنة من البوذيين على انهم وحدهم هم الذين يستطيعون ابطال تأثير السحر ودفع ضرره ويعرف كل واحد منهم بأسم (بخشي) والساحر الملم بضروب السحر يقال له ((قام))[3] ولقد كان هؤلاء الكهان يزعمون انهم يستطيعون تسخير الشياطين كما ان ذوي الارواح الشريرة يألفونهم ويأتمرون بأمرهم وقد يرون على التنبؤ بالغيب عن طريق تحضير الشياطين والارواح وجرت عادة المغول على ان يبرموا الامور وفق مايشير به هؤلاء الكهان[4] وكانوا يلجأون الى طريقة بدائية يعتقدون انها تعينهم على التنبؤ بالغيب وكشف الاسرار وتتلخص في انهم كانوا يضعون عظم كتف خروف مدة في النار حتى يسود ثم ينظرون فيه بدقة فاذا كان العظم سليماً لم تؤثر فيه النار ولم يحدث فيه كسر عرفوا ان ابرام هذا الامر سوف يأتي وفق المرام فيمضون في طريقهم اما اذا جائت النتيجة بخلاف ذلك وانكسرت العظام واحترقت عرفوا ان مايقدمون عليه سوف لاتكون عاقبته سليمة فيمتنعون عن المضي فيه[5].

وحكت امرأه وقالت:- كنت في اسرهم مدة فاتفق ان الرجل الذي سباني مرض فقالوا اقاربه: لعل هذه المرأه اطعمته شيئاً فهمّوا بقتلي والمريض كان يمنعهم فاجتمعوا يوماً اجتماعاً عظيماً واحضروا معزاً اركبوني عليها وجاءت امرأه ساحرة بمنجل في يدها تديره وتقرأ شيئاً والجمع قيام عندي بالسيوف المسلوله فأذا بالمعز صاحت صيحة فرجع القوم وخلّو سبيلي وقالوا : ليس هذا كما ظننا[6].

---

(1) حيدر، عبدالرحمن فرطوس، الايلخان هولاكو ودوره في قيام الدولة الايلخانية اطروحة دكتوراه (كلية الادب – جامعة بغداد – 1424 هـ / 2003 م)، ص 56

(2) القزاز، الحياة السياسية، ص 106؛ الرفيعي، عبدالامير، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، (دار الفرات للنشر والتوزيع– بيروت– 2002) جـ1، ص 132

(3) رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 124؛ اقبال تاريخ مفصل ايران، جـ 1، ص 86

(4) الصياد، المغول في التاريخ، جـ 1، ص 353

(5) رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 59

(6) القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص 581 – 582

الفصل الثاني

النظام الاداري للمغول

عد المؤرخون قديماً وحديثاً ان جنكيزخان هو المؤسس الحقيقي لأمبراطورية المغول دون منازع ولم يكن لها ذكر قبله[1] فبعد ان استطاع توحيد القبائل واخضاعها تحت زعامته اضحى ذا مكانه وقوه مما جعله يعقد القوريلتاي* (مجلس النبلاء) وذلك سنة 603 هـ /1206م أي توحيد منغوليا وفي هذه المناسبة اتخذ رداء السلطنة ووضعت لأول مرة نظم الامبراطورية[2] وبما ان مغول جنكيزخان كانوا على مستوى منخفض جداً من الحضارة لذلك حرص جنكيزخان على الافادة من خبرة سكان البلاد المغلوبة في ادارة شؤون بلاده. [3] وبعد ان استتب الوضع في منغوليا لصالحه بدأ ينظم ادارة امبراطوريته فخصص عشرة مناصب بالبلاط لمباشرة شؤون البلاد المدنية والادارية والعسكرية فقد كان يعهد بكل وظيفة الى شخص اوعدة اشخاص وذلك على النحو الاتي[4].

---

(1) الجويني، جهانكشاي، جـ 1، ص19-21؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ص 186

*القوريلتاي في الاصطلاح المغولي عبارة عن مجلس عظيم حافل يضم جميع الامراء واركان الدولة وينعقد لجملة امور اهمها تنصيب احد اعضاء الاسرة المالكة امبراطورا"، رشيدالدين، جامع التواريخ مج 2، جـ1، ص 234

(2) بارتولد، تركستان، ص 546

(3) العريني، المغول، ص 58

(4) اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ 1، ص 89

وظائف خدمية للسلطان

1-أربعة رجال وظيفتهم حمل السهام والاقواس وهو ما عرف فيما بعد بأسم (منصب قورجي) أي رامي السهام[1] وثلاثة اشخاص[2] وقيل اربعة مشرفين على انواع الشراب وهناك مشرفين في الصباح ومشرفين في المساء على انواع الشراب، والمشرف هو الموظف الذي عرف فيما بعد بأسم (بكاول اوباورجي) [3] وشخص واحد يقوم بتهيئة المراعي للاغنام ومشرف على تجهيز العربات ويسمى تركين وهي الوظيفة التي عرفت في الازمنة التالية بوظيفة (البورتجي) [4] وشخص يشغل وظيفة جربي* وهو مشرف على (موظفي الخاصة) أي الموظفين والخدم في قصر الخان[5] واربعة اشخاص لتناوب الحراسة وحمل السيوف وكان ((جوجي قسار)) وهو اخو جنكيزخان رئيساً لتلك الطائفة واثنان يقومان بالمحافظة على الخيول والعناية بها وتدريبها ويطلق على الشخص المكلف بهذا العمل (اختة جي)** وكان ((بيلكوتاي)) اخً آخر لجنكيزخان هو احد هذين الشخصين. [6] وثلاثة اشخاص يكلفون بالمحافظة والاشراف على مراعي الخيول والمواشي واربعة اشخاص يلقبون بـ((الاسهم القريبة والبعيدة)) ويسمى هؤلاء بالمغولية (خولاً واويراً) كانت وظيفتهم الاضطلاع بمهام شخصية للخان كمنصب السفارة في اغلب الاحيان وقد عرفت عادة ارسال ((مبعوثين السهام)) [7] وهو مصطلح خاص على الاسهم في الامبراطورية المغولية التي كانت تودع بها الرسائل السريّه واثنان من النبلاء يعهد اليهما بالمحافظة على النظام في اجتماعات المغول[8] الا ان بارتولد يؤكد عدم تحديد طبيعة وظيفتهما ووصفهما انهما قد يكونا المستشارين الرئيسيين للخان احدهما يجلس على يمينه ولآخر على يساره. [9]

بالاضافة الى هذه الوظائف العشرة كان هناك وظائف اخرى لا تقل اهمية عنها والتي من ابرزها.

2-وظيفة الداروغجي: وهي احدى الوظائف المغولية وتعني (النائب لرئيس الدولة) أي يكون نائب للخان في المدن الاخرى الى جانب الحاكم المحلي ومن اهم واجباته هي

---

(1) مؤلف مجهول، التاريخ السري، نقلا" عن بارتولد، تركستان، ص 546

(2) مؤلف مجهول، التاريخ السري، نقلا" عن اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ 1، ص 89

(3) مؤلف مجهول، التاريخ السري، نقلا" عن بارتولد، تركستان، ص 546

(4) رشيدالدين، جامع التواريخ، نقلا" عن الصياد، المغول في التاريخ، جـ 1 ص 359

* جربي: ومعناها (صادق القلب وطاهر السريرة) انظر، بارتولد ، تركستان، ص 547

(5) بارتولد، تركستان، ص 546

** اختة جي او اختاجي: كلمة مغولية بمعنى راعي الخيل والقائم على الاسطبل واختة تعني الحصان، رشيدالدين جامع التواريخ، مج 2 جـ1،ص 228؛ بارتولد، تركستان، ص 546

(6) اقبال ، تاريخ مفصل ايران، جـ 1، ص 89

(7) بارتولد، تركستان، ص 547

(8) الصياد، المغول في التاريخ، ص 359

(9) بارتولد، تركستان، ص 547

احصاء السكان وجمع الجيش من اهالي تلك المدن واقامة وترتيب طرق البريد وجمع الضرائب بالاضافة الى ارسال الخراج الى البلاط. نفهم من هذا الداروغجي كان يقوم بوظيفة الحاكم العسكري وجامع الضرائب في ان واحد كما انه كان يشرف على تسيير البريد الى الحكومة المركزية في منطقته[1].

3-وظيفة بيكي: وهي وظيفة وجدت قبل جنكيز خان بعهد طويل ولفظ بيكي يعني كبير القساوسة أي اعلى المناصب السلطة الدينية فنجد جنكيز خان عند تنظيمه للادارتين العسكرية والمدنية عين رجلاً لملئ وظيفة بيكي وغالباً ما يكون في هذا المنصب اكبر افراد القبيلة[2].

4-وظيفة البيتكجي: وهو الذي يقوم بكتابة الرسائل وتحريرها[3]. ووضع المغول لكل بلد او ولاية اسماً ذا معنى خاص وتتبين درجات الحكام ومراتبهم من اسماء تلك المدن بحيث لا يحتاج الى كتابتها في المراسيم فهي تبين قدر كل حاكم وفي أي مرتبة يجلس في حضرة الخان ومن كل مرتبة يعرف اي الحكام ينبغي عليه ان يستقبل الحاكم الاخر ويركع له تحية واحتراماً وقد سميت المراتب وهي تسع على هذا النحو:

المرتبة الاولى: كينك (ولاية عظيمة بها مقر الخان)
المرتبة الثانية: دو (مملكة بها عرش الخان)
المرتبة الثالثة: فو (عاصمة ولاية)
المرتبة الرابعة: جو (مدينة من الدرجة الثانية)
المرتبة الخامسة:..........*
المرتبة السادسة: كون (ناحية حربية)
المرتبة السابعة: هين (مدينة من المرتبة الثالثة)
المرتبة الثامنة: جين (قصبة)
المرتبة التاسعة: شون (قرية)

وجعلوا للوظائف الكبرى القاباً من ابرزها:

- جينكسانك: وهو لقب الامراء العظام الذين تكون لهم النيابة والوزارة
- طايفو: وهو لقب امراء الجيش
- نكشي: وهو لقب امراء التوامين (التومان عشرة الاف جندي)
- فنجان: وهو لقب الامراء والوزراء ونواب الديوان اذ كانوا من التايزك (المسلمين) او الخطا (صيني الشمال) او الايغور (البوذيين) [4].

والرسم عندهم ان يكون في ديوان الخان اربعة برتبة جينكسانك واربعة فنجان للاقوام المختلفة التايزك، الخطا، الايغور والاركاوون (النصارى) اما مراتب الحكام

---

(1) مؤلف مجهول، التاريخ السري، نقلاً عن بارتولد، تركستان، ص572-573.
(2) مؤلف مجهول، التاريخ السري، نقلاً عن بارتولد، تركستان ص560
(3) رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص242.
* هكذا ورد في النص عند رشيد الدين، جامع التواريخ، ص10
(4) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص9-10

فتكون على هذا النسق 1-جينكسانك 2- طايفو 3- فنجان 4- يوجينك 5- زوجينيك 6- سم جينك 7- سمى 8- لنجون . وفي ممالك الخان اثنا عشر ديواناً كبيراً ((شينك))[1].

القضاء

اليارغو او اليارغوجي وهي وظيفة قضائية يكون صاحبها بمثابة القاضي المغولي الذي تكون احكامه مبنية على اساس قوانين الياسا الجنكيزخانية وتاتي كلمة يارغو المغولية بمعنى العدل والقانون[2].

اما الظلامات فأن كانت متعلقة بالعسكرية فالى امير الالوس . وأن كانت متعلقة بالبلاد والاموال والرعايا فألى الوزير بل اكثر الظلامات لا يفصلها الا الوزير لملازمته باب القاان بخلاف امير الالوس لقلة ملازمته، وليس في هذه البلاد قاعدة محفوظة بل الواسطة تلعب دورها في امور القضاء[3] لقد طرأ على القضاء بعض التغيير خلال معرفة المغول لنظام البصمات فقدتحقق وثبت بالتجربة على واحد وضعوا ورقة الاتهام تحت اصبعه ورسموا خطاً عند موضع البصمة حتى اذا ما انكر بصم على ورقة اخرى وقابلوها بالبصمة السابقة فأن كانت مطابقة لها عجز عن الانكار وكان المتهم يمر بستة انواع من المحاكم وهي درجات تسمى: ليشة، لوشة، جيون، توجينون، زوتستائي، سنو يشه، وبعد مرور المتهم بهذه الدرجات الست من القضاء يعرض امره على الديوان الاعظم ديوان الخان وفي محكمة هذا الديوان يقضى له او عليه وفقاً لفرمان الخان، اما اذا كان المذنب امير فأنه حين يدخل على الخان يوضع على كاهله باب الخيمة مقلوباً اشعاراً له بالذلة والمهانة. [4]

ولم يكن عند المغول قاضي للعسكر بل ان جميع المخالفات التي يرتكبها افراد الجيش كانت تحال الى اليارغو، وكان هناك دواوين لليارغو يتولى امرها امير اليارغو او الياغورجي الذي يشترط فيه ان يكون قد لازم اسلافه امراء اليارغو واطلع على احكامهم وان يتحلى بالنزاهة ويبتعد عن قبول الرشوة وبعد ان يدقق في الخصومات تدقيقاً واسعاً ويرجع الى قواعد الياسا يصدر حكمه الذي يكون مطاعاً من قبل المتخاصمين ولايجوز استئنافه ويساعده في عملة عدد من النواكر وكاتب لكتابة اليارغونامه (الحكم) [5] ان وجود القضاء والمحاكم عند المغول لايدلل بالضرورة على انهم كانوا عادلين في احكامهم لأنها اساساً تستند على قوانين اغلبها جائرة.

---

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص10.
(2) رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، ج1 ، ص227؛ حيدر، الايلخان هولاكو، ص206
(3) القلقشندي، صبح الاعشى، ج4، ص226
(4) رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 11
(5) ابن بطوطة، الرحلة، ص 362؛ العاني، نوري عبدالحميد، العراق في عهد الجلائري (دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد-1986) ص 148

أدارة الامبراطورية المغولية

اعتمد جنكيزخان في ادارة امبراطوريته المترامية الاطراف اعتماداً كلياً على ابنائه الاربعة من زوجته الاولى حيث كان يعهد اليهم بجلائل الاعمال فقسم الاعمال الادارية فيما بينهم فمثلاً نراه يكلف اكبر ابنائه(توشي) بالأشراف على شؤون الصيد وتنظيم القصور وتزيينها واما ابنه الثاني (جغتاي) فقد اوكل اليه تنظيم شؤون القضاء والعمل على تنفيذ احكام جنكيزخان وقوانينه وتوقيع الجزاء والعقاب على المقصرين[1] وجعل ابنه الثالث(اوكتاي) يختص بالشؤون المالية والادارية ويقوم بتنظيم شؤون الملك وتدبير مصالح الناس[2] وفوّض الى ابنه(تولي) مباشرة شؤون الدفاع واعداد الجيوش وكان يدعى ((الغ نويان))* وعلى الرغم من جميع الابناء والاحفاد والاعمام كانوا مشتركين في ادارة البلاد وحيازة الاموال والاملاك الا ان جنكيزخان كان يرى بحق ان الامبراطورية المغولية لايمكن ان تبقى قوية متحدة الا اذا آلت مقاليد امورها الى شخص كفء يخضع له الجميع ويأتمرون بأمرة لذلك وقع اختياره على ابنه ((اوكتاي)) ليكون ولي عهده وخليفته من بعده[3] وسنتناول اسباب اختياره دون اخوته في الفصل القادم.

كما حرص جنكيزخان على ان يوزع بين انصاره والموالين له الوظائف الاساسيه سواء كانت حربية او مدنية فجعل من اقرب الناس اليه واشهرهم في الرماية حرساً خاصاً له[4].

نظام البريد

حظي البريد عند المغول بأهتمام كبير لما له من اهمية في حياتهم السياسية فكان من اهم مهامه تسهيل انتقال مبعوثي القاان وحاملي رسائله[5] ليضمن وصولها بسرعة. [6] وقد انشأ المغول محطات استراحة للبريد (اليام) لربط المدن والاقاليم بشبكة بريدية تكون حلقة اتصال تربط جميع الطرق ويستريح فيها المسافرون من عناء السفر حيث يجدون كل مايلزمهم من اكل وشرب وعلف لدوابهم. [7] لقد بذل جنكيزخان وخلفاءه

---

(1) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص 21؛ رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 17
(2) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 395؛ خواند مير، تاريخ حبيب السير مج 3 جـ1، ص 17
* الغ نويان : وتعني الامير الكبير، انظر رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 160
(3) الجويني، جها نكشاي، جـ1، ص 22
(4) رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 17؛ العريني، المغول، ص 49
(5) بارتولد، تركستان، ص 656
(6) الخالدي، العالم الاسلامي والغزو المغولي، ص 38
(7) اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ1، ص 91

جهوداً كبيرة في تأسيس هذا النظام وكان القصد من انشاءه قبل كل شيء هو تحاشي وقوع الظلم والحيف على الاهالي من جانب عمال الدوله المسافرين في مهام عاجله.[1]
كان البريد من الامور الملقاة على عاتق الجيش. كما كان الجيش مسؤولاً عن جميع اسفار الخان الادارية ولذلك اسست المعسكرات الدائمة في فواصل معينة على طرق المسير ووضعت في كل معسكر منها بعض الجياد وبعض الفتيان لمداراة الخيل وبعض المحاربين لردع قطّاع الطرق والسراق، وكان سعاة الامبراطور الذين يسافرون يجدون في كل خمسة وعشرين ميلاً من طريقهم منزلاً يدعى (دار بريد الخيل) حيث فيه مكان خاص لهؤلاء السعاة مؤثثة بأجمل الاسرّة واغنى الحرير، وتحتوي هذه الدور على اربعمائة جواد والبعض الآخر مائتا جواد فأن من خلال انشاء هذه الدور استطاع الامبراطور من تلقي الرسائل من اماكن على بعد مسافة عشرة ايام بمدة نهار وليلة وقد اعفى الامبراطور هؤلاء السعاة من جميع الضرائب علاوة على منحهم المال. [2] وعيّن للمحطات البريدية موظفون يتولون ادارتها يسمون (اليامجيه) ويساعدهم عدد من الاعوان. [3] اما السعاة الذين كانوا ينقلون الاوامر الرسمية فيسمون (الايلجية) وكان هؤلاء السعاة يلبسون حزاماً عريضاً تتدلى منه اجراس صغيرة تنذر السامعين بقدومهم ويحملون انابيب من ذهب شدّت الى مناطقهم ولفت بداخلها اوراق تحمل اوامر مكتوبة عليها خاتم الخان[4] والذي كان على نمطين استعمل للتمييز بينهما التعبيران التركيان (آل تمغا) (آل تعني احمر وتمغا تعني ختم)[5] و(كوك تمغا) أي الختم الأزرق فالأول يستعمل في الامور العادية اما الختم الازرق فيبدو انه استعمل في المهام الخطيرة فقط على الوثائق الموجهة الى بعض الافراد من الخان. [6] من حق سعاة الخان نفسه ان يوقفوا أي مسافر حتى لوكان قائداً او ترخاناً ليأخذ منه جواده لأتمام مهمته دون ان يعارضه احد. وفيما بعد تطور نظام البريد تطوراً ملحوظاً في عهد خلفاء جنكيزخان[7].

---

(1) بارتولد تركستان، جـ1، ص 656 - 657
(2) لامب، جنكيزخان، ص 43
(3) حيدر، هولاكو، ص 205
(4) الصياد، المغول في التاريخ ، جـ 1، ص364
(5) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص 51
(6) بارتولد، تركستان، ص 554
(7) الصياد، ، المغول في التاريخ جـ 1، ص 364

الكتابة عند المغول

عرف المغول بأنهم كانوا ذا مستوى منخفض من التحضر قياساً بالامم الاخرى وعلى الرغم من ذلك فقد اهتموا بعلم الحساب لضبط المملكة وحصر الدخل والخرج والطب والامزجه والنجوم. [1]

عرف جنكيزخان لاول مرة وهو في بلاد النايمان استعمال الاختام وفن الكتابة أي ان النظام الكتابي لم يظهر عندهم الا بعد ان اخضع جنكيزخان قبائل النايمان سنة 603هـ / 1206 م[2] وكان في خدمة خان النايمان كاتب للسر من الايغور كان يحفظ ختم الخان شغل الوظيفة نفسها ببلاط جنكيزخان وفوق ذلك اسندت اليه وظيفة تعليم ابناء الخان القراءة والكتابة على طريقة الايغور ليستطيعوا تدوين الياسا[3] حيث كان لهم خط خاص بهم وعندما اختلط المغول بهم اخذوا عنهم هذا الخط ودونوا به كتاباتهم. [4] هذا بالاضافة الى انهم كانوا يستفادون من خبرات وعلوم الشعوب التي غلبوها فكانوا يستثنون بعض العلماء والفقهاء واصحاب الحرف من القتل في مجازرهم البشرية[5] ويتبين مما تقدم بأن المغول كانوا اقل تحضراً من الامم الاخرى ولكن هذا لايعني عدم تحضرهم فقد امتازوا بدقـــة التراتيب الادارية والمالية التي كانت العماد لقيام امبراطورية قوية جداًاستطاعت من خلال هذه الانظمة ان تتفوق على سائر الامم الاخرى، وهذا بدوره يؤكد ان المغول لهم اهتمامات علمية لابأس بها وهذا الامر يدحض الراي السائد في بعض الكتابات العربية التي تنعتهم بالهمجية والوحشية وعدم التحضر وعلى مايبدو انه متأتي من كره المؤرخون لهذه الاقوام وخاصة بعد اسقاط الخلافة العباسية سنة 656 هـ .

الصيـــد

اهتم المغول اهتماماً كبيراً بالصيد وخصوصاً في عهد جنكيزخان فقد اشتملت قوانين الياسا على هذا الجانب[6] فقد وضعت قواعد دقيقة للصيد الملكي. [7] فقد نظم جنكيزخان حلقات الصيد التي تدرب الجنود على اساليب الحرب وفنون القتال[8] على شكل مباريات تقام فيمابينهم والتي كان لها الاثر الكبير في حياتهم العسكرية فهي بالاضافة الى كونها رياضتهم المحببة الى نفوسهم الا انهم كانوا يتخذونها وسيلة لأعداد

---

(1) ابن الطقطقي، الفخري، ص 19
(2) بارتولد، جنكيزخان، دائرة المعارف الاسلامية، مج7، ص 132؛ العريني، المغول، ص134
(3) بارتولد، تركستان، ص 553
(4) رشيدالدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1 ص195؛ اقبال تاريخ مفصل ايران، جـ1، ص16
(5) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 410
(6) العريني، المغول، ص 60
(7) بارتولد، تركستان، ص 552
(8) الخالدي، العالم الاسلامي والغزو المغولي، ص 38

انفسهم اذا جد الجد ودعوا لحمل السلاح وخوض غمار المعارك فهم في حلبات الصيد يدربون انفسهم على ما سيفعلونه في وقت الحرب[1] ويطلق على مواضع التجمع للصيد ((الغوورتاي)) أي المحاشر. [2] حيث يقفون صفوفاً منظمه كما يقفون في ميادين قتال تماماً ويأخذون معهم الآلات الازمة للتدريب على استعمالها، وهم بالاضافة الى هذا مكلفون بتتبع اخبار الاعداء والتجسس عليهم. [3] واوكل جنكيزخان امر الاشراف على الصيد الى ابنه توشي[4] بالاضافة الى بعض الامراء الذين كانوا يصطحبون معهم الخواتين والسراري ويتزودون بمختلف المأكولات والمشروبات[5] ان رحلات الصيد بالنسبة لأغلب الشعوب هي رحلات ترفيهيه يستخدمونها للمتعة، اما عند المغول فيختلف غرضها تماماً وهذا ما اكد بارتولد بقوله : لم يعتبر الصيد في دول المغول تزجية للوقت فحسب بل قبل كل شيء وسيلة للحصول على الغذاء فضلاً من انه كان يخدم غرض تدريب الجند على المناورات العسكرية. [6] وتمتد هذه المباريات من شهر الى ثلاثة اشهر ورحلات الصيد هذه لم تكن اقل خطورة من الحرب المنظمة ضد البشر لقد اشترك بهذا الصيد الجيش بكامله اما انظمته فقد وضعها الخان بنفسه وهذا يعني انها قواعد صلبه لاتتغير ومن انظمة الصيد ارسال حملات استطلاعية ومن ثم ينصبوا في مناطق الصيد الانصاب والاشارات وركزوا الاعلام في مختلف الاماكن للدلالة على موضع الشروع لمختلف الكتائب. [7] وعلى الجنود المشتركين فيها ان يباشروا الصيد في تأن وحذر وان ينظروا الى الحيوانات كما ينظرون الى اعدائهم وان من يخطأ الهدف يعاقب وذلك بالضرب بالعصا واحياناً بالقتل[8] وكان من يتجاوز قوانين الصيد يؤدي في بعض الاحيان الى عقوبة الاعدام[9] وبعد الانتهاء من مباريات الصيد توفد رسل الى الخان وهي تحمل اليه تقارير مفصلة من كل ما دار في هذه المباريات التي تشبهه الى حد كبير مناورات الجيوش في العصور الحديثة فهي بالاضافة الى ماتقوم به من تدريب الجند من خلالها ايضاً يحصل المغول على اللحوم اللازمة لمد الجيش والبلاط[10] وابرز من بيّن اهمية الصيد وبيان فوائده من النواحي العسكرية والرياضية والغذائية هو ابن الطقطقي بقوله (ان القنص يشتمل على فوائد كثيرة جليلة النفع منهاً وهو الغرض الاشرف منهً تمرين العساكر على الركض والكر والعطف

---

(1) اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ 1، ص 85
(2) لامب جنكيزخان، ص 125
(3) الصياد، المغول في التاريخ، جـ 1 ص 343
(4) بارتولد، تركستان، ص 552
(5) الجويني، جها نكشاي ، جـ 1 ص 15
(6) تركستان، ص 552
(7) لامب، جنكيزخان، ص 125
(8) اقبال ، تاريخ مفصل ايران، جـ1، ص 85
(9) بارتولد، تركستان، ص 552
(10) الصياد، المغول في التاريخ، جـ 1 ص 343

وتعويدهم الفروسية وادمانهم للرمي بالنشاب والضرب بالسيف والدبوس واعتياد القتل والسفك وتقليل المبالاة بأراقة الدماء وغصب النفوس ومنها اختبار الخيول ومعرفة سبقها وصبرها على دوام الركض ومنها ان حركة الصيد حركة رياضية تعين على الهظم وتحفظ صحة المزاج) [1].

فالمغول يعتبرون الصيد جزءاً لا يتجزء من حياتهم ويحرصون على ممارسته منذ الصغر كما انهم كانوا مغرمين بالمصارعة والمبارزة فهم يجدون لذة في مشاهدة مبارياتها حتى في حملاتهم كانوا يصحبون طائفة من المصارعين. وللفروسية عند المغول مركز ممتاز على اختلاف اعمارهم بل النساء كن يركبن الخيل كرجال. [2]

تنظيم الشؤون الادارية والمالية في عهد اوكتاي

عهد اوكتاي الى وزيره المصلح (ينى ليوتشوتساى) تنظيم الامور الادارية والمالية حيث استطاع ان ينشأ في امبراطورية المغول ادارة حازمة منظمة مستعيناً في ذلك بكتاب وعمال من الصينيين والايغوريين والايرانيين واهل التبت كما نجح في تنظيم الشؤون المالية وضبط عمليات الدخل والخرج والى هذا الوزير يرجع الفضل في اعداد ميزانية ثابتة للامبراطورية المغولية[3] اذ الزم الصينيين بان يؤدوا ضرائب معينة نقداً ونوعاً بما يجري تقديره من اثواب الحرير وكميات الحبوب على حين يدفع المغولي عشرة بالمائة مما يحوزه من قطعان الخيل والماشية والغنم وعندما تم لاوكتاي فتح الصين الشمالية ولي عليها (محمود يلواج) كما نصب ابنه مسعود حاكماً على بلاد ما وراء النهر فقام الاب والابن بتعمير ما خربه المغول واخلصا في خدمة الناس واصلاح احوالهم وادارة تلك المناطق احسن ادارة كذلك تغيرت النزعة البدوية التي كانت في نفس اوكتاي على اثر مخالطته للاقوام المتحضرة غير ان اوكتاي لم يقم على تحقيق الاصلاحات الا بعد موافقة القوريلتاي الذي انعقد سنة 632هـ/1234م وبعد موافقة اخيه جغتاي وجرى تنظيم دواوين المغول على اساس ما هو معروف عند الصينيين والايغور من النظم على انه كان للايغور المكانة الاولى لفترة من الزمن[4].

أنشاء محطات للبريد

اسس اوكتاي داراً للبريد بين قراقورم وبلاد الخطا اطلق عليه اسم (نارين يام) وعلى بعد خمسة فراسخ اقيمت دار للبريد اخرى فبلغ عدد الدور التي اسسها اوكتاي سبعاً وثلاثين داراً واقاموا على كل مرحلة فرقة مكونة من الف جندي للمحافظة على

---

(1) الفخري، ص 47
(2) الصياد ، م .ن ، ص343 0
(3) الصياد ، المغول في التاريخ، ج1، ص189 0
(4) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص93-94؛ العريني، المغول، ص162؛ القزاز الحياة السياسية في العراق، ص53-54

تلك الدور وان سبب انشاء هذه الدور لسد حاجة الامبراطورية من الناحية العسكرية كذلك اصدر القاان امراً بأن يورد اليها كل يوم من الولايات خمسمائة عربة مملؤة بالاطعمة والاشربة وتوضع في المخازن ليقتات المقيمون منها وبالنسبة للحمل والنقل اعدت عربات كبيرة يجر كل منها ستة ثيران[1].

ويرجع اليه الفضل في انشاء هذه المحطات على امتداد الطرق المعروفة وحرصوا على ان يتوفر لكل محطة ما تحتاج اليه من المركبات والسواقين والافراس والمؤونة من الحبوب والغنائم[2] بالاضافة الى ارسال الفتيات الخارجات عن القوانين الى محطات البريد للترفيه عن رسل القاان[3] وقد عمم المغول هذا النظام فافاد في ربط الطرق الرئيسية بين ديار اوكتاي وجغتاي وباتو وفي الحقيقة يرجع انشاء نظام البريد الى جنكيزخان الا انه اكتمل في عهد اوكتاي قاان الذي استفاد بالتجارب السابقة وعمل على تجنب العيوب وفكر اوكتاي ايضاً في حفر الابار على امتداد دروب الصحراء في اسيا الوسطى[4].

انشاء حلقات للصيد

نلاحظ في اعمال اوكتاي انه يكمل ما بدأه جنكيز خان ابتدأ من انشاء العاصمة وانتهاء بتطوير حلقات الصيد التي اولاها عناية كبيرة لاهميتها عندهم فقد امر اوكتاي ان يقيموا جدار من الاخشاب والطين على مسافة يومين وصنعوا له الابواب وسموه (جيهيك) لتكون حلقات للصيد ففي وقت الصيد كانوا يخبرون الجنود في الاطراف لكي يشتركوا جميعاً في الصيد فكانوا يتوجهون نحو الحائط حيث يدفعون بحيوانات الصيد وعلى مسافة شهر من الطريق كانوا يزاولون الصيد لحظة فلحظة ويطاردون حيوانات الصيد الى (جيهيك) ثم يحدق بها الجنود وهم وقوف جنباً الى جنب. وكان اوكتاي يدخل-اولاً مع خاصته ويشاهد المباريات مدة من الزمن ويزاول الصيد بنفسه حتى اذا تعب اعتلى ربوة في وسط الساحة ثم يدخل الامراء الأنجال والاوامر حسب ترتيبهم وياخذ العامة والجنود في الرمي وعندئذ كان يطلق سراح بعض الحيونات من قبيل الرحمة والشفقة، على حين ان (البكاولان) أي المشرفين على الطبخ كانوا يقومون بتوزيع كل لحوم حيوانات الصيد بعد طبخها على كافة طبقات الامراء والانجال وقواد الجيش بحيث انه لا يبقى هناك احد بغير نصيب وكانت تلك الطائفة تنال كافة ضروب الاعزاز والتكريم وبعد تسعة ايام من الولائم والاحتفالات اخذت كل جماعة تعود الى مواطنها وديارها[5].

---

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص604؛ القزاز الحياة السياسية ص53
(2) العريني، المغول، ص162
(3) بارتولد، تركستان، ص651
(4) الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص192
(5) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص61-62

توزيع الكنوز والاموال على الرعية

لقد عرف عن اوكتاي بانفاقه الكبير-للاموال والكنوز على رعاياه فقد كان يقول ان اولئك الذين جدوا في جمع الاموال وكنزها لم يكن لهم ادنى نصيب من العقل اذ انه ليس هناك تفاوت بين المال المدفون والتراب لان كليهما في المنفعة سواء، وكان يقول:حيث انه وقت حلول الاجل لا تفيد الكنوز اية فائدة كما انه لا يمكن العودة من العالم الاخر فاننا سوف نودع كنوزنا في زوايا قلوبنا سوف نمنح المرءوسين وارباب الحاجات كل ما هو موجود ومعد لدينا او ما يصل الينا وذلك حتى تدخر الذكرى الطيبة[1]. وتاييد لهذه الاخبار ذكر الجويني مجموعة قصص تربوا على اربعين قصة تبين فيها كرم وجود اوكتاي[2]. الا اننا نلاحظ ان هناك خلط في نسب هذه القصص في بعض الاحيان لجنكيز خان[3] ولقد اخترنا هاتين القصتين.

كان هناك شخص في قراقورم في غاية الفقر وقد صنع كأساً من قرن ماعز جبلي وجلس في طريق القاان حتى اذا ما وصل نهض الرجل وقدم له الكأس فأخذها وامر بان يعطى خمسين كيساً من النقد فصار احد الكتاب يكرر العدد معترضاً فقال القاآن: الى متى اقول لكم لاتعترضوا على عطاياي ولاتحرموا السائلين من مالي اعطوا الرجل على الرغم من هذا مائة كيس[4]. حدث في احدى السنوات ان نزل صقيع اتلف القمح وقت نموه، وفي قراقورم لم يتيسر الحصول على مّن من القمح بدينار واحد بسبب اشتداد هذه الازمة فامر القاآن بان ينادوا بألايدع الاشخاص الذين كانوا قد زرعوا قمحاً للهم سبيلاً الى نفوسهم لأننا سنعوضهم من الخزانة عن كل ماخسروه فليسقوا زرعهم مرة واحدة فاذا لم يأت المحصول فسوف ياخذون عوضه كاملاً من المخزن وكذلك فعلوا، وفي تلك السنة انتج الزرع محصولاً وافراً لا نهاية له. [5]

العملة عند المغول

من ابرز العملات النقدية عند المغول هي البالش وهي وحده نقدية كان المغول يستخدمها في عهد جنكيزخان[6] وكلمة (بالش) تعني الصرة او الكيس من الذهب او الفضة. [7] اما عن قيمته فيقول الجويني ان البالش عبارة عن خمسمائة مثقال من

---

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص72-73

(2) جهانكشاي، جـ1، ص106-120

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص129-130

(4) الجويني، جها نكشاي، جـ1ان ص118؛ ميرخوندا، محمد سيد برهان الدين خواندشاه (ت:903) تاريخ روضة الصفا، (تهران - 1339 هـ) جـ 5 ص 157

(5) الجويني، جهانكشاي، جـ 1، ص 20 1؛ رشيدالدين، جامع التواريخ، ص87

(6) بارتولد، بالش، دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة احمد الشناوي واخرون، دار الفكر، مج 3، ص 303 - 304

(7) رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 73

الذهب او الفضة وقيمة البالش الفضي في المناطق التي يسيطر المغول تبلغ خمسة وسبعون ديناراً[1] وفي عهد خلفاء جنكيزخان اسس عدد من المدن كانت تسك بها العملات. ومما يلفت النظر ان كل مدينة كانت لها عملة خاصة بها تختلف شكلاً ورسماً عن عملة غيرها مع تقارب قيمة العملتين ومع هذا فقد كان شكل العملة في عهد المغول اكثر تقارباً منه قبل ذلك العهد وبعده وقد ظهر في كل تلك الدول التي اقامها المغول ماعدا دولتهم في الصين نظام خاص للعملة فكانت اكبر قطعة من النقد تسمى (ديناراً) واصغر قطعة تسمى (درهماً) وكان الدينار يساوي ستة دراهم. هذا بالاضافة الى انه كان لكل مدينه طابع خاص بهم يظهر في شكل العملة ونقشها ونوع حروفها[2].

- المنسوجات عند المغول

لقد تأثر النسّاجون المغول بزخارف المنسوجات الصينية الى حد كبير بسبب ازدياد الوارد من هذه المنسوجات وكثرة غزوات المغول واتساع التجارة مع الشرق الاقصى وبسبب اقبال القوم على تقليدها والنسج على منوالها فاقبل النساجون على تقليد الموضوعات الزخرفية الصينية من الحيوانات كالتنين والعنقاء والنباتات والازهار فضلاً عن رسوم السحب الصينية التي امتازت بها المنسوجات الصينية. وقد عرف النساجون في ذلك الوقت تنظيم الزخرفة في اشرطة لتزينيها خطوط هندية مستقيمة او متكسره او متقاطعة ومن الموضوعات الزخرفية التي اقبل عليها النساجون رسوم الفروع النباتية ((الارابسك)) وهي من ابرز ماتوصل اليه الفنانون العرب في ميدان الفنون الزخرفية وقد لاحظ المتخصصون في صناعة النسيج ان عصر المغول لم يأت بجديد في هذا الميدان بل ان بعض الانواع الدقيقة لم يتقنها النسّاجون المغول فضلاً عن ان الالوان قل بهائها وتنوعها ويرجع ذلك الى مراعاة الذوق السائد في تلك الايام.[3]
اما عن صناعة التحف في العصر المغولي فقد ظل على الوضع الذي كان عليه قبل اغتصابهم الحكم من العباسيين فورثوا انواعاً من التحف استفادوا منها في صناعتهم والمعروف ان دولة المغول قد انصرفت منذ تأسيسها الى التوسع والغزو واكتساح الحضارات التي كانت قائمة. [4]

قانون الياسا (الياسق)

---

(1) جهانكشاي، جـ 1، ص12
(2) بارتولد، تاريخ الترك، ص 172 -173
(3) العبيدي، صلاح، الفنون الزخرفية العربية الاسلامية (مطبعة التعليم العالي- بغداد- 1980، ص 283
(4) العبيدي، الفنون الزخرفية، ص 75

اسباب تشريعه

بعد ان آمن جنكيزخان شر اعداءه والقضاء على ابرز خصومه فكر في ترقية حالة بلاده الاجتماعية بوضع قانون اشبه بكتاب ديني يسيرون على هديه في معاملاتهم واحكامهم[1] فقد جمع ماكان سائداً من نظم وتقاليد قبلية مبنية على تجارب تلك المجتمعات فرتبها ووسعها ووضعها في اطار قانوني هدفه تنظيم الحياة العامة في المجتمع المغولي[2] وقد عمد الى رفع العادات الذميمة وابقى على العادات الحسنة والجيدة[3] لذلك اقتصر دور جنكيزخان على تطوير هذه العادات واختيار الصالح منها بشكل يلائم تطور المجتمع المغولي الجديد وليس وضعها[4] فقد جمع جنكيزخان عقلاء مملكته واذكياء قبيلته للمشاركة في وضع قانونهم[5] ففي سنة (603هـ/1206م) عندما انعقد مجلس القوريلتاي اعلن فيه قانون الياسا حيث حدد فيه علاقة الحاكم بالمحكوم وعلاقة المحكومين بعضهم ببعض وعلاقة الفرد بالمجتمع[6]حيث رتبه على شكل كتاب اسماه السياسة الكبيرة[7] وقيل (الياسق الكبير)[8] الا ان الاسم المألوف والاكثر شيوعاً هو((الياسا الكبير)) حيث ذكر فيه ان لكل حسنة مثوبة ولكل سيئة عقوبة[9].

- معنى الياسا

الياسا وهي كلمة مغولية تعني السياسة[10] وقيل ان معناها الحكم او القاعدة او القانون وقد وردت في المصادر العربية والفارسية والاجنبية في صور مختلفة مثل (ياسا، ياسة، يساق، ياساق)[11]، يسق، وتأتي بمعنى الترتيب[12] ومنهم من كتبها بالصاد وليس بالسين أي (ياصا)[13] وقيل ان ياسه هي كلمة تركية قديمة تعني

---

(1) حسن، تاريخ الاسلام، جـ 4، ص 136

(2) الرفيعي، العراق، ص 93

(3) ناجي وآخرون، الدولة العربية في العصر العباسي، ص 473

(4) القزاز، الحياة السياسية، ص 19

(5) القرماني، اخبار الدول واثار الاول، ص 284

(6) الامين، حسن، الاسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، (الغدير للطباعة والنشر والتوزيع- لبنان-1417هـ/1997م) ص 77

(7) ابن خلدون، العبر، مج 5، ج5، ص 526

(8) القرماني، اخبار الدول، ص 284

(9) العمري، ياسين بن خيرالله، الروضة الفيحاء في تاريخ النساء، تح د0 رجاء محمود السامرائي، (الدار العربية للموسوعات - بيروت - 1987)، ص 350

(10) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ 4، ص 314

(11) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج 5، جـ 1، ص11؛ العريني، المغول، ص 59

(12) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، تح احسان عباس(دار صادر ـ بيروت-1973) مج 2 ص 302؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ 13 ص 117

(13) فامبري، تاريخ بخارى، ص 161؛ لامب، جنكيزخان، ص 51

القانون الاجتماعي او المذهب وهذا يعني انها تعطي نفس المدلول عند المغول وذكر ايضاً ان كلمة سياسية اصلها (ياسة) فحرفها اهل مصر وزادوا بأولها سيناً فقالوأ ((سياسه))[1] ويختلف بارتولد مع ماسبقه في لفظها فيقول ان صيغتها الاكمل هي اليساق وبالمغولية جساق[2] والى جانب ياسا استخدم كلمة (يوسون) التي تعني التقاليد ويوسون[3] هي مخفف ياساق بمعنى اوامر و نواهي او زواجر و موانع وتأتي ايضاً بمعنى (تعاليم وقواعد) [4] والطريقه الرسم[5] وبعد ان جمع جنكيز خان ابرز الاداب والتقاليد التي لم تكن مدونة في السابق اضاف اليها بعض الاحكام والقواعد وجعل لها صيغة رسمية كما امر ان يتعلم اطفال المغول الخط الايغوري* كما امر ان تدون تلك النظم والاحكام بهذا الخط وان تحفظ في خزائن امراء المغول[6].

ان مجموع الاحكام المكتوبة بالخط الايغوري يطلق عليها اسمً ياسا نامة برزكً[7] أي(كتاب الياسا الكبير) ويرجع اليها المغول في حالات معينة فمثلا عندما يجلس خان جديد على عرش المغول او عندما يعقد مؤتمر عام يحضره الامراء لمناقشة السياسة العامة للدولة وكذلك في حالة تعبئة الجيوش والاستعداد للقتال[8] ان قوانين الياسا نسخت كل ما سبق من قوانين العرف وهذه القوانين صدرت مجزاة طوال حكم جنكيز خان حيث حددت ما لرؤساء العشائر من حقوق وامتيازات وما هو مقرر للخان من شروط الخدمة وغيرها من الخدمات وقواعد نظام الضرائب فضلاً عن مبائ القانون الجنائي والمدني والتجاري[9].

---

(1) المقريزي، الخطط، جـ 2، ص 220

(2) تركستان، ص 114

(3) رشيدالدين، جامع التواريخ، مج 2 جـ 1، ص 193

(4) العزاوي، العراق بين احتلالين، جـ 1، ص 148

(5) اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ 1، ص 78

* الخط الايغوري، الايغور هم قوم من الاتراك كانوا يدينون المسيحية والبوذية والمانوية وهم اكثر اقوام الاتراك والمغول تمدناً كانوا يقطنون شمال شرق تركستان وكان لهم خط خاص بهم هو الخط الايغوري وعندما اختلط بهم المغول اخذوا عنهم هذا الخط ودونوا به كتاباتهم، رشيد الدين ، جامع التواريخ ، مج2، ج1، ص195؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص45-49 0

(6) الجويني ، جها نكاشاى، ج1، ص14 0

(7) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، مج5، ج1، ص211 0

(8) اقبال، تاريخ مفصل ايران ، ج1، ص78؛ حسن، الاسماعليون والمغول ، ص77 .

(9) رنسيمان ، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة د.السيد الباز العريني (مطبعة النجوى – دار الثقافة-بيروت-1389هـ/1969م) ج3، ص16-17 0

ابرز قوانين الياسا

من جملة ما شرعه جنكيزخان في الياسا هو:

مقت السرقة والفحش مقتاً خاصاً وعقاب صاحبهما الاعدام. [1] ومن زنا قُتل ولم يفرق بين محصن وغير محصن، ومن قام بعمل قوم لوط قتل. [2] ومن تعمد الكذب او السحر او التجسس على احد قتل، ومن دخل بين اثنين وهما يتخاصمان واعان احدهما على الاخر قتل ومن بال في ماء او على رماد قتل، ومن اعطى بضاعة للتجارة فخسر فيها ثلاث مرات قتل في الثالثة، من وجد عبداً هارباً او اسيراً قد هرب ولم يرده الى صاحبه قُتل[3]، ومن اطعم اسير قوم او كساه بغير اذنهم قتل، ومن وقع حمله او قوسه اوشيء من متاعه وهو يكر اويفر في حالة القتال وكان وراءه شخص فأنه ينزل ويناول صاحبه ما سقط فأن لم ينزل ولم يناوله قتُل[4] ومن ذبح حيواناً كذبيحة المسلمين ذبح بل ان الحيوان تكتف قوائمه ويشق بطنه ويمرس قلبه الى ان يموت ويؤكل لحمة[5].

ومن ادابهم المستعملة في قوانين الياسا:

لايختص احد بأكل شيء وغيره يراه بل يشركه معه في اكله لايتميز احد منهم بشبع على اصحابه واذا مرّ احدهم بقوم وهم يأكلون فله ان ينزل وياكل معهم وليس لاحد ان يمنعه[6] ومنعهم جنكيزخان من غسل ثيابهم بل ليبسونها حتى تبلى ومنع ان يقال لشيء انه نجس وقال جميع الاشياء طاهرة ولم يفرّق بين طاهر ونجس[7]، وان لايأكل احد طعاماً حتى يأكل المطُعم منه اولاً ولو كان المُطعم اميراً والاكل اسيرا[8] ولايخطوا احد موقد نار ولا طبق طعام رأه وان لايدخل احداً يده في الماء بل يأخذ ملء فيه ويغسل وجهه ويديه[9] ومن عاداتهم في الاداب التي ذكرتها الياسا هي: اشتراط تعظيم جميع الملل من غير تعصب لمله أو اخرى وجعل ذلك كله قربة الى الله تعالى، ومنع من تضخيم الالفاظ وروائع الالقاب فلا يخاطب الشخص مهما علت مكانته الا بأسمه، وشرط على ان لايكون على احد من ولد علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) مؤنة ولاكلفة وان لايكون على احد من الفقراء ولاالقرّاء ولا الفقهاء ولا الاطباء ولامن عدهم من ارباب العلوم واصحاب العبادة والزهد والمؤذنين ومغسلي الاموات كلفة ولا مؤنة

---

(1) القرماني، اخبار الدول واثار الاول، ص 284؛ لامب جنكيزخان، ص 51
(2) المقريزي، الخطط، جـ 2، ص 220؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ 1، 240
(3) الجويني، جهانكشاي، جـ 1، ص 14 ـ 15؛ الخضري، تاريخ الامم الاسلامية ص 468
(4) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ 4 ، ص 315؛ العريني، المغول، ص 60
(5) رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 74؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ 13، ص 119، النبراوي، العلاقات السياسية، ص 272
(6) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ 4 ، ص 315؛ الامين، الاسماعيليون والمغول، ص 78
(7) المقريزي، الخطط، جـ 2، ص 220
(8) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ 13، ص 119
(9) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ 4، ص 315

أي اعفاهم من الضرائب[1] ان هذه الصورة التي رسمها لهم الجويني لم تظهر الا بعد اكثر من اربعين سنة من احتكاكهم بالمجتمعات الموحده كالمسيحيه والاسلام وهي لاتتفق مع اعمال المغول في زحفهم على البلاد الاسلاميه وذبحهم حتى رجال الدين وتحويل المساجد الى اسطبلات لخيولهم.

ومن قواعد الياسا الاخرى :

وان لا يتعرضوا لمال ميت اصلاً ولو ترك ملء الارض ولايدخلونه خزانة السلطان[2] ونهى عن الافراط في شرب الخمر لأنه يفقد العقل ويقلل الكفاءة فقال اشربوا ثلاث مرات في الشهر الواحد لااكثر والافضل الاتشربوا[3]، تحريم اعدام أي احد من افراد البيت المالك الابقرار اجماعي[4] وان كل من احب امرآة بنتاً اوغيرها ان لا يمنع من التزوج بها ولو كان زبالاً والمرآة بنت الملك وكان غرضه ان يتضاعف نسلهم ويكثر عددهم[5]. وللعلاقات الاسرية والاجتماعية نصيب ايضاً في احكام الياسا فقد صرح جنكيزخان في الياسا بانه يغضب اذ علم بولد لايطيع ابويه او بأخ صغير يخالف امر اخيه الاكبر او بافتقار الزوج الى الاعتماد على زوجته او بمخالفة المرأة زوجها او تمنع الغني عن اعانة الفقير او التقاعس عنها او بعدم احترام المرؤوسين لرؤسائهم[6] وكان من جملة ماقرره الخان ان اذا حرم شيئاً فلا يحل له ان ياتيه الى الممات وقرر لهم من رعف وهو ياكل قتل كائناً من كان والذي لايعمل به يقتل ايضاً واراد ان يتخلص من جماعة يضمرون له الحسد ويستصغرونه فتركهم يوماً وهم على سيماطه ورعف نفسه فلم يجسر احد ان يمضي فيه حكمه لمهابته وجبروته فتركوه ولم يطالبوه بما قرره وهابوه في ذلك فتركهم اياماً وجمعهم وقال لهم لاي شئ ما امضيتم حكم اليسق فيّ وقد رعفت وانا بينكم؟ فقالوا: لم نجسر على ذلك فقال لهم: لم تعلموا باليسق ولا امضيتم امره وقد وجب قتلكم فقتل اكابرهم واستراح منهم[7].

وشملت الياسا ايضاً:

اقامة البريد حيث امر به جنكيز خان لمعرفة اخبار مملكته بسرعة[8] كما امر بتنظيم حلقات الصيد لما لها من الاهمية في التدريب على اساليب الحرب[9].

---

(1) الجويني، جهانكشاي، جـ 1 ص 14؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ 1 ص 241
(2) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ 4، ص 315
(3) لامب، جنكيزخان، ص 52؛ شلبي، الموسوعة، جـ 7، ص 559
(4) بارتولد، تركستان، ص 682
(5) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، جـ1، ص 302
(6) لامب، جنكيزخان، ص 51
(7) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، جـ1، ص302-303
(8) المقريزي، الخطط، جـ2، ص221؛ الخضري، تاريخ الامم، ص468
(9) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص15-16؛ العريني، المغول، ص60؛ الامين، الاسماعيليون والمغول، ص79

ومنع السباحة او مس الماء منعاً باتاً عند الرعد وهبوب العواصف ومن مبادئ الياسا التعاون فيما بينهم وامحاء الشعوب الاخرى[1].

ابرز قوانين الياسا الحربية والعسكرية

الزم القائم بعده (النائب عنه) بعرض العساكر واسلحتها اذا اراد الخروج للقتال وان يعرض كل ما في عسكره حتى الابرة والخيط فمن وجده قد قصر في شئ مما يحتاج عند عرضه اياه عاقبه، والزم نساء العساكر بالقيام بما على الرجال في مدة غيبتهم في القتال[2] ورتب لعساكره امراء وجعلهم امراء الوف ولمائة والعشرة وجعل على العساكر اذ قدمت من القتال كلفة يقومون بها للسلطان ويؤدونها اليه والزم عساكره عند راس كل سنة بعرض سائر بناتهم الابكار على السلطان ليختار منهن لنفسه وحاشيته[3]، وان اكبر الامراء اذا اذنب ذنباً بعث اليه الملك اخس من عنده لكي يعاقبه فانه يلقي نفسه الى الارض بين يدي الرسول وهو ذليل[4] وان لا يتردد الامراء لغير الملك فمن تردد قتل ومن تغير عن موضعه الذي يرسم له بغير اذن قتل[5]، ان يقدم للقيادة من كان عاقلاً شجاعاً، ومن قوانينه ان ياتيه القواد كل سنة من رتبة (اونباشي) أي آمر حضيرة الى (نويان) امر فرقة فيواجهونه ويتلقون منه الاوامر ويصغون الى نصحه وقال: ان من فعل ذلك تمكن ان يصير قائداً لجيش عظيم ومن لا يفعل فلا يصلح للقيادة، وان لا يتركون ميدان القتال واللواء مرفوع ولا ينسحبون عن موقع اذا احتلوه ولا يتخلون عن عدو دون ان يقضوا عليه[6].

البيليك

البيليك: وهو لفظ تركي معناه المعرفة[7] وقيل انه ياتي بمعنى الحكمة[8].

والبيليك: هو قيام المغول بتدوين اقوال خاناتهم ثم نشرها بعد وفاتهم وهي تتم بموافقة الخان نفسه الذي كان في مثل هذه الاحوال يجهد في صياغة الفاظه شعراً او على الاقل في قالب مسجوع يقول بارتولد: لقد دفعت انتصارات المغول الرائعة الى تقوية الوعي لديهم وولد هذا بدوره الرغبة لدى خاناتهم في التعرف على ماضيهم

---

(1) لامب، جنكيز خان، ص52
(2) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص316
(3) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص119
(4) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص17؛ المقريزي، الخطط، جـ2، ص221
(5) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص316؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص342
(6) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص17؛ العزاوي، العراق بين احتلالين، جـ1، ص133؛ لامب، جنكيز خان، ص56
(7) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص156؛ بارتولد، تركستان، ص114
(8) الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص350

وتسجيل امجادهم الماضية وبطولات اسلافهم حتى لا يطويها النسيان[1] وفعلاً ان مجازرهم التي ارتكبوها في البشرية لا تزال خالدة في الذاكرة على مر الزمن. لم يكن كتاب البيليك احراراً في كتابة كل ما يقوله هؤلاء الملوك فكانوا يدونون فقط ما يجيزه الخان وهذا القسم من احاديث المغول كان يقدره رعاياهم وينزلونه من انفسهم منزلة التوقير والاحترام[2].

ومن اشهرها كان بيليك جنكيز خان الذي اصبح موضوعاً للمدارسة والمذاكرة فقد جمعت احكامه واطلق عليها ((بيليكهاي جنكز خان)) وصارت مرجعاً لجميع طوائف المغول[3] وكانت تعتبر لديهم مثلها كمثل الياسا مصدر للقوانين المطبقة في الامبراطورية المغولية[4] ويستشهدون بها ويستشيرونها في مختلف شؤون حياتهم كما يستشيرون احكام الياسا ومن اشهر بيليلك جنكيز خان ما ورد على لسانه هو: ان لايؤذ بعضكم بعضاً على امور الدنيا فاذا شعر بعضكم بالم من الاخر فليسارع لازالته حالاً لتكونوا بمأمن من شرور الاعداء[5] وان من يدبر بيته احسن التدبير يتمكن من ادارة المملكة، ومن تمكن من ادارة عشرة افراد واحسن سوقهم يتيسر له سوق جيش عظيم، ومن تمكن من نظافة بيته يستطيع ان يحرس حكومته من السراق واهل الشقاء[6] هذا بالاضافة الى اقوال كثيرة امثال هذه فلو كتبناها كلها لكونا كتاباً ضخماً لذا اكتفينا بهذا القدر.

اهمية الياسا عند المغول وتاثيرها عليهم

كان لنصوص الياسا منزلة كبيرة ومحترمة جداً لدى المغول لدرجة تبلغ التقديس فكانت عندهم بمثابة القران عند المسلمين[7] بحيث لا يجرؤ شخص حتى السلطان نفسه على مخالفة احكامها اما اذا خرج أي شخص عليها فانه يكون عرضة للامتهان والعقاب[8] لا شك ان هذه الشريعة التي وضعها جنكيز خان قد ساعدت على تقدم المغول من النواحي العسكرية والاجتماعية كما حرمت التعرض للاديان والملل وحالت بذلك دون قيام الخلافات الدينية والمذهبية هذا وقد ساعدت هذه الشريعة على وجود جندي قوي ومزود بكامل العدد والعدة وقواد لا يعرفون غير طاعة السلطان وحب

---

(1) تركستان، ص115
(2) الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص350
(3) بارتولد، تركستان، ص114-115
(4) الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص350
(5) بارتولد، تاريخ الترك، ص136؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص350
(6) بارتولد، جنكيز خان، دائرة المعارف الاسلامية، مج7، ص130؛ العزاوي، العراق بين الاحتلالين، جـ1، ص132-133
(7) الذهبي، تاريخ الاسلام، ص28؛ المقريزي، الخطط، جـ2، ص221
(8) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص17؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص349

الوطن وجعلت النساء عنصراً يعتمد عليه في وقت الحاجة كما جعلت من المغول شعباً بصيراً بعواقب الامور يرقى بنفسه عن عيوب المجتمع وشروره فنشأ على المبادئ السليمة التي لا تعني بالالقاب ولا تميز بين الناس مهما اختلفت طبقاتهم وتباينت صفاتهم اما عن تحريم اليساق التميز بين النجاسة والطهارة فلعل من نتائجه عدم غسل الثياب. الى ان تبلى ولعله يرمي من وراء ذلك الى تعويد شعبه على المعيشة الصعبة وتركه الترف الذي يجر الى الضعف فيفسد الروح العسكرية، اما رفع المؤن عن اولاد علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) وتعظيمه لاهل الدين عند المسلمين فلعل جنكيز خان اراد بذلك الامر ان يتودد الى المسلمين بتعظيم ال نبيهم ورجال الدين عندهم في الوقت الذي كان يعمل على الاستيلاء على بلادهم[1].

موقف المؤرخين المسلمين من الياسا

لقد ذكر العديد من المؤرخين ارائهم بالياسا ومحتواها وموقفهم منها ومن ديانتهم فقال القزويني عنهم انهم خارجون عن معجزات رسول الله(صلى الله علية وسلم) [2] في حين يذكر المؤرخ ابن كثير الذي كان له موقف متشدد منها ومن قام باحكامها خصوصاً اذا علمنا ان المغول بالرغم من دخولهم في الاسلام فيما بعد الا انهم كانوا متمسكين ببعض قواعدها التي تخالف الشريعة الاسلامية وقد قال عنها: اكثرها مخالف لشرائع الله تعالى وكتبه وعن قوانينها قال ايضاً: ((وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزلة على عباده الانبياء))عليهم الصلاة والسلام فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) خاتم الانبياء وتحاكم الى غيره من الشرائع المنسوخة كفر فكيف بمن تحاكم الى الياسا وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر باجماع
المسلمين [3].

فقد قال الله تعالى (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)* وقال القلقشندي عنها: هي قوانين خمنها من عقله وقررها من ذهنه ورتب فيها احكام وحدد فيها حدوداً بما وافق القليل منها الشريعة المحمدية واكثرها مخالف[4] وللقرماني راياً فيها حيث قال ((ورد فيها كل اراء جنكيز خان التعيسة وافكاره الخسيسة))[5] وكذلك العمري: قال فيها من القواعد الملعونة على خلاف الشريعة الميمونة[6]. ومن المؤرخين المحدثين الذين ابدوا رايهم بالياسا حيث وصفها بقوله ((الياسا هي قانون

---

(1) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص14-18؛ حسن، تاريخ الاسلام، جـ2، ص138-139
(2) اثار البلاد واخبار العباد، ص581
(3) البداية والنهاية ، جـ13 ، ص 117-119
* سورة المائدة ، اية 50
(4) صبح الاعشى، جـ4، ص314
(5) اخبار الدول، ص284
(6) الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، ص350.

جنكيز خان ذلك القانون الماحق الساحق الغريب الرهيب المستفحل باحكام اليارغو (المحكمة الجنكيزية) التي لا تبقى ولا تذر وتعد البشر كالبقر[1].

دراسة مقارنة بين قوانين الياسا واحكام الشريعة الاسلامية

ان المتأمل نصوص الياسا يلاحظ ان بعضها يوافق الشريعة الاسلامية الغراء ولكن اكثرها مخالف لها[2]. نفهم من هذا ان هناك اوجه تشابه وان كانت قليلة واوجه اختلاف وهي كثيرة، ولقد جاء هذا التشابه من كون هذه القوانين متأثرة في بعض النواحي بالديانات السماوية مثل تحريم الزنا والسحر واللواط والكذب وغيرها[3].

وكانت ديانتهم القديمة لا تحرم شيئاً لذلك تعتبر قوانين الياسا بجميع سلبياتها خطوة تطورية نحو تعاليم الاديان الاخرى فالفرق بين قوانين الياسا واحكام الشريعة الاسلامية ان الشريعة تقوم على حقوق الفرد وتمنع الطغيان والاستبداد وتدعوا الى السعي والكفاح لينتفع الانسان بتجاربه ويجد ثمرة عملة، اما الياسا فانها تقوم على اسس جائرة ظالمة تلغي شخصية الفرد وتحجر على حريته وتكبله بقيود الذل والعبودية كما دعت الى الاباحية اذ الزمت المغول عند راس كل سنة بعرض بناتهم على السلطان واولاده[4]. وهذا في احكام الشريعة الاسلامية هدم لكيان الاسرة التي هي عماد كل مجتمع.

كانوا على استعداد لاكل كل لحوم الحيوانات الدنسة وكذلك الميتة ولحم الخنزير بل وحتى الدم المسفوح واللحوم البشرية[5] ان مبادئهم تدعوا الى الاشمئزاز وتثير في نفوس المسلمين النفور والكراهية لمنافاتها الشريعة الاسلامية فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ))* وفي الوقت الذي نجد فيه ان الشريعة الاسلامية تحث على النظافة وتعتبر الطهارة الشرط الاول للكثير من فروضها[6]. كانوا يكرهون الاستحمام والاغتسال وحرموا

---

(1) جواد، مصطفى، في التراث العربي، تح، محمد جميل شلش وعبد الحميد العلوجي، جـ1، ص242

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص119؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص314

(3) المقريزي، الخطط، جـ2، ص220؛ حسن، تاريخ الاسلام، جـ4، ص139

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص119

(5) الذهبي، تاريخ الاسلام، ص39؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص471؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص353

* سورة المائدة، آية 3

(6) مسلم، ابي العباس، احمد بن عمر بن ابراهيم الانصاري المالكي، (ت: 261هـ)؛ صحيح مسلم، شرح الامام النووي، اعتنى به محمد بن عبادي بن عبد الحليم، ط1(مطابع دار البيان الحديثة-القاهرة، 1420هـ/2003م)، مكتبة الصفا، جـ3، ص75؛ النووي، ابي زكريا يحيى بن

غسل الايادي والثياب في المياه الجاريه[1] لذلك كانوا يتركون الثياب حتى تبلى ومن خالف هذه التعليمات اعتبر مجرماً خارجاً على القانون وعقوبته الاعدام، كذلك اعتبر ذبح الحيوان من الجرائم التي لاتغتفر ايضاً[2] فحرّموا على المسلمين ذبح حيواناتهم وفقاً للطريقة التي اجازها الشرع واستعاضوا عن ذلك بطريقتهم الوحشية الخاصة التي تقوم على تعذيب الحيوان، دون ان تأخذهم به شفقه ولا رحمة، في حين نجد الكثير من الاحاديث النبوية الشريفة التي توصي من يقوم بالذبح ببعض الوصايا رأفةً بالحيوان فقد قال الرسول (صلى الله عليه وسلم)(أن الله كتب الاحسان على كل شيء فأذا قتلتم فأحسنوا القتله وأذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) [3] فكان رسولنا الكريم يوصي بحد السكين وتعجيل امرها وغير ذلك ويستحب الا يحد السكين بحضرة الذبيحه والا يذبح واحدة بحضرة الاخرى ولا يجرّها الى مذبحها. هذه ابرز الاختلافات التي رأينا ان نثبتها هنا فضلاً عن وجود الكثير من اوجه الاختلاف التي تتطلب جهداً ووقت اطول.

شرف(ت:676هـ) رياض الصالحين، تح د0 ماهر ياسين الفحل(شركة الخنساء للطباعة المحدوده- بغداد - 1426هـ 2006) ص 402 - 404

(1) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ 4، ص 315

(2) المقريزي، الخطط، جـ 2 ص 220

(3) صحيح مسلم، جـ 13، ص 89

الفصل الثالث

النظام السياسي

أن تاريخ المغول السياسي يبدأ بظهور جنكيزخان فهو المؤسس الحقيقي لإمبراطورية المغولية وعليه فان جميع الانظمة سواء كانت أدارية أو سياسية أو عسكرية فهي مرتبطة بظهوره . بدا جنكيز خان حياته السياسية وهو لايزال في الثالثة عشر من العمر حيث تسلم زمام الأمور بعد وفاة والده وتمكن من توحيد المغول تحت زعامته من جديد وتمكن بفضل هذا التوحيد من السيطرة على مقاليد الحكم فأصبح يجمع بين يديه جميع السلطات وعلى هذا الأساس تركز نظام المغول السياسي بسلطة فردية دكتاتورية تمثلت بزعامته وسار على هذا المنوال من جاء بعده من الحكام(1). والى جانب التفرد بالسلطة أنشأ جنكيز خان مجلس استشاري يساعده في إدارة الانظمة السياسية ألا وهو مجلس القوريلتاي (2). فما هي طبيعة هذا المجلس ومتى يعقد و أين و ماهي ابرز مهامه ؟ مجلس القوريلتاي: وهو اسم مغولي لمجلس أمراء المغول الكبار و أركان الدولة عقد لأول مرة عندما نودي جنكيز خان إمبراطوراً للمغول سنة 603هـ/ 1206م ويعقد في العاصمة ولا يعقد ألا للأمور المهمة و القضايا المستعصية للتشاور و اخذ القرارات الحاسمة التي لها الاهمية القصوى في الحياة السياسية للمغول فهو اذن عبارة عن مجلس للشورى (3). أما ابرز اسباب انعقاده فهي عند تنصيب قاآن جديد حيث تقام فيه المراسيم التقليدية. ويعقد أيضا لمناقشة جميع القضايا التي لا يستطيع القاآن أن يفصل فيها لوحده مثل مناقشة السياسة العامة للدولة، وكذلك يعقد في حالة تعبئة الجيوش والاستعداد للحرب وإعلانها أو قبول السلم و استقبال سفراء الدول وغير ذلك من الأمور(4). عندما عقد جنكيز خان مجلس أعيان القبيلة (القوريلتاي) سنة 603هـ/ 1206م وضع لأول مرة نظم الإمبراطورية و للدلالة على قوة خان أقام في معسكره لواء رسم على هذا اللواء القمر في المحاق(5).

حيث تقرر فيه الاعتراف بسيادته على الجميع ومنحه لقب (جنكيز خان) وحضر اجتماع القوريلتاي أبناءه و قواده و أكثرية الطبقة العليا مع قلة من الطبقة السفلى من جميع مقاطعات المغول أما الطريقة التي نظم فيها ألاجتماع والتي أصبحت تقليدا سارت على نهجه ألاجتماعات ألالاحقة التي عقدها أبناء جنكيز خان فبعد أن تكلم جنكيز خان في ألاجتماع قام سبعة من الخانات و رفعوه إلى عرش عالٍ ثم قدمت له التحية و الطاعة باعتباره خاقان و انحنى جميع الحاضرين على ركبهم تسع مرات و وضعت

---

(1) بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص 382-383

(2) جها بنكلو، أمير حسين، تاريخ اجتماعي دوره مغول، أصفهان- 1336هـ/ ص 38.

(3) رشيد الدين جامع التواريخ، مج 2، جـ 1، ص 234؛ العزاوي، العراق بين احتلا لين، جـ1، ص 135

(4) بارتولد، تركستان، ص 114

(5) العريني، المغول، ص 49-50

فـي ألاجتمـاع البنـود أو المقـررات التـي تضـمنتها الوصـايا التسـع البيضـاء فـي تنظـيم الاجتمـاع و أداب الـديوان و تقـديم التحيـة (الجـوك) و مخاطبـة جنكيـز خـان بوقـار و احترام عندما يتقدمون لرؤيته وكان من المقترحات أن يحمل لقب كورخان أي الخان الكبير لكنه رفض و قال أن السماء إمرته أن يتلقب (بجنكيز خان) كما و اتخذ شعارا واحدا وهو العلم أو اللواء ألأبيض الكبير ذو التسع ريشات و وضع عرش ضخم تحت اللواء ليجلس عليه القوريلتاي[1]و يستغرب بارتولد[2] من احد المؤرخين و ذلك لأنه استخدم مصطلح (طوى) بدل من (القوريلتاى) في حين ان معنى طوى هو المأدبة و ذلك من خلال قوله ((ان الطوى مجلس يعقد كل سنة يحضره خلفاء جنكيز خان و ألأمراء و أعاظم السيدات و قواد الجيوش))[3].

(1) القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص 14-17
(2) تاريخ الترك، ص 208
(3) أبن بطوطة، الرحلة، ص 358

قراقورم عاصمة ألإمبراطورية المغولية

قراقورم: تقع في أقاصي بلاد الترك الشرقية و تعني باللغة التركية الرمل الأسود[1] أو الرمال السوداء[2].

وهي عاصمة الامبراطورية المغولية الكبرى وقد امربنائها جنكيز خان على نهر أرخون وتم ألانتهاء منها في عهد اوكتاي[3] ففي عهد جنكيز خان وقع ألاختيار على قراقورم ليكون مقرا لحاضرته من الناحية ألاسمية غير أن اخراج الفكرة الى حيز التنفيذ قد تم في عهد أوكتاي و الجدير بالذكر أن للموقع أهمية تاريخية حيث أن معظم الإمبراطوريات قامت بالقرب منها[4] ومن الناحية الإدارية فوقوع العاصمة وسط إقليم منغوليا ساعد على توثيق الصلة بين الموطن الأصلي والمناطق الأخرى[5] وفي سنة 631هـ/1233م جلب اوكتاي امهر المهندسين الصينيين لتشييد مدينة جديدة في منطقة ((أوردو*بأليق))(مدينة البلاط) ولقربها من جبال قراقورم اشتهرت في التاريخ بهذا الاسم وآمر ببناء قصر له في هذه العاصمة سموه (قرشي) و هي كلمة مغولية تعني (قصر خان المغول) بالإضافة إلى مباني أخرى لإفراد الأسرة ألحاكمه[6].

و قراقورم مدينة من مدن الصحراء و فيها جمع كل شي يرتاح إليه و يرغب فيه البدوي الراحل و هي عجيبة في بابها فهي عاصمة البراري و مصفح الرياح مكسح الرمال شيدت بيوتها من الطين و القش أما طرقها و ازقتها فلا انتظام ولا

نظام فيها و هناك بيوت الضيافه وقد فتحت لايواء السواح و السفراء الزائرين و الوافدين من الخارج [7].

ابرز المناصب السياسية في الامبراطورية المغولية

1. **القا آن**: ويذكر في المصادر العربية (خا قان) وهي كلمة مغولية تعني الملك العظيم[8] وان لفظ القا ان هو لقب أطلقه المغول على الرئيس الاعلى لدولتهم ويأتي أحيانا بمعنى رئيس الرؤساء أو أعظم الحكام[9] أو الخان الكبير[10] و

---

(1) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص 504 – 505
(2) لامب، جنكيزخان، ص 80
(3) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص 60؛ القلقشندى، صبح ألأعشى، جـ4، ص 478
(4) بار تولد، تاريخ الترك، ص 45
(5) العريني، المغول، ص 160 – 161
* اوردو: وهي كلمة بمعنى الخيمة او القصر او المعسكر، رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص 220
(6) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص 115، حاشيه، رشيد الدين جامع التواريخ، ص 83
(7) لامب، جنكيز خان، ص 80
(8) بارتولد، خاقان، دائرة المعارف الإسلامية مج 4، ص 194؛ العاني، العراق في عهد الجلائري، ص 118
(9) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص 14
(10) لين بول، الدولة الاسلامية، جـ 2، ص 501

ورد ذكر الخاقان عند ابن خلدون بقوله : كان ملوك المغول يلقبون الخاقان بالخاء و القاف. والخاقان سمة لكل من يملك منهم مثل كسرى للفرس و قيصر للروم[1].

2. **الخان**: كلمة تعني الملك[2] وهو لقب اطلقه المغول على رؤسائهم الذين يتولون جزءاً من الإمبراطورية المغولية وهو يختلف عن لقب (خا قان) الذي أطلقوه على الرئيس الأعلى لدولتهم ومعناه الخان الأعظم وقد استعمل المغول لقب (خان) أيضا بمعنى (خاقان) و ربما كان ذلك من باب الرغبة في الاختصار وان الفرق بين (خان) و (خاقان) يشبه الفرق بين كلمتي (سلطان و ملك) فالسلطان هو الملك الأعظم إما الملك فهو احد ولاة السلطان من ابناء بيته أيضا الفرق بين خان و خاقان ، يشبه بين لقبي شاهنشاه و شاه فالأولى تعني ملك الملوك و الثانية تعني الملك الصغير عند الفرس[3].
3. **الايلخان**: و معناه سيد القبيلة أو الخان التابع للقا آن الاعظم الذي يحكم الامبراطورية المغولية باسرها وقيل هو لقب للأسر التي حكمت في ايران[4] والتي اقامت دولة لها عرفت بـ(الايلخانية) و احيانا تختزل و تكتب بـ(الايليه)[5] .
4. **الوزراء و المستشارين**: اتخذ خاقانات المغول وزرائهم و مستشاريهم من غير المغول وذلك لان المغولي لم يكن على قدر كافٍ من الثقافة و العلم والحكمة على العكس مما يتمتع به المسلم و الايغوري و الصيني الذين يشكلون فئة الوزراء و المستشارين[6].

اشهر زعماء المغول

جنكيز خان ((مؤسس إمبراطورية المغول))

جنكيز خان : هو حاكم المغول و ملكهم ألأول الذي خرب البلاد و أباد العباد وليس للمغول ذكر قبله[7] اسمه في الأصل تموجين[8] وقيل تمرجين[9]

---

(1) العبر، مج 5، جـ 5، ص 516
(2) ابن بطوطة، الرحلة، ص4
(3) النسوي، سيرة جلال الدين، ص 38
(4) لين بول، الدولة الاسلاميه، جـ2، ص 514
(5) جواد، في التراث العربي، جـ1، ص 513
(6) الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص 154 – 155
(7) الذهبي، تاريخ الاسلام، ص 186
(8) الذهبي، العبر، جـ3، ص 192؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ4، ص 309؛ القرماني، اخبار الدول، ص 284
(9) الجو يني، جها نكشاى، جـ1، ص 20 ؛ الذهبي، سير إعلام النبلاء، جـ22، ص 234؛ ابن خلدون، العبر، مج5، جـ5، ص 525

أو تيموشين[1] وتيموجين لفظة صينية معناها الصلب الخالص[2] او الصلب الفائق أو الفارس الكامل[3] والبعض ذكر اسمه تمرجي والتي تعني الحداد[4].

أما ولادته كانت على ضفاف نهر اونون سنة 549هـ/1154م (سنة الخنزير عند المغول) واشارت المصادر الإسلامية الرئيسة إلى هذا التاريخ[5] وحدد بعضهم يوم ولادته في20 ذي القعدة[6] وكان والده يدعى (يوساكي بيوكي بن بهادر بن تومان بن برتيل)[7] إما أمه فهي (لون أنكة)[8] وهي من قبيلة (اولقنوت) وكانت تتصف بالعقل والتدبير[9] واصله من قبيلة (بورجكين قيات) التي تتصف بكونهم بيض البشرة وشهل العيون[10].

أما عن ديانته فقيل أنه لم يتبع أي دين او ملة وكان يحترز من التعصب المذهبي و يعظم كل العلماء و الزهاد وكان يبغي من ذلك التقرب إلى الله[11] نفهم من هذا انه لم يصرح بديانته، إلا إن هذا لايمنع من كونه مات على الكفر[12] لان الشامانية و البوذية كانتا من العقائد السائدة بينهم و المعروف عن المغول عدم اهتمامهم بالدين كثيراً .

ثقافته : لم تتحقق المصادر لحد ألان من كون جنكيز خان قد تعلم الكتابة أم بقى أميا[13] فأحد المؤرخين ذكر بأنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب أعجميا غجرياً لا يحسب ولا ينسب[14].

وعلى الرغم من عدم معرفته للقراءة و الكتابة إلا أنه أمر لايغوريين إن يعلموا أبناء المغول الكتابة و الخط و بما أنه لا يعرف الكتابة أمر أن يصنع له ختم من حجر الشب يكون على شكل (النمر) مثيت بمادة غروية فوق قرص من ذهب وأنه كان يختم رسائله

---

(1) وليام دي ويت، صمويل نسنسون و اخرون، احداث شهيرة من التاريخ، ترجمة إسماعيل مظهر وجلال مظهر (مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر –القاهرة- نيويورك-1969) مكتبة النهضة المصرية، ص 58

(2) العبادي، تاريخ الأيوبيين، ص 127

(3) العريني، المغول، ص 43؛ الدهوكي، جهاد الأيوبيين، ص 184

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص 118

(5) النسوى، سير جلال الدين، ص 39؛ القزاز، الحياة السياسية، ص9؛ العزاوي، العراق بين احتلا لين، جـ1، ص 73

(6) خواندمير، تاريخ حبيب السير، مج 3، جـ1، ص 16

(7) ابن خلدون، العبر، مج 5، جـ5، ص 525

(8) خواندمير، تاريخ حبيب السير، مج3، جـ1، ص 16

(9) العزاوي، العراق بين احتلال لين، جـ1، ص 73

(10) الجويني، جها نكشاي، جـ1، ص 20؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص 137

(11) الجويني، جها نكشاي، جـ1، ص14؛ الذهبي، سير الأعلام النبلاء، جـ22، ص 243

(12) ابن عماد الحنبلي، ابي الفلاح عبد الحي(ت: 1089)، شذرات الذهب في إخبار من ذهب، (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع)، مج3، جـ5، ص 113

(13) لامب، جنكيزخان، ص182

(14) القرماني، أخبار الدول، ص 284؛ العمري، الروضة الفيحاء في التواريخ النساء، ص 350

إلى الملوك و حكام الأمم الأخرى باللون الأزرق ورسائله الاعتيادية باللون الأحمر وكان حامل ختمه مسلماً أو يغورياً اسمه إسماعيل خواجة وهو كاتبه الخاص أيضا وكان ختمه يحمل عبارة ((الله في السماء و الخاقان قدرة الله في الأرض)) ختم إمبراطور البشر أن الاستعانة بالاقراص شيء ضروري لشعب امي كالشعب المغولي[1] .

نشأته: بالرغم من إننا لا نعرف إلا النزر القليل عن الفترة المبكرة لحياة و شباب جنكيز خان و نشأته الأولية إلا إننا استطعنا إن نلم ببعض المعلومات المستخلصة من القصص[2] والتي تقول إن أباه كان رئيساً لأحد القبائل المغولية وقد أطلق عليه أسم تموجين وهو احد الزعماء الذين صرعهم تخليداً لانتصاراته ثم توفي أباه غدراً وهو لا يزال في الثالثة عشر من عمره وهو على الأرجح عند المؤرخين[3] اعتنت أمه بتربيته و أعداده في صغره حيث بدأت علامات القوة و البطش تظهر عليه في شبابه استغلت قبيلته وفاة والده وهو صغير السن فخرجت عن طاعته و أعلنت التمرد و العصيان عليه وانحل اتحاد القبائل الذي كان أيام أبيه وتفرقوا عنه وعاش هذا الفتى مع عائلته عيشة حرمان و شقاء فقد عرف عنه في احتماله الشدائد و الصعاب وقد قاسى الكثير من النكبات في حياته الأولى هذه المحن التي اصقلته و أخرجت منه رجلاً صلباً [4] فقد عاشت اسرته في حياته ألأولى عيشة شظف على النباتات البرية وصيد الحيوانات الصغيرة والطيور وألأسماك وأسرته كانت تتكون من أمه واخوته الثلاثة [5] وهم، (جيوشي قساروقاتشيون و تيمورجي) بألأضافة إلى اخوين آخرين من زوجة أبيه[6] عندما بلغ السابعة عشر استطاع السيطرة على أفراد قبيلته حيث صرف همه في ترقية الاته الحربية وضم المغول و القبائل المتصلة بهم في جيش واحد منظم قضى تموجين ثلاثين سنة في نزاع متصل مع أعدائه في الداخل[7].

تلقبه بجنكيز خان :

---

(4) نشأت، محمد صادق (هامش)، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص 195؛ لامب، جنكيز خان، ص 182

(2) فامبرى، تاريخ بخاري، ص62

(3) الجويني، جـها نكشاي، جـ1، ص20؛ الخضري، تاريخ الأمم الإسلامية، ص 468؛ حسن، تاريخ الاسلام، جـ4، ص136؛ القزاز، الحياة السياسية، ص 10 -11

(4) الجـويني، جـها نكشاي، جـ1، ص 20؛ بارتولد، جـنكيز خـان، دائـرة المعـارف ألأسـلامية، ترجمة احمد الشناوي واخرين، مج7، ص 127-128؛ النبراوي، قضايا العالم الإسلامي، ص 72؛ الفقى، بلاد الجزيرة، ص 194

(5) القزاز، الحياة السياسية، ص 12؛ عاشور، العلاقات السياسية، ص 28

(6) الدهوكي، جـهاد ألأيوبيين، ص 169

(7) حسن، تاريخ الإسلام، جـ4، ص 136

اتخذ تموجين لقبه بعد إتمام فتح منغوليا وتأسيس عاصمة له في قراقورم سنة 603هـ/ 1206[1] اثناء عقد مجلس (القوريلتاي) حيث نودي به بلقب جنكيز خان فما هو معنى هذا اللقب؟

اختلفت تفسيرات هذا الاسم بأختلاف المؤرخين ولا يكاد يتفقون على معنى ثابت لهذا الاسم فهو لقب مغولي لا يزال معناه غير واضح لغوياً فجنكيزخان هو لفظ ايغوري صرف يتكون من مقطعين الأول (جنك) بمعنى مستقيم أو ثابت أو قوي و المقطع الثاني (كيز) بمعنى جبار فيحمل كله على معنى (الشديد القوي المستقيم)[2] وقيل أن معناه الملك[3] أو الملك الاعظم أو ملك الملوك[4] أو ملك الدنيا[5] ويأتي معناه أيضا مبعوث السماء أو القوي[6] والمحارب الكامل[7] وفسر معناه انه إمبراطور العالم قاهر العالم[8]، أقوى الحكام[9] وقد ذكر بعضهم أن الصواب في النطق به (جنكص خان) بالصاد بدل الزاي[10] في حين يذكره ابن بطوطه (تنكيز)[11] .

ظهوره على مسرح الإحداث :

اتفق اغلب المؤرخين على أن سنة 599هـ هي تاريخ اول ظهوراً له[12] فهو لم يظهر على مسرح التاريخ إلا بعد أن تجاوز الأربعين من عمره حيث نجد اسمه يذكر مقروناً بأعتداءاته على بني جلدته وعلى الأمراء و الأتراك القريبين منه على سواء[13] ويختلف مع هذا الرأي قول أخر هو أن اسمه بقى مجهولاً في خارج بلاد المغول حتى بلغ الخمسين من العمر و بدأ يشتهر بعد ذلك في أنحاء العالم[14] ألا إن سنة 603هـ/1206م تعتبر هي التاريخ الرسمي لحكم جنكيز خان للشعوب المغولية[15]. ففي

---

(1) الموسوعة العربية الميسرة، (دار النهضة للطبع و النشر– لبنان – 1987) مج1، ص 650
(2) فامبري، تاريخ بخارى، ص 162
(3) ابن خلدون، العبر، مج5، جـ5، ص525
(4) لين بول، الدول الاسلامية، جـ2، ص 498؛ أبو خليل، أطلس التاريخ، ص 223
(5) ألرفيعي، العراق، ص 93
(6) الأمين، الغزو المغولي للبلاد الاسلامية، ص30
(7) وليام دي ويت، احداث شهيرة من التاريخ، ص 85
(8) الدهوكي، جهاد الأيوبيين، ص 169
(9) العبادى، تاريخ الأيوبيين، ص 127
(10) القلقشندى، صبح الأعشى، جـ4، ص 309 -310
(11) الرحلة، ص352
(12) الجو يني، جها نكشاى، جـ1، ص 21؛ الذهبي، سير إعلام النبلاء، جـ22، ص243؛ ابن كثير، البداية و النهاية، جـ3، ص 118؛ الغياثي، تاريخ الغياثي، ص 40
(13) فامبرى، تاريخ بخارى، ص 162
(14) بارتولد، جنكيز خان، دائرة المعارف الإسلامية، مج7، ص 135-136؛ لين بول، الدول الإسلامية، جـ2، ص 498
(15) الجو يني، جها نكشاى، جـ1، ص 60

مطلع القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي دخل المغول في صرا عات داخلية انتهت بظهور جنكيز خان زعيما لهم والذي استطاع أن يوحدهم و وجه نشاطهم نحو الأقاليم المجاورة[1] .

أوصافه و صفاته :

يتميز جنكيز خان بقامتة المرتفعة و جبهته العريضة ولحيته الطويلة[2] و بنيته القوية أي كانت له قوة و بسطة في الجسم[3] و عيناه ((كعيني الهر))[4] متباعدتان غير منحرفتين وهما خضراوان شهلاوان في قرحيتهما. وسوداوان بقرنيتهما و على ظهره تتدلى جدائل لشعره الأحمر الأشهب[5] لكن بار تولد يختلف مع هارولد لامب في مسألة شعره فيقول (لم يكن قد تبقى برأسه سوى بضعة شعرات وخطها الشيب)[6] هذا ما قيل في ابرز أوصافه أما صفاته فقد تظافرت الكثير من الأمور في أخفاء شخصية جنكيز خان و أول هذه ألأمور هي أن المغول لم يعرفوا الكتابة في بداية ظهورهم لهذا اختلف المؤرخون في تصنيف شخصيته فمنهم من برز الجانب السلبي و ذكروه بالقدح أكثر من المدح وهذا ما نجده عند بعض مؤرخي المسلمين وبالمقابل كان هناك أيضا العديد من المؤرخين الذين سلطوا الضوء على الجوانب الايجابية من شخصيته مبررين المجازر البشرية التي قام بها[7] هو وشعبه فقد قال عنه الذهبي انه صاحب شجاعة مفرطة وعقل وافر ودهاء ومكر[8]. وقيل هو من عقلاء الترك وافراد الدهر ودهاة العالم[9] وانه كان مشهوراً بالتسلط و الحذر والقدرة الفائقة على احتمال الشدائد والصعاب[10] وكان رجلاً جباراً وعنده حيل عظيمة، وقيل انه من اقسى القادة العسكريين الذين عرفهم التاريخ وذلك لأنه يؤمن بأن الحرب تستبيح الحرمات[11] فقد ترك بصمات الوحشية والدمار على تاريخ المغول كله[12] وهناك العديد من المؤرخين ممن مجد شخصية جنكيز خان سواء كانوا مسلمين أومستشرقين فها هورشيد الدين مؤرخ المغول يبالغ كل المبالغة في صفات وسجايا جنكيز خان والإطراء عليها من

---

(1) فوزي، فاروق عمر، تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الإسلامية، (الدار العربية للطباعة – بغداد – 1988، المكتبة الوطنية، ص 357
(2) العريني، المغول، ص 154
(3) ابن بطوطة، الرحلة، ص 352
(4) بار تولد، تركستان، ص 643
(1) لامب، جنكيز خان، ص 11
(6) تركستان، ص 643
(7) بارتولد، تركستان، ص 642
(8) سير إعلام النبلاء، جـ22، ص 234
(9) الذهبي، العبر، جـ2، ص 192 – 193
(10) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص 14؛ الفقى، بلاد الجزيرة، ص 194
(11) أبن الفرات، تاريخ أبن الفرات، مج5، جـ1، ص 211
(12) النبراوي، قضايا العالم الإسلامي، ص 73

خلال ذكره لحالة المغول قبله وكيف أصبحت بعده بفضل زعامة هذا القائد فيقول (فما كان من طفل يطيع والديه وما كان يستجيب الصغار للكبار وما كان النساء ليوقرن أزواجهن ولم يقبل الأغنياء على مساعدة رؤساء القبيلة بل انتشار اللصوص واستفحل أمر قطاع الطرق والمتمردين ولم يتوفر الأمن)[1] وكذلك الجويني حيث قال : على الرغم من كونه مشركاً بالله وقد قتل من الخلائق ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم الا انه كان عنده مكارم أخلاق وأن اعمال التخريب التي قام بها كان نتيجة استفزاز خوارز مشاه له[2] وعلى الرغم من المذابح الجماعية التي ارتكبها وأفراطه في الظلم والبغي بلا حدود ويداه الملطخه بدماء الأبرياء نجد بار تولد يقول عنه (لم تلح منه بادرة من القسوة أوالظلم المتعمد) ويقول أيضا: أن المغول أطلقوا عليه لقب(ساين خان) أي الخان الطيب ليس لذلك فحسب بل انه اشتهر بالحلم والعدل والحكمة[3].

كما وصفه ((بالبطل الكريم السمح فالمعروف عنه كان ينزع الملابس التي يرتديها ويخلعها على من يريدها وكذلك جواده) وهذه الأفعال تنطبق على شعوبهم[4].

ونلاحظ أن ابن بطوطة يتفق مع كلاً من الجويني ورشيد الدين وذلك من خلال مدحه لجنكيز خان بقوله (كان له كرم نفس وقوة وبسطة في الجسم وكان يجمع الناس ويطعمهم[5] أما ارمينوس فامبري فيقول: لقد اتهم المؤرخون المسلمين المعاصرين إذ ذلك جنكيز خان من مبالغته في استعمال القسوة وكلفه بالتخريب والتدمير فمما لاينكر أن هذا الغازي المغولي لم تكن له صفات الجندي الكبير فحسب فبل كانت له مواهب الفاتح المشرع بأدق معاني الكلمة[6]، والى جانب ما اشتهر به من القسوة والعنف نلمس من الصفات النبيلة ما حمل الكتاب المسلمين على أن يجعلوا لهذه الطاغية مكاناً ولوبسيط في الإنسانية فقد اتصف ببعض السجايا الكريمة التي لم يختلف عليها اثنان وذكرها جميع المؤرخين ممن كتب له وضده يمكن إيجازها بما يلي :

1. ارتياعه الفطري من الخونة فقد كان الإخلاص رائده وهو عنده فوق كل شي وقبل كل شي فالخيانة لديه كانت خطيئة القبلي التي لا تغتفر فالإخلاص للعشيرة أوللخان هوكل أمنيته وبغيته السامية[7].
2. تقديره للشجاعة والبسالة[8] فما من قائد رحب بكسبه انضمام رجال إليه ترحيباً حاراً كما رحب خان المغول بهؤلاء الرجال لقد كان يجمع حوله مجلساً لا حاجب ولا مستشار فيه ولكنه مؤلف من الإبطال المحاربين [1].

---

(1) خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص 1
(2) رشيد الدين، جامع التواريخ، نقلاً عن العريني، المغول، ص 149
(3) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص14، 42-44
(4) تركستان، ص 642- 643
(5) الرحلة، ص 352؛ العزاوي، العراق بين احتلا لين، جـ1، ص 73
(6) تاريخ بخارى، ص 181
(7) لامب، جنكيز خان، ص 28
(8) العريني، المغول، ص 149

3. أخذ على عاتقه حماية الضعفاء والتزام الدفاع عنهم دائماً واستمرت هذه الحماية حتى النهاية[2].
4. كان يتجنب التعصب ورجحان امة على امة أودين على دين وكان يكرم العلماء والزهاد من كل طائفة ويعفيهم من الضرائب[3].
5. لم يكن اصم بالنسبة لتجارب المتحضرين لقد كان يستفيد كثيراً من أرباب الخبرة والمرشدين وذوي الإطلاع فيما يتعلق بالشؤون الإدارية والمخابرات التي تساعد على القيام بإعماله الحربية[4]. وأخيرا يمكن القول بأن جنكيز خان ظل بالنسبة لبعض المؤرخين رجلاً يكتنفه الغموض والخفاء[5].

---

(1) لامب، م . ن، ص 29
(2) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص 19؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص 152
(3) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص 14 – 17
(4) العريني، المغول، ص 149
(5) رنسيمان، الحروب الصليبية، جـ3، ص 427

مهنته :

كان جنكيز خان حداداً بأرض الخطأ[1] وكما ذكرنا سابقاً في بداية أمره كان يدعى تمرجي وهي تعني الحداد سبب تسميته هذه أنه كان يتردد إلى مدينة (ابدرماق) وصحب بها رجلاً حداداً فتعلم منه عمل نصول السهام فكان يأخذ الحديد ويعود إلى أهله فيصنع نصول السهام ويعبر بها إلى تلك المدينة على راس حول فيبيعه ويجلب لأهله وولده ما يمونهم مما يحتاجون إليه من الحول إلى الحول[2].

هواياتـــــه :

كانت متعته الكبرى أبدا ركوب جياد أعدائه المغلوبين على أمرهم والاستحواذ على نسائهم[3] وكان لجنكيز خان شغف شديد بالصيد والقنص لما يشمل عليه من فوائد كثيرة جليلة النفع منها الغرض الاشرف هو تمرين العساكر على الركض والكر وتعودهم الفروسية ومن هوايته أيضا اقتناء الخيول ومعرفة سبقها وصبرها على دوام الركض[4].

زوجــــــاته وأبناءه :

اتخذ جنكيز خان لنفسه زوجات وسراري كثيرات حتى قيل أن عددهن يربوعلى الخمسمائة[5] إلا أن كان يفضل عليهن زوجته الأولى التي تعتبر اكبر الخواتين والتي تدعى ((يسو يجين بيكي)) ولهذا كان يعز أبناءه من هذه الزوجة ويقدمهم على أبناءه الآخرين[6] بالإضافة إلى زوجته الأولى كان لديه أيضا خمسة أخريات لهن شهرة ومفضلات وهن (برته فوجين ابنة ذي نويان الذي حكم قنقرات، وكنجور بنت الخان الثاني، وكودي سون ابنة تايانك خان، وبيسولن بنت جاكمبو، وقولون بنت طاير اسود[7] إما عن أبناءه فقد اختلف المؤرخين في عدد أولاد جنكيز خان فقيل انه أنجب ستة أولاد[8] والبعض الأخر ذكر انه تسعة[9] لكنهم اتفقوا على أولاده المعتمدين من زوجته الكبرى ففي تقاليد المغول ينسب ألأولاد إلى الأب من النساء والابن الأكبر لكل أم تكون له الميزة والاعتماد[10] فمن حق الخان أن يختار أربعة من بين أبنائه يسميهم

---

(1) أبن بطوطة، الرحلة، ص 352؛ العزاوي، العراق بين احتلا لين، جـ1، ص 73؛ فوزي، فاروق عمر ومرتضى حسن النقيب، تاريخ إيران(دراسة في التاريخ السياسي لبلاد فارس خلال العصور الإسلامية الوسيطة)(مطبعة التعليم- بغداد – 1989)، ص 203
(2) الدوايداري، كنز الدرر، جـ7، ص 231
(3) بار تولد، جنكيز خان، دائرة المعارف، مج7، ص 128
(4) ألجو يني و جها نكشاي، جـ1، ص 15- 17؛ أبن الطقطقي، الفخري، ص 45
(5) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج4، جـ2، ص 378
(6) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص21؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص395
(7) خواندمير، تاريخ حبيب السير، مج3، جـ1، ص 18
(8) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص 186 – 187؛ ابن شاكر الكبتي، فوات الوفيات، مج1، ص303
(9) خواندمير، تاريخ حبيب السير، مج3، جـ1، ص 18- 19
(10) الجو يني، جـها نكشاي، جـ1، ص 21- 22

((جهاركولوك)) أي الأركان الأربعة* ومعنى (كولوك) الرجل الذي لا يتعب أو الرجل الجلد[1].

وكما ذكرنا سابقاً كيف كان جنكيز خان يعتمد على أبناءه اعتماداً كلياً في إدارة إمبراطوريته مترامية الإطراف حيث خص كل واحد منهم بمهام معينة يكون هومسؤولاً عنها مسؤلية كاملة فا جوجي أو(توشى) مهمة الإشراف على الصيد وترتيب المجالس و(جغتاي) السياسة والضرب والأخذ[2] في حين كانت مهمة (اوكتاي) تنظيم أمور الملك وتدبير مصالح الشعب وأخيرا (تولى) الذي كان مسؤول على المحافظة على المعسكرات وإنجازها وتركيب الجيش[3] لقد توفي الابن الأكبر لجنكيز (جوجي) أو توشي في حياة ابيه فخلفه ابنه (باتوخان) على البلاد التي كان يتولاها[4]

تقسيم ممالـــك جنكيز خان :

ان ما أقامه جنكيز خان من إمبراطورية خضعت للمبدأ السائد عند الشعوب البدوية الذي يعتبر ما يجري امتلاكه من بلاد وأقاليم ليس ملكاً للحاكم بل للأسرة الحاكمة وأن لكل فرد من أفراد الأسرة أن يختص بعدد من القبائل (اولوس) وأن يكون له (يورت) إقطاع أي مساحه من البراري اللازمة لأن تمارس فيها هذه القبائل حياة الرعي وأن يتوفر له من الخراج (اند جو) ما يكفي للانفاق على بلاطه وعساكره وهذا الخراج تؤديه الشعوب التي خضعت في الصين وتركستان وايران[5] وقد رأى جنكيز خان بثاقب فكره أن خير وسيله لتدريب أبنائه على مباشرة مهام الحكم وتحمل المسؤوليات هوأن يقسم إمبراطوريته بينهم وهوعلى قيد الحياة وطبقاً للقانون المغولي يعطي الأب قبل وفاته قسماً من أملاكه لأبنائه الكبار بحسب سنهم ويترك الأهم لأصغر أبنائه[6] وقد تم تقسيم على النحوالتالي:

أولا : اضحى نصيب توشي من البلاد مساحة واسعه تمتد من صوب الغرب وبلاد المركيت فضلاً عن كل الأمارات الروسية، وقيل إن توشي حاول الاستقلال بهذه الأقاليم وعندما أدرك جنكيز خان ذلك بعث في استدعائه فامتنع فقرر جنكيز خان أن

---

* للمزيد من المعلومات انظر شجرة النسب في الملحقين (1 ،2)

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص 7

(2) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص395؛ النبراوي، العلاقات السياسية، ص 269- 271

(3) القلقشندى، صبح الأعشى، جـ4، ص 312؛ عاشور، العلاقات السياسية، ص 31

(4) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص 121؛ بار تولد، جنكيز خان، دائرة المعارف الإسلامية، مج7، ص 130؛ الساداتي، تاريخ المسلمين، جـ2، ص 346

(5) لين بول، الدول الإسلامية، جـ2، ص 500

(6) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص22-23؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، ص16-17؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص 164

يمضي لقتاله لولا ورود خبر وفاته حيث انه توفي قبل جنكيز خان بستة اشهر[1] إلا أن بعض المصادر المغولية تقول أن هذا العصيان كان افتراءاً مزعوماً[2] فخلفه في مملكاته أبنه (باتو) الذي اشتهر برقة العاطفة وعذوبة الحكمة وشدة التعقل، وقام بدور حاسم عندما نشبت المنازعات على ولاية عرش الإمبراطورية[3]، اختص جغتاي ببلاد الاويغور وأقاليم ما وراء النهر بالاضافة الى كاشغر* وبلخ** وغزنة***ونال اوكتاي ولي العهد قسماً يقل عن نصيب اخوته وتنحصر ممتلكاته في غرب منغوليا[4].

أما تولي وهو اصغر أبنائه سناً اختص بموطن أبيه أي أملاكه الأصلية (الشطر الشرقي من منغوليا) أوالتي تشمل وديان انهار كر ولين واونن وأرخن ومنطقة

قراقورم وقد استمر يحكم عامين 624هـ-626 / 1227-1229م بصفته وصياً على العرش طبقاً للعرف المغولي . واختص كل ولد من الأبناء الباقين ببلاد محدودة وصار لكل منهم أيضا أربعة ألاف رجل من الجيش النظامي ومن تبقى جرى توزيعهم على سائر أفراد الأسرة[5].

وزرائه ومستشاريه :

لقد كان تنظيم الإدارة المدنية عند جنكيز خان في مستهل حكمه أمرا بالغ الصعوبة وذلك لان المغول وقت ذاك لم يبلغوا من المستوى الحضاري ولذا أضحوا بحاجة ماسة إلى الافادة من ذوي الحضارات وكان التجار المسلمون في مقدمة الذين ظهروا في بلاط المغول فقد كانوا يؤدون لجنكيزخان اجل الخدمات من هؤلاء كانوا جماعة يلازمونه ويذهبون من قبله كسفراء لدى السلاطين أوالقيام بمهام أخرى، وكان هناك

---

(1) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص22؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، ص 119-120؛ القلقشندى، صبح ألأعشى، جـ4، ص 313؛ لين بول، الدول الإسلامية، جـ2، ص 501

(2) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص120- 121؛ العريني، المغول، ص 157- 158؛ عاشور، العلاقات السياسية، ص 33

(3) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص108؛ العريني، المغول، ص157- 158؛ عاشور، العلاقات السياسية، ص31

* كاشغر وهي من نواحي تركستان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ4، ص427

** بلخ :مدينة مشهورة بخرسان حررت على يد الاحنف بن قيس في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، البلاذري، أبي الحسن احمد بن يحيى بن داود البغدادي (ت 279هـ- 893م)، فتوح البلدان، مراجعة وتعليق، رضوان محمد رضوان، (دار الكتب العلمية – بيروت – 1983) – ص504، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ1، ص479- 480

*** غزنة : وهي مدينة عظيمة و ولاية واسعة من طرف خرسان وهي الحدبين خراسان و الهند، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ4، ص201

(4) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص 22-23؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص 165

(5) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص 165؛ العريني، المغول، ص 157

ثلاثة مسلمون كانوا من اشد الناس أخلاصا للعاهل المغولي وخصوصاً في الايام الحالكة التي صادفها في حياته المبكرة وهؤلاء هم جعفر خواجا[1] وقيل أن اسمه جمال خواجة وأن جنكيز خان متزوجاً أخته وهواحد زعماء الماركيت[2] إما الاثنان الآخرين وهم (حسن ودا شنمد الحاجب) فقد شاركا جنكيز خان في هجومه على خوار زم وأديا له خدمة جليلة لا سيما في مفاوضات مع أهل البلاد المفتوحة وقد عاش داشنمد خمس وعشرون سنة بعد جنكيز خان وكان مؤدباً لأحد أحفاد جنكيز خان (أبن ابنه اوكتاي)[3] وقد اتخذ جنكيزخان له مستشارين ووزراء من الموالين على اختلاف عناصرهم من اشهر هؤلاء (محمود يلواج) من المسلمين و(تاتا– تونجا) من الايغوريين و(يني ليوتشوتساي) من الصين[4] ومحمود يلواج هو محمود الخوارزمي كان قد التحق بخدمة جنكيزخان قبل هجومه على أملاك الدولة الخوارزمية ولما كان هذا الرجل يقوم بمهمة السفير والرسول لجنكيز خان إلى السلطان محمد خوارز مشاه وكانت اول سفارة لمحمود الخوارزمي في سنة 614هـ/1217م حينما حمل رسالة جنكيز خان إلى السلطان محمد منذ ذلك التاريخ بقي محمود في خدمة جنكيز خان وكان بمثابة مستشاره ووزيره له حتى استطاع الخان المغولي وأولاده الاستيلاء نهائياً على ممالك خوارزمشاه فكان محمود يتمتع دائماً بعطف جنكيز خان[5] لدرجه انه عينه نائباً عنه في منطقه ما وراء النهر وفي عهد ابنه اوكتاي عهد إليه بحكم كل ممالك الخطأ وقد استمر يتقلد أعباء هذا المنصب في عهد كيوك خان ومنكوقان وقد بذل جهود كبيرة في تعميرما خربه المغول وإصلاح حال الناس وإدارة هذه الممالك أحسن إدارة واطلق جنكيز خان عليه لقب يلواج*[6] أما (تاتا – تونجا) فقد كان قبل أن يلتحق بخدمة جنكيز خان مستشاراً لأخر ملك نايماني ثم اتخذه جنكيز خان مستشاراً ومعلماً لأبنائه يعلمهم الخط الايغوري في حين يبقى (يني ليوتشوتساي) الصيني الأكثر تأثيرا في حياة جنكيز خان فقد اشتهر بثقافته العالية ودراسته الشاملة إذ درس الحكمة والفلك والجغرافية والأدب وصنف في هذه الفنون كتباً عديدة فقد شغل أبوه منصب الوزارة لسلاطين (أل كين) أما هو فقد عين حاكماً على مدينة بكين وعند سقوطها في أيدي المغول سنة 612 هـ/ 1215م وقع في الأسر وعندها لمس جنكيزخان مقدرته وكفايته ففك أسره وولاه أعلى المناصب في دولته وصحب جنكيزخان في حملاته على البلاد ولقد قام بأعمال جليلة منها قدم لنا وصف فتوحات جنكيزخان وغزواته الدولة الخوارزمية وكان هدفه دائماً في حملات جنكيزخان هو إنقاذ الكتب الثمينة من الحرق والغرق وبالرغم من

---

(1) الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص 153
(2) بار تولد، تاريخ الترك بآسيا، ص 155
(3) الأمين، الاسماعيليون و المغول، ص75
(4) العريني، المغول، ص150
(5) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص 93؛ الأمين، الإسماعيليون و المغول، ص75
* يلواج : لفظ تركي معناه السفير أو المبعوث؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، ص93
(6) العريني، المغول، ص151

إخلاصه لجنكيز خان إلا انه قد اخذ على عاتقه كلما سنحت الفرصة أن يسارع إلى نجدة المنكوبين وتخفيف ويلاتهم فكان يعطي الدواء والغذاء لأولئك المساكين الذين كتبت لهم السلامة والنجاة من القتل بالإضافة إلى اهتمامه بالبحث عن عقاقير طبية لمكافحة الأوبئة التي انتشرت من جراء تراكم جثث القتلى كما كان يتدخل أيضا بحذر ودقة كلما سنحت له الفرصة ليكون الوسيط بين جنس مضطهد وأخر جائر[1] أي حقن الدماء قدر ما استطاع وهكذا نرى بفضل هذا الرجل وأمثاله من المستشارين الاويغوريين والمسلمين الذين خدموا جنكيزخان وسط هذه المذابح عنصر ملطف رحيم كانوا نواة للإدارة المغولية[2].

ابرز إعمال جنكيز خان :

لقد تحدثنا سابقاً عن ابرز أعماله ابتدءا من تأسيس الإمبراطورية المغولية والنظام الاداري[3] فيها وإنشاءه العاصمة[4] وقوانين الياسا .... [5] الخ من الأعمال حيث يمكن تلخيص أعماله في سطور .

فقد اظهر براعته في التنظيم فكانت فائقة اذ عرف كيف يختار الرجال وكيف يفيد منهم اشتهر باحترامه الصادق للعلم فكان دائماً مستعداً لأن يبقى على حياة كل عالم يظفر به غير انه لسوء الحظ لم تتهيأ الفرصة ألا لفئة ضئيلة من ضحاياه ليثبتوا جدارتهم أوعلمهم اختار للمغول أبجدية الايغور فوضع أساس آداب المغول ، إما أمور الدين فاشتهر فيها بالتسامح والاستعداد لبذل المساعدة لكل مذهب ديني لا يتعارض مع سياسته وحرص جنكيز خان على أن يقيم حكومة عادلة ترعى الأمن والنظام فتطهرت الطرق من اللصوص وادخل في دولته نظام البريد وبفضل تشجيعه ازدهرت التجارة فأضحى بوسع القوافل التجارية الضخمة أن تجتاز في اطمئنان قارة أسيا من أقصاها إلى أقصاها على انه تجرد من الرحمة والشفقة اذ لم يول اعتباراً لحياة الإنسان ولم يحفل بألام البشر اذ هلك في حروبه ملايين الفلاحين وحقولهم وبساتينهم تتعرض للدمار والخراب فقامت إمبراطوريته على تعاسة الناس وشقائهم[6].

وصية جنكيز خان لا بناءه :

حاول جنكيز خان التقارب بين الأبناء والأخوان بقواعد الألفة وترسيخها في صدور الأبناء والاخوان ونفش المعاضده وألمساندة في القلوب وعلى سبيل المثال هذا البناء يجب أن يكون مستحكماً وهذه القاعدة راسخة ، وذات يوم جمع أبنائه ثم سحب رمح

---

(1) العريني، المغول، ص151
(2) الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص158
(3) خواندمير، تاريخ حبيب السير، مج3، جـ1، ص17
(4) القلقشندى، صبح ألأعشى، جـ4، ص478
(5) المقريزي، الخطط، جـ2، ص220
(6) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص14-17؛ رنسيمان، الحروب و الصليبية، جـ3، ص428

من الرماح وكسره وكرر العدد وعلى رمحين وكذلك كسرها وبدء يضاعف الرماح حتى أن صعب عليه كسرها وعندما جمع أبناءه وقال مثل الرماح إذا اتحدتم أصبحتم أقوياء وأن ظاهرة الإخوة فيكم التعاضد والتساعد الواحد للأخر وتكونون شديدون واصحاب قوة وان كان واحد من بينكم مسؤلاً وان يكون إخوانه واولاده والمقربين والأعوان مصادر الرأي مطيعين لأوامره يكون كالأفعى بعدة روؤس[1].

ومن وصاياه : لايؤذ بعضكم بعضاً على أمور الدنيا فإذا شعر بعضكم بألم من الأخر فليسارع لإزالته حالاً لتكونوا في مأمن من شرور الأعداء[2] وقال لهم أيضا : اعلموا يا أولادي انه قد قرب سفري إلى دار الآخرة ودنا اجلي وأنا بقوة الإله والتأييد السماوي استخلصت مملكة عريضة بسيطة بحيث يسلك من وسطها إلى طرف منها مسيرة سنة من اجلكم أولادي وهيأتها لكم فوصيتي أليكم أنكم تشتغلون بعدي بدفع الأعداء ورفع الأصدقاء وتكونون جميعا على رأي واحد حتى تعيشوا في نعمة وعز ودلال وتتمتعوا بالمملكة[3] .

وفاتـــــــــه :

عندما وصل جنكيز خان إلى بلاد خرسان مرض ورجع إلى عاصمته في قراقورم وهناك عرض له مرض عفونة من هواء وخيم ولما قوي مرضه استدعى اولاده[4] وقال لهم : إنني أيقنت مفارقة الدنيا لعجز قوتي عن حمل ما بي من الآلام لذلك أوصاهم مجموعة وصايا أبرزها وصية ولاية العهد لأوكتاي على العرش والاهتمام بالرعية وعند فراغه من الوصية اشتد وجعه وتوفي[5] امبراطور المغول جنكيز خان في الرابع من رمضان[6] سنة 624 هـ[7] والذي يصادف 1226/1/18[8] إلا إن المقريزي يذكر تاريخ وفاته سنة 625 هـ – 1227م[9] وكانت مدة حكمه تزيد على ثلاثة وعشرون سنة[10] وقيل خمسه وعشرون[11] عن عمر يناهز اثنتان

---

(1) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص22
(2) العزاوي، العراق بين احتلا لين ، جـ1، ص131
(3) الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص 137- 138
(4) القرماني، اخبار الدول، ص286؛ فوزي، فاروق عمر، العراق و التحدي الفارسي، (دار الشؤون الثقافية ألعامه بغداد -1987، ص269
(5) أبن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص426
(6) الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، جـ2، ص430
(7) الذهبي، دول الإسلام، جـ2، ص98- 99؛ أبن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، جـ6، ص268؛ أبن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج2، جـ5، ص113
(8) احداث السنين في التقويمين الهجري و الميلادي، أشراف جاسم محمد جرجس ود.محمد مظفر الادهمي. (بغداد – 1408هـ/ 1988 م)، ص 324
(9) السلوك، جـ1، ص227
(10) القرماني، اخبار الدول، ص286
(11) الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص98-99

والسبعون[1] وقد دفن جنكيز خان بتركستان الصيني في بلدة ترخان خلدون وهي موطنه الأصلي[2] .

ولاية العهـــــــد :

كان من أسباب القلاقل في إمبراطورية المغول عدم وجود قانون لوراثة الحكم فقد أدى ذلك إلى كثرة المباحثات والجدل بعد وفاة كل خان وكان لابد للاعتراف بالخان الجديد من أن يحضر كل أعضاء الأسرة حفل اعتلاء العرش ولذلك كان يعقد بهذه المناسبة (القوريلتاي) وكانت إرادة الخان المتوفي مرعية المقام ولكنها لم تكن تفرض على الأمراء بلا قيد أوشرط وربما انقضت سنين بين وفاة الخان وانعقاد القوريلتاي وكان الحاكم طوال هذه المدة وطبقا للتقاليد هوزوجة الخان المتوفى ولكن سلطانها لم يكن يعترف به من الجميع بل كان بعض الأمراء يتصرفون في إقطاعيتهم بوحي من أنفسهم غير عابئين بحقوقها[3].

وقد تجلى هذا النوع من القلاقل في الفترة بين اوكتاي سنة 639 هـ/1241 م واعتلاء ابنه كيوك[4] العرش في سنة 644 هـ/ 1246 م إذ كانت إرادة المتوفى أن يلي العرش شخص اخر وعندما توفي كيوك سنة 646 هـ/ 1248 م فانتقل العرش إلى أخر من أبناء جنكيز خان هو(تولي) وفي سنة 649هـ/1251م نصب منكوالابن الأكبر ((لتولي)) خاناً على الإمبراطورية كلها ولم يكد يعتلي العرش حتى تأمر عليه بعض الأمراء وهكذا ظلت ولاية العهد محطة للمنازعات والخلافات[5] .

اختيار جنكيز خان لأوكتاي * قبل وفاتـــه :

في إثناء حياة جنكيز خان وقع اختياره على ابنه اوكتاي ليكون ولي عهد وخليفته من بعده[6] لقد برهن جنكيز خان مرة أخرى وهويختار خليفته على ما امتاز به من قدرة فائقة في تقدير للرجال واتساع افقه وعمق تفكيره ونفاذ بصيرته فقد كان بمقتضى

---

(1) المقريزي، السلوك، جـ1، ص227

(2) بارتولد، تركستان، ص641-642؛ لين بول، الدول الاسلامية،ج2، ص500؛ الامين، الاسماعيليون والمغول، ص77

(3) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص28-29؛ بار تولد، تاريخ الترك بآسيا، ص 186- 187

(4) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص 176؛ بار تولد، تركستان، ص 675

(5) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ5، ص 178- 180.

* اوكتاي: ورد اسم اوكتاي بصور مختلفة عند المؤرخين اوغطاي، اوكداي، ولكن كان اوكتاي هو الاكثر شيوعاً عند مؤرخي المغول و معناها العروج الى الجبل أو المقاتل القوي الشجاع البطل، الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص23؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، ص14-16؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ص228؛ بار تولد، تركستان، ص650؛ العزاوي، العراق بين احتلا لين، جـ1، ص134؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص166

(6) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص23، المقريزي، السلوك، جـ1، ص228

العرف المغولي للابن الاكبر وسلالته الحق في ولاية حكم الإمبراطورية في حين كان للابن الأصغر الحق في الاحتفاظ بالوطن الأصلي للمغول فقد كان عليه أن يدعو المجلس العام (القوريلتاي) للانعقاد للتصديق على ولاية الحكم غير أن جنكيز خان خالف هذا العرف ورشح للحكم ثالث أبنائه وتغاضى عن ابنه الأكبر (توشى) لأسباب عديدة منها عدائه المستمر مع أخوته بالإضافة إلى سجل أعماله العسكرية والإدارية لم يكن مقبولاً إلا إنني اعتقد إن السبب الرئيسي وراء استبعاده هو أن شرعية بنوته كانت موضع نزاع[1] وهذا ما أكده هارولد لامب بقوله (أن قبائل المركيت قامت باختطاف عروس جنكيز خان رداً على ما قام به والده قبل ثمانية عشر عاماً فقد خطف منهم امرأة إلا أن جنكيز خان قام باسترجاعها لكنه لم يتأكد من أن ابنه البكر كان من صلبه ولحبه الشديد لها فأنه لم يفرق بين أولاده منها[2] إما ثاني أبنائه (جغتاي) يكاد يكون اقربهم إليه في الطباع وهو الذي عرف بالصرامة والتشدد في تطبيق القانون وتحقيق المبادئ الأساسية التي ينطوي عليها نظام جنكيز خان[3] إلا أن مزاجه الحاد المتقلب جعله لا يصلح أن يكون حاكماً صالحاً[4] ولم يغتر جنكيز خان بما اشتهر به (تولي) من مواهب عسكرية[5] حيث يعتبر فيما يبدواقدر أخوته وأكفأهم فأنه ينقص من قدره ما درج عليه من الانغماس في المباذل مع أن اوكتاي حسبما اعتقد جنكيز خان لم يتوفر له من المواهب ما كان لأخوته فأن ما اتصف به من الصبر والكياسة يكفل له القدرة على معالجة إخوته[6].

لقد وضع جنكيز خان اوكتاي نصب عينيه لما امتاز به من خصب القريحة وسعة الأفق وسماحة الوجه فضلاً عن عبقريته ونشاطه وإدراكه السليم للأمور واتصافه بصفات تجعله مقبولاً لدى الناس[7] أن الاعتبار الأول الذي وضعه جنكيز خان في اختيار خلفه هوكيفية المحافظة على إمبراطورية مترامية الإطراف وضمان روح الوفاق بين أمراء البيت المالك للحفاظ على امن الإمبراطورية الرعوية ووحدتها ذلك أن تماسك أمراء البيت المالك لايتم إلا بسيطرة شخصية جبارة تتصف بالعبقرية كشخصية جنكيز خان أوبتأثير شخص يتمتع بصفات حميدة ودماثة الخلق فقد كان اوكتاي وحده تتوفر فيه تلك الشروط فهولم يكن متشدداً في تنفيذ الياسا بل ان ولعه بالخمر تجاوز بكثير الحدود التي وضعها جنكيز خان وقد اكبر جنكيز خان الصفات

---

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص16-17، 97 ، بار تولد، تركستان، ص649؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، جـ3، ص429

(2) جنكيزخان، ص 24 -25

(3) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص 146؛ العريني، المغول، ص155

(4) رنسيمان، الحروب الصليبية، جـ3، ص429

(5) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص146؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص165

(6) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص 72- 147؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، جـ3، ص429

(7) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص72؛ الصياد، المغول في التاريخ جـ1، ص165

الحميدة التي تحلى بها اوكتاي فوقع عليه الاختيار ليخلفه في الحكم مفضلاً إياه على تولي ذي المواهب العسكرية وعلى جغتاي الذي عرف بصرامته في تطبيق الياسا[1].

اعتلاء اوكتاي العــــرش :

عندما توفي جنكيز خان في عام الخنزير سنة 624 هـ /1226م تقلد تولي منصب الوصي على العرش والملك[2] فقد ظلا خاليين من ملك قرابة سنتين وأخيرا فكروا في انه قد يحدث أمرا ما وليس هناك رئيس ولا ملك معين فيتطرق الفساد والخلل إلى أساس الملك فمن المصلحة التعجيل بتنصيب خان للخانية لذلك تبادلوا الرسل فيما بينهم وقرروا عقد القوريلتاي[3] ففي ربيع سنة 626 هـ/1228م تم اجتماع الأولاد وأمراء المغول فوصل من طرف القبجاق توشي وأولاده من طرف أيميل اوكتاي ومن طرف المشرق عمهم اوتكين والغ نوين حيث وفد من منغوليا جميع أفراد الأسرة الحاكمة وقواد الجيش وظلوا ثلاثة أيام متوالية في انس وطرب ثم شرعوا فيما تقدم به جنكيز خان من الوصية والعهد بالمملكة إلى اوكتاي فامتثلوا كلهم للأوامر الجنكيز خانية واعترفوا بأهليته لذلك فاستقا لهم اوكتاي الولاية قائلا : أن أمر الوالد وأن كان لا اعتراض عليه لكن هاهنا أخ اكبر مني وأعمام هم أولى مني بها فلم يقبلوه إياها وأصروا على انه لابد من امتثال مرسوم الوالد وداموا على إصرارهم أربعين يوماًً وما زالوا يتضرعون إليه ويلحون عليه بالمسألة حتى أجاب إلى ذلك ثم بد أوبعاداتهم في تنصيب القا آن الجديد ومنها كشفوا عن رؤوسهم[4] من خلال رفع القلانس عن رؤوسهم والقوا الأحزمة على اكتافهم ثم اخذ جغتاي بيد اوكتاي اليمنى واخذ تولي خان بيده اليسرى وامسك عمه (اوتجكين) بمنطقة حزامه وأجلسوه على سرير الخانية[5] وفي رواية أخرى أن عمه هوالذي اخذ بيده اليسرى ولقباه قاآن ولزم له الغ نويان كأس الشراب فسقاه وجثا جميع الحاضرين على ركبهم تسع مرات[6] ودعوا له ثم برزوا كلهم إلى الخارج وجثوا ثلاثة مرات حيال الشمس وإنما اختص الغ نويان بلزوم الكأس لأنه اصغر أولاد جنكيز خان وفي عادة المغول أن الابن الأصغر لا يقتسم ولا يخرج عن بيت أبيه وإذا مات الأب فهو يتولى تدبير المنزل ففي تلك الأربعين يوماً كان يقول اوكتاي أن الغ نويان هو صاحب البيت وأكثر مواظبة لخدمته وابلغ مني تعلماً لسياسته فالمصلحة تفوض هذا الأمر إليه فلذلك سبق الجميع بتصريح الطاعة وأما الأمراء فقد انتخبوا من بناتهم الأبكار الصالحة لخدمة القا آن أربعين بنتاً وحملوهن مزينات بالحلي

---

(1) بار تولد، تركستان، ص 649 -650
(2) بار تولد، م. ن، ص 649
(3) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص28؛ العزاوي، العراق بين احتلا لين، جـ1، ص135
(4) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص97- 98؛ ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول، ص426-427
(5) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص 30؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص166
(6) الجو يني، جهانكشاي، جـ1، ص97؛ ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول، ص428

الفاخر والخيول الرائعة إلى خدمته[1] وفي رواية أخرى أن هؤلاء الفتيات الحسناوات يقتلن ويقدمن قرباناً لروح جنكيزخان بعد أن ألبسوهن ملابس ثمينة وزينوهن بالمرصعات والجواهر[2] ثم بعد ذلك أشار الخان باحضار الأموال والخزائن وأمر بتوزيعها على كل فرد من الأقارب والأباعد والعشائر التي لا تحصى كل حسب جهده وعندما فرغ من أقامة الولائم وتوزيع المنح أمر بتقديم الأطعمة ثلاثة أيام متتالية صدقة على روح جنكيز خان وذلك حسب تقاليدهم القديمة ورسومهم ونظمهم المتبعة[3].

---

(1) ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول، ص 428؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص46- 47

(2) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص 30

(5) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص98؛ القزاز، الحياة السياسية، ص 46

صفاته وأخلاقـــه :

اجمع المؤرخون الإسلاميين وغير الإسلاميين على وصفه بالجود والكرم والمروءة واطلق عليه مؤ رخوا الإسلام (حاتم زمانه) وميله إلى ألشفقه والرحمة وبغضه لأراقه الدماء بغير داع أوسبب [1] وقد اشتهر بالعقل والكفاءة وسداد الرأي والتدبير والشباب والوقار والفتوة والعدل[2] وقيل انه أذكى أخوته فكان ذلك سبباً في اختياره خلفاً لأبيه بالإضافة إلى العبقرية والنشاط وشدة العاطفة والإدراك السليم والصلابة ومن صفاته أيضا البساطة والأدمان على الشراب والاستمتاع بالحياة[3].

زوجاتـــــه :

كان لاوكتاي زوجات كثيرات كما كان له ستون محظية إلا أن زوجاته المشهورات كن أربعا ذكر رشيد الدين منهن اثنان فالزوجة الأولى (بورا قجين) وكانت أكثر الخواتين شأناً إما الزوجة الثانية فهي (توراكينا) وهي من قبيلة (اوهات مركيت) فبالرغم من أنها لم تكن صاحبة جمال بارع ألا انها كانت ذات سلطان كبير وهذا ما أثبتته في مدة حكمها بتوليها الوصاية بعد وفاة زوجها[4].

أبناءه :

كان لاوكتاي سبعة أولاد وكانت توراكينا خاتون إما للخمسة الكبار منهم أما الاثنان الآخران فقد ولد كل منهما من محظية وأبرزهم كيوك الذي جلس على العرش بعد وفاة أبيه والثاني (كوتان) وكان قائد جيش في عهد منكو[5] أما الثالث (كوجر) كان منكوقاان يود أن يجعله ولياً للعهد لولا وفاته[6] والرابع (قراجان) والخامس (قاشي) وسمي هذا الاسم نسبتاً إلى ولاية قاشي التي استولى عليها جنكيز خان أما السادس فكان (قدان أغول) وأخيرا (ملك) وهؤلاء الاخرين امهما كانت محظيه[7].

ابرز إعمال اوكتـــــا ي :

قام اوكتاي بالعديد من الأعمال والإصلاحات وشرع بعض النظم بالاضافة إلى العديد من الأعمال في الإمبراطورية المغولية وخاصة في البلاد المغلوبة حيث قام بالتخفيف من الويلات التي لاقتها على يد أبيه ومن اعماله ما يلي:

---

(1) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص126؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، ص72؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص192

(2) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص16

(3) العريني، المغول، ص159

(4) جامع التواريخ، ص17-18؛ العزاوي، العراق بين احتلالين، جـ1، ص18، 140

(5) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص 18 – 27

(6) الدهوكي، جهاد الأيوبيين، ص170

(7) رشيد الدين، م . ن، ص27

- إنشاء العاصمة قراقورم[1]:

أن فكرة أنشاء العاصمة واختيار موقعها كان في عهد جنكيز خان إلا أن هذه الفكرة نفذت عملياً في عهد اوكتاي حيث أنشأ اوكتاي سنة 632 هـ/1234م حاضرة له في الموضع الذي اقترحه جنكيز خان من قبل حيث احضر اوكتاي من بلاد الخطأ مختلف طبقات الأساتذة لكل صناعة وحرفة وأمر أن يشيدوا في منطقة قراقورم قصراً عالياً البنيان رفيع الأركان إلى أقصى حد ويليق بالهمة العالية لملك مثله فقد أنجزوا تلك العمارات بأبهى نسق وأكمل النظام وزينوها بفنون النقش والتصوير ثم أصدر فرمان يقضي بأن يبنى كل من الإخوة والأبناء وسائر الأمراء الذين كانوا يلازمونه دوراً فخمة عالية حول القصر فامتثلوا جميعاً للأمر وبعد أن شيدت تلك المباني واتصل بعضها ببعض بدت مجمعاً من العمارات المكتظة والبالغة حد الروعة والترف[2] وكان لوزيره (ينى – ليون تشوتساي) الذي كان وزيراً لأبيه دوراً كبيراً في إنشائها وأداره البلاد بصورة عامة[3] .

- موقف اوكتاي من المسلمين :

أثنى مؤرخوالمسلمين ثناء عطر على اوكتاي لحسن معاملته للمسلمين فقد كان كريم الخلق طيب المعاملة للمسلمين[4] على العكس من أخيه جغتاي الذي اعتبر الد أعداء المسلمين بين خانات المغول[5] كافة وقد بلغ من شدة عدائه لهذا الدين انه لم يكن يرغب أن ينطق احد بكلمة (مسلم) في حضرته اللهم إلا إذ أريد التحقير والحط من شأنها وانه يمنح بالش ذهب أي ما يعادل ثلاثمائة دينار لكل من يحمل له خبر إعدام احد المسلمين وكان لا يكف عن إيذاء المسلمين وإلحاق الضرر بهم وكان يود أن يستأصل شأفتهم من سائر البلدان[6] وتنفيذاً لهذه السياسة درج على تحريض كبار الشخصيات المغولية من الأمراء والقواد لكي يوشون بالمسلمين عند اوكتاي ويعمل على الخلاص منهم وذات يوم جاء راهب بوذي إليه وقال له: اني رأيت جنكيزخان في المنام وانه يأمر ابنه اوكتاي بضرورة العمل على هلاك المسلمين في جميع الأقطار وإلا سوف يكون على أيديهم القضاء على المغول واوكتاي بذكائه وفراسته أدرك على الفور أن هذا الكلام كذب ومحض افتراء فعقد اجتماع حضره كبار الشخصيات وآمر باستدعاء الراهب ثم

---

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص60، بار تولد، تاريخ الترك، ص185

(2) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص126–127؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، ص59-60؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص53

(3) العريني، المغول، ص 160 - 161

(4) بارتولد، تركستان، ص 660- 662

(5) الجو يني، جها نكشاي ، جـ1، ص107؛ رشيد الدين ، جامع التواريخ، ص73؛ بار تولد، تاريخ الترك، ص199؛ ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص265

(6) ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص266؛ ألخالدي، العالم الإسلامي، و الغزو المغولي، ص191

وجه الخان بسؤال للراهب: اتعرف المغولية أم التركية أم الاثنين معاً فقال: اعرف التركية فقط فقال اوكتاي أن جنكيزخان كان لا يعرف سوى المغولية وأنت لأتعرف سوى التركية فبأي لغة أذن أبلغك الأمر(1) هكذا استطاع افتضاح أمر الراهب وكذبه وعرف أن جغتاي وراء ذلك فقال له كفوا أيديكم عن إيذاء المسلمين لأنهم أخوتنا وأصدقاؤنا وقد استمدت مملكتنا القوة منهم وبعونهم اصبح العالم مسخراً لنا وطوع امرنا(2) وكان جغتاي ينزل العقاب الصارم بكل مسلم يخالف قوانين الياسا فلم يكن بوسع المسلمين الوضوء في المياه الجارية أويذبحوا البهائم وفقا للشريعة إلا في السر بالإضافة إلى العديد من المواقف التي سجلها التاريخ لنا(3) ومع ذلك نجد بارتولد يقول: أن المؤرخين المسلمين بالغوا بدرجة كبيرة بمقدار الكراهة الشخصية التي يضمرها جغتاي للمسلمين محاججاً هؤلاء المؤرخين بوزير جغتاي الذي يعتبر مستشاره الأول ويده اليمنى كان مسلماً(4) متناسياً بارتولد ان وزير جغتاي الذي يدعى (حبش عميد) كان ممقوتاً من قبل المسلمين أنفسهم وذلك لأنه لم تكن لديه غيرة خاصة على الإسلام .

فكان اوكتاي على عكس جغتاي تماماً وهذا ما ذكره الجويني بسرده العديد من القصص التي تؤكد على مدى تسامح وتعاطف اوكتاي مع المسلمين وقيل انه يفضل الإسلام على بقية الأديان وانه كان يحمي المسلمين من كيد أعدائهم ومنافسيهم من الصينيين والاويغور ففي احد المرات حاول احد الايغور إرهاب احد معارفه من المسلمين وحمله على الدخول في الوثنية وقد امر القا أن بضرب الايغوري مائه عصاة في السوق وأن تسلم زوجه ومنزله للمسلم الى جانب مائه بالش كغرامة (5).

مرض اوكتاي ووفاتـــــــــه :

كان اوكتاي ولوعاً إلى حد أقصى بالشراب والإدمان على الخمر وكان يسرف في ذلك فيزداد ضعفاً يوماً بعد يوم ولم يكن يتيسر للخاصة ولا للأصفياء منعه من ذلك رغم ما كانوا يبذلونه من جهود وعلى هذا صار يكثر من الشراب رغماً عنهم(6) فعين أخوه جغتاي أميرا باسم الشحنة للمحافظة عليه ومراقبته بحيث انه لا يدعه يتناول أكثر من عدة كؤوس معينة ولما لم يكن يستطيع مخالفة أمر اخيه صار يحتسي الكؤوس

---

(1) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص109؛ و رشيد الدين جامع التواريخ، ص76
(2) رشيد الدين، جامع التواريخ، جـ1، ص76؛ العزاوي، العراق بين احتلا لين، جـ1، ص139
(3) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص107، رشيد الدين، جامع التواريخ، ص73؛ بار تولد، تركستان، ص662
(4) تركستان، ص662
(5) جـها نكشاي، جـ1، ص 118- 119؛ رشيد الدين، جـامع التواريخ، ص76
(6) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص 103

الكبيرة بدل الصغيرة إلى أن تساويها في العدد[1] وفي أحدى الليالي عندما حان اجله أفرط في الشراب فتوفى وهونائم وكان ذلك في عام الحصان الموافق الخامس من جماد الآخرة عام 639هـ[2] الموافق11 ديسمبر1241م[3] وكانت مدة حكمه ثلاثة عشر سنة[4] وكانت من عادة المغول آن يدفن الخان في الاردوالخاص به لذا فقد نقل جثمانه إلى ضفاف نهر (ارتيش) ودفن بجبل شاهق وبعد فترة قليلة لحقت به (موكه) أحب زوجاته إليه بالرغم من انه لم يرزق منها بطفل[5].

أوضاع المغول بعد وفاة اوكتاي :

بعد موت اوكتاي بدأت سلسلة من المحاكمات المقيتة والإعدام الوحشي ببلاط القاآن وقصور الأمراء الإقطاعيين والتي جعلت فيما بعد من عبارة (يذهب إلى الاردو) تعني انه ذاهب إلى موت محقق[6].

وكالعادة يقف هنا بارتولد المدافع الأول عن العنصر المغولي بقوله: انه ليس من الإنصاف إلقاء مسؤولية هذه الأعمال على المغول وحدهم وينتقد بعض المؤرخين بقوله: حينما يشيرون إلى (الصور المريعة) في تاريخ المغول يتناسون أن معظم هذه المحاكمات أن لم تكن جميعها والتي تركت فينا مثل هذا الأثر الرهيب إنما كان مبعثها الدسائس التي كان يحيكها ممثلو الشعوب المتحضرة وإن حكام المغول لم يكونوا في واقع الأمر سوى أدوات في أيدي أولئك الذين مهروا في الدس من بين المسلمين والايغور والأوروبيين[7] إما بالنسبة لوراثة العرش فقد أحيط بهذه المسألة بعض الصعوبات إذ لم يكن من بيت أل جنكيزخان من تلتف حوله القلوب وقد شاع قول مؤداه أن جنكيز خان نفسه قد أوصى بأن يؤول العرش بعد وفاة اوكتاي إلى ابنه الثاني (كوتان) إلا انه كان مصاب بعله لا يرجى منها شفاء وكان اوكتاي قاآن قد اختار في حياته ابنه الثالث (كوجو) الذي ولد من توراكينا لولاية العهد وخلافته من بعده ولكنه توفى أيضا في حياة القا أن ولما كان القاآن يحب كوجو أكثر الجميع أمر بأن يكون ولياً لعهده وخليفة له ابنه (شيرامون) الذي تربى في بلاطه[8] غير ان المغول عدوه حدثاً صغيراً لا ينفع للحكم[9] لذلك حرصت توراكينا خاتون على أن تجعل ابنها كيوك خاناً

---

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص 62

(2) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص 103- 104

(3) لين بول، الدول الإسلامية، جـ2، ص505-506؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص55

(4) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص63

(5) بارتولد، تركستان، ص671

(6) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص 129-132؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، ص177-180؛ بار تولد، تركستان، ص 673

(7) تركستان، ص 675

(8) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص 130؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، ص 179- 180؛ بارتولد، تركستان، ص 675

(9) بارتولد، تركستان، ص 675؛ العزاوي، العراق بين احتلا لين، جـ1، ص 140

للمغول[1] في الوقت الذي كان فيه كيوك مشغولا برفقة عمه (باتو) في الاستيلاء على بعض المناطق[2] سير اوكتاي قبل وفاته لاستدعاء كيوك ولكن قبل وصوله حل القضاء المبرم ولم يدع مجالاً للأب والابن بأن تقر اعينهما برؤية احديهما الأخر[3].

تولي توراكينا خاتون وصاية العرش:

تولت توراكينا خاتون الوصاية على العرش المغولي خلال سنوات خلو العرش من الخان عقب وفاة زوجها اوكتاي ففي خلال السنوات الثلاث التي تولت الوصاية على العرش استطاعت ان تؤلف جبهة قوية لتحقيق هدفها في اجلاس كيوك على العرش[4] وجرياً على عادة المغول شرعت توراكينا خاتون زوجة الخان الراحل –تباشر مهام الحكم الى ان يعقد (القوريلتاي) لانتخاب الخان الجديد وكانت هذه السيدة تحرص حرصاً شديداً على تولي كيوك العرش فعملت على ان يطول امد وصايتها لكي تمهد السبل لتحقيق هذه الامنية[5] وضعت توراكينا خاتون الملك في قبضة تصرفها بلطائف الحيل وفقاً لهواها دون استشارة افراد الاسرة الحاكمة وصارت تجتذب قلوب الامراء بانواع التحف والهدايا حتى مال الجميع اليها واصبحوا رهن اشارتها[6].

قامت توراكينا خاتون بالتخلص من كبار الشخصيات والولاة الذين كانوا اشد المعارضين لسياستها فقد كانت مستاءة ومتضايقة منهم وتحقد عليهم فعملت على معاقبة كل واحد منهم[7]. وكان هذا كله من تخطيط حاجبتها التي تدعى ((فاطمة)) فقد احضرها المغول من طوس* عندما استولوا على خراسان وكانت فاطمة هذه غاية في الذكاء والكفاءة وموضعاً للثقة وكاتمة اسرار الخاتون وكان حكام الاقاليم يتخذونها وسيلة لتحقيق اغراضهم فاخذت توراكينا خاتون بناءاً على مشورة تلك الحاجبة تعزل الامراء واركان الدولة الذين كانوا قد عينوا في المناصب الكبرى في عهد القاآن وتولي مكانهم طائفة من الجهال[8]. ومن ابرز ضحايا توراكينا خاتون وحاجبتها فاطمة هووزير القاآن الاعظم ويدعى (جينقاي) حيث امرت باعتقاله فلما علم بما يدبر له هرب الى كوتان ولجا الى حمايته[9]. ومن ضحاياها ايضاً (محمود يلواج) الذي كان

---

(1) الجو يني، جها نكشاي، جـ1، ص 131؛ العريني، المغول، ص 188
(2) لين بول، الدول الإسلامية، جـ2، ص 505 - 506
(3) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 448
(4) الجويني، جها نكشاي وجـ1، ص129-131؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص157 .
(5) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص178-179؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص194 .
(6) الجويني، جها نكشاي، جـ1، ص129 .
(7) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص176؛العريني، المغول،ص188.
* طوس: مدينة بخراسان و إحدى قرى بخارا فتحت ايام عثمان بن عفان (رضي الله عنه)،ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ4،ص49-50؛ القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص411.
(8) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ5، ص167-168.
(9) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص129-130؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، ص177.

القآن قد ولاه منصب صاحب الديوان فقد كانت حاجبة توراكينا خاتون فاطمة تضمر له عداءاً قديماً فانتهزت الفرصة للتخلص منه وعينت مكانه شخصاً يدعى عبد الرحمن[1].

حيث امرت باعتقاله هوالاخر فاوفدت رسلاً للقبض عليه واحضاره مع اتباعه[2] فاستقبلهم محمود يلواج بالبشر والترحاب وقدم لهم مراسيم الاكرام والإعزاز وظل مشغولاً بضيافتهم في الوقت الذي يستعد به للفرار خفية وفي الليلة الثالثة شغلهم بالشراب واسكرهم سكراً تاماً واغرقهم بالنوم ثم فر مع نفر من فرسانه الى كوتان وبذلك امن شرهم وقد اتخذ يلواج وجنيقاي حضرة كوتان مامناً لهما فشملهما بعطفه ثم قام الرسل بتعقب يلواج فلما بلغا كوتان عرض عليه فرمان والدته الذي يقضي بالقبض على يلواج واحضاره فقال كوتان قولا لوالدتي ان بغاث الطيور التي تهرب من مخالب الصقر تلجا الى شجرة الشوك تامن صولة العدو وحيث انهما لجئا الينا تكون اعادتهما امر بعيداً عن المروءة، الا ان توركينا خاتون اعادت الرسل الى ابنها عدة مرات تصر على حضورهما فكان كوتان يعتذر عن عدم ارسالهما بنفس ذلك العذر[3].

جلوس كيوك خان على العرش:

بعد ان وجدت توراكينا خاتون الظروف المهيئة لنجاح خطتها وهي جلوس كيوك على العرش ارسلت الرسل الى كبار الشخصيات المغولية في جميع الاطراف والامصار لحضور جلسة القوريلتاي التي سوف ينصب فيها كيوك رسميا" خانا" اعظم كما وغادروا مساكنهم واوطانهم امتثالا" للفرمان وعندما حل ربيع عام الحصان الواقع في ربيع الثاني سنة (644هـ/1246م)وصل الامراء الانجال كل منهم مع اتباعه واشياعه واجتمعوا في موضع (كوكا ناوور) ماعدا (باتو)* الذي كان على خلاف معهم فاعتذر عن عدم الحضور[4] فلم تكن لديه رغبة في تحمل اعباء السفر من اجل تتويج رجل يكرهه كرها" لايطاق لذلك تعلل بوعكة صحية المت به وكان سبب الكره هو معاملة كيوك لباتو بكبرياء وتعجرف.[5] كما وقد وصلت رسل من دار الخلافة فقد اوفدوا احد قضاة بغداد وارسل صاحب الموت* رسلا" للمشاركة. [1] ويذكر الصياد بأن

---

(1) الجويني، جهانكشاي، جـ1،ص130؛ اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ1، ص152.
(2) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ5، ص168.
(3) الجويني،جهانكشاي،جـ1،ص129-130؛ رشيد الدين،جمع التواريخ، ص177.
* باتو:- وهو حفيد جنكيزخان اصبح بمثابة عميد للاسرة بعد وفات اولاد جنكيزخان الاربعة. للمزيد من المعلومات انظر الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص 143 – 144؛ رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 108
(4) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص 133 – 134
(5) رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 180؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص 158
* هو ركن الدين خورشاه آخر حكام الاسماعيلية، للمزيد من المعلومات انظر الفصل الرابع، ص49–50.

هـذه المشـاركة ربمـا تكـون بـدافع الخـوف والفـزع وتفاديـا" لنقمـة المغـول وتجنبـا" لشرهم.[2] اما نحن فنقول ربما كان هدفهم الاستطلاع وجس نبض ومعرفة ما يفكرون به كما وحضر اثنان من الكهنة المسيحيين وهما (سمباد) و(يوحنـا بيـان دل كـاربيني)[3] قدم هؤلاء جميعا" الـى قراقورم محملين بالاحمال الكثيرة والهدايا الفاخرة التـي تليق بمثل تلك الحضرة وكانوا قد اعدوا لهم مايقرب من الفي سرداق ولكثرة الخلق لـم يبق موضع للنزول في المنطقة المحيطة بالمعسكر وارتفعت اسعار المأكولات والمشروبات ارتفاعا" فاحشا" وندر وجودها ، ثم تحدث الامراء والانجال في موضوع الخانية قـائلين حيث ان كوتان الذي كان جنكيزخان قد رشحه للقاآنيه بعد وفـاة القـاآن عليل ولمـا كانـت توراكينـا خـاتون تميل الـى تنصيب كيوك ولـم يبلـغ شيرامون وصـي القـاآن سـن الرشد تقتضي المصلحة بأن ننصب كيوك خان الابن الاكبر للقاآن خانا" اعظم[4] وبعد البحث والمشاورة اتفقوا على اجلاس كيوك على العرش فكان يأبى تقليد هذا المنصب معتذرا" بضعفه واعتلال صحته ومتمسكا" بهذا العذر وبعد الحاح الامراء عليه قال لهم:- (انـي اقبل هذا المنصب بشرط ان تبقى الخانيـة فـي ذريتـي) فكتبوا كلهم تعهدا" بالموافقة.[5] عندئذ رفعوا العلم فنزع جميع الامراء الانجال قلانسهم وحلوا احزمتهم واجلسوه علـى عرش الخانية وذلك عام الحصان الموافق ربيع الثـاني سنة (644هـ/ 1246م) وجريـا" على المعهود عندهم تناول الجميع الكؤوس وركعوا امام عرشه واعلنوا انتخابـه رسـميا" خاقان للمغول واشتغلوا مدة اسبوع بالمآدب والحفلات. [6]

صفاته:

لم يتصف كيوك بتلك الاخلاق السمحة التي تميز بها ابوه وقد شابه اباه فقط فـي ولعه الشديد بالخمر والنساء فقد كـان اوكتـاي يتمتـع بحياتـه ويتـرك للآخـرين ان يتمتعـوا بحيـاتهم امـا كيـوك فانـه قـد احالـه التهالـك علـى المـلاذ إلـى كـائن عبـوس سـقيم الـنفس والجسد[7] كمانه كان مشهورا بالغلبة والشطط والاقتحام والتسلط والتهور[8] والنشـاط الوافر[9] كما كان كيوك خان ((ملكاً له حشمة الفلك وعظمـة الملـوك وشوكة البحـر مـع خيلاء العظمة وكبرياء النخوة وعندما ذاع نبـأ جلوسـه فـي العـالم كانـت خشـونته وهيبتـه وسياسته قد عرفت واشتهرت بحيث الخوف والفزع منـه كانـا قـد سيطرا علـى قلـوب

---

(1) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 448؛ رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 181
(2) المغول في التاريخ، جـ 1، ص 196
(3) رنسيمان، الحروب الصليبية، جـ 3، ص 446
(4) الجويني، جهانكشاي، جـ 1، ص 134 – 135؛ العريني، المغول، ص 188
(5) مير خواند، تاريخ روضة الصفا، جـ 5، ص 172
(6) رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 182
(7) بارتولد، تركستان، ص676
(8) العزاوي، العراق بين احتلالين، جـ1، ص140؛ القزاز، الحياة السياسية، ص57
(9) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص449؛ العريني، المغول، ص192 .

المعاندين قبل ان تصل احكامه الى المخالفين وكان كل من يسمع صيته من المقيمين في الاطراف لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار وذلك خوفا من صولته وخشية من سطوته ولم يكن لاركان حضرته والمقربين اليه وخواصه مجال لان ينقلوا قدما عن قدم دون استئذان كذلك لم تكن عندهم الجرأة على ان يعرضوا علية مصلحة من المصالح قبل ان يشرع هوفي الكلام فيها ولم يكن القادمون من القريب اوالبعيد يستطيعون ان يتقدموا شبرا واحدا الا اذا كان قد استدعاهم وكان كيوك ضعيف البنية في اصل خلقته ولم يكن خاليا من المرض وبالرغم من ذلك كان يعكف على معاقرة كؤوس المدام فكان هذا سبب في اشتداد المرض عليه[1])).

زوجاته وابناءه:

كان له زوجات ومحظيات كثيرات[2] وكانت ((اغول قيميش كبراهن جميعاً)) ولكيوك خان ثلاث اولاد اسم اكبرهم "خواجة اوغول" وثانيهم"ناقو"وكلاهما من اغول قيميش. اما الابن الثالث لكيوك اسمه "هوقو" ولد من محظية وله اولاد واحفاد[3].

ابرز اعماله :

كان كيوك خان على خلاف ابيه رجلاً مغامراً محارباً ميالاً للغزووالفتح فهومن هذه الناحية اقرب الشبه الى جده جنكيز خان لذلك كان اول عمل يقوم به عندما استقر في الحكم هولفت نظر الامراء والنبلاء الى ضرورة مراعاة احكام الياسا وتجنب الخروج عليها اوتحريفها وتاويلها كما امر بمعاقبة الذين قصروا في اداء واجبهم اوارتكبوا مخالفات في المدة السابقة على توليه[4]. وانشأ محاكمة للتحقيق مع بعض الشخصيات المشكوك في ولائها وكان "منكوقاآن" و"اورده" ابرز المحققين وذلك لانهما كانا موضع ثقته فحاكموا فاطمة خاتون حاجبة توراكينا خاتون وناقشوا ما حدث من عمه واتجكين الذي كان ينوي السيطرة على الحكم الا انه عدل عن ذلك بعد انتهاء التحقيق قتلوا جماعة من امراء واتجكين[5] وامر ايضاً بالتحقيق ببعض التصرفات من قبل الامراء الانجال التي جاوزت حدها وذلك بعد وفاة اوكتاي وكتبوا الحوالات الى الممالك ومنحوا كل شخص (بايزة)* حيث كانت خارجة عن العرف والقانون فقد اخذ اعوان

---

(1) رشيدالدين، جامع التواريخ، ص175، 187-188.
(2) الجويني، جهانكشاي، جـ 1، ص141 .
(3) رشيد الدين، م، ن، ص175 .
(4) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص158؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص197-198.
(5) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ5، ص173 .

* البايزة: وهي لوحة من الذهب او الفضة واحياناً من الخشب حسب رتبة المهداة اليه في حجم الكف تشبه المدالية في العصر الحديث ينقش على وجهها اسم الله عند المغول واسم الخان المانح وعلامة خاصة واسمى انواعها ما كانت تزينه صورة الاسد وتهدى البايزة الى من يثق

كيوك خان يستردون البايزة والمرسوم من كل واحد ويضعون امامه المخالفات التي ارتكبها واقر قوانين والده كلها ثم امر بان يجدد التوقيع على كل مرسوم مرشح بختم القاان الاحمر دون ان يعرض عليه[1] واعاد (جنيقاي ومحمود يلواج) الى وظائفهم وعينوا ولاة جدد وامر بان يعطى جميع الامراء والملوك التابعين لكل واحد من هولاء الولاة اليرلغ** والبايزات[2].

وزراء كيوك ومستشاريه:

كان لتوراكينا خاتون التاثير الكبير في ولاية كيوك وامتد هذا التاثير حتى على اختيار وزرائه وبما ان توراكينا خاتون كانت تدين بالمسيحية لهذا كان وزراءه والمقربين له اغلبهم ايضاً نصارى ومن ابرزهم الامير ((قداق)) الذي رافق كيوك منذ صباه حيث عهدت اليه توراكينا خاتون الاشراف على ابنها كيوك منذ الصغر[3]

وعندما كبر اصبح بمثابة الاتابكي* له[4] بالاضافة الى قداق كان (جينقاي) وهووزير القاآن السابق وهو بمثابة نائب لقداق وهو ايضاً يدين بالمسيحية ففوض حل كل الامور وعقدها وقبضها وبسطها الى قداق وجينقاي وترك لهما كل خير وشر وصلاح وفساد ولهذا ارتفع شان النصارى في عهد دولته وقلدا منصب الوزارة فيما بعد[5].

موقف كيوك من الاسلام والمسلمين:

لم يكن حكم كيوك قصير الامد(644-646هـ/1246-1248م) خيرا للاسلام ولا للعلوم الاسلامية[6] فقد عانى المسلمون اقصى ضروب الفسق والشدة في عهده[7] حيث كانت امه تدين بالمسيحية بالاضافة الى كونه تربى على يد شخص مسيحي ووزيره

بهم المغول من كبار رجال الدولة كما انها تتضمن امر الخان لسفرائه ويتمتع حاملها بامتيازات ابرزها طاعته انظر جهانبكلو، تاريخ اجتماعي دور المغول،ص167.

(1) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص137-138 .

** اليرلغ: وهي كلمة مغولية تعني المرسوم وجمعها يرالغ وهي المراسيم،القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص427؛ جهانبكلو، تاريخ اجتماعي دور المغول،ص184

(2) ميرخواندا، تاريخ روضة الصفا، جـ5، ص173-174.

(3) الجويني، جهانكشاي،جـ1، ص139؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ1،ص175.

* اتابك: لفظ تركي وهو مكون من مقطعين (اتا) بمعنى اب و (بك) بمعنى امير وكانوا يطلقونها على من يربي اولاد السلاجقة من الاتراك، ابن خلكان، ابي العباس شمس الدين،حمد بن محمد بن ابي بكر (ت:681هـ) وفيات الاعيان وانباء الزمان، تح محمد محيي الدين عبد الحميد،ط2، (دار السعادة-مصر-1384هـ/1964)، جـ1،ص365؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص18.

(4) ابن العبري،تاريخ مختصر الدول، ص450؛ العزاوي، العراق بين احتلالين،جـ1، ص141.

(5) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص188؛ العريني، المغول، ص192 .

(6) بارتولد، تركستان، ص678-680؛ ارنولد، الدعوة الى الاسلام، ص256 .

(7) ارنولد، الدعوة الى الاسلام، ص256؛ الخالدي، العالم الاسلامي والغزو المغولي، ص189 .

جنيقاي كان هو الاخر مسيحي فمن الطبيعي ان يؤثر هؤلاء في طبيعة شخصيته وموقفة من الاسلام والمسلمين فقد قويت شوكت النصارى في عهده وبالمقابل ناصب العداء للاسلام فقد طلب النصارى ذات مرة من كيوك ان يامر الامام بأقامة شعائر صلاة الجماعة فدعا الأمام احد المسلمين وشرعا في الصلاة وجهد النصارى بكافة الوسائل في اعاقة صلاتهما فانهالوا عليهما ضربا عند السجود ودقوا راسيهما بالارض ولكنهما لم يقطعا صلاتهما وبعد ان سلما انصرفا بهدوء، وفي نفس تلك الليلة هلك كيوك جزاء ما جنت يداه في حق الإمام وفي اليوم التالي اعتذر أولاده للامام وجهدوا في ترضيته[1]

فقد انزعج النصارى والبوذيين من حركة الدعوى الاسلامية فكانوا يتظاهرون بانهم يريدون مقارعة دعاة الاسلام الحجة بالحجة واذا ما انتصر هؤلاء الدعاة بحججهم لجأ النصارى والبوذيين بالعدوان عليهم والغدر بهم واستعمال اخس الوسائل ضدهم مستغلين صلتهم بكيوك وعداء هذا الحاكم للاسلام ودعاته[2] وقال رشيدالدين بعد وفاة كيوك: فليتمتع سلطان الاسلام اعواما عديدة بالعمر والشباب والاقبال[3].

وفاة كيوك:

توفيت توركينا خاتون ام كيوك خان سنة (647هـ/1249م) فتشائم كيوك خان بذلك المقام ورحل عنه متوجها الى البلاد الغربية معللا ذلك بان طقسها وماءها ملائم لمرضه فتحرك بشوكة تامة وهيبة بالغة حيث كان هدفة الرئيسي هواخضاع (باتو) بسبب موقفة العدائي منه بصفه خاصة ومن اسرة اوكتاي بصفه عامة[4].

وكانت سيورقتني بيكي سيدة عاقلة وفي غاية الذكاء وعرفت ان استعجاله في تلك الرحلة لا يخلو من مكر فارسلت خفية رسولا الى باتو تقول له" كن مستعدا لان كيوك خان متجه بجيش جرار الى تلك الجهات فحمد لها باتو هذه المنة كثيراً وصار يستعد لقتاله[5] اما ابن العبري فيذكر ان "أغول قيمش" هي التي ارسلت الى "باتو" وحذرته من كيوك[6] الا انني لا اتفق معه في هذا واعتقد انه خلط بين سيورقتني بيكي واغول قيميش فمن غير المعقول ان تقوم اغول قيميش بفضح مخططات زوجها فهذا ليس في مصلحتها على العكس من سيورقتي التي كانت تحاول كسب ود باتو بصفته المستشار الاول للاسرة الحاكمة هذا بالاضافة الا ان اغلب المؤرخين باستثناء ابن العبري ينسبون هذا العمل لسورقتني لما بلغ كيوك حدود سمر قند[7] التي كانت تبعد عن(بيش

---

(1) بارتولد، تركستان، ص678-680؛ ارنولد، الدعوة الى الاسلام، ص257 .

(2) ارنولد، الدعوة الى الاسلام، ص257؛ الخالدي، العالم الاسلامي والغزو المغولي، ص190.

(3) جامع التواريخ، ص185 .

(4) ابن العبري، تاريخ، مختصر الدول، ص451 .

(5) رشيد الدين، جامع التواريخ ص122-123 .

(6) تاريخ مختصر الدول، ص451 .

(7) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص122، ميرخواندا، تاريخ روضة لصفا، جـ2، 176 .

بـاليق)* مسـيرة اسـبوع[1] وافـاه الاجـل الموعـود فـي التاسـع مـن ربيـع الاخـر سـنة (644هـ/1246م) [2] نقلت رفاة كيوك الى معسكره وكانت مدة حكمه سنة واحدة[3].

تولي اغول قيميش الوصاية على العرش:

قدم كل من باتو وسيورقتني بيكي الى (اغول قايميش) التعازي والنصح جرياً علـى العـادة المتبعـة بعـد وفـاة زوجهـا كيـوك خـان فقـد كـان بـاتو يسـتميلها ويواسـيها فـي مصـابها[4].وبصـفته الرجـل الاسن مـن بـين اعضـاء الاسـرة الحاكمـة طلـب مـن (اغـول قايميش) ارملة الخان المتوفي لتقوم بادارة شؤون الامبراطورية بنفسـها حتـى يـتم تقريـر شان انتخاب خان جديد يتولى العرش الشاغر وهو بذلك لم يخرج عن عرف وتقاليد المغول التي تعارفوا عليها واصبحت جزءاً من قانونهم حيث يشترط ان تقوم الارملـة الكبـرى (وهـي زوجـة الخـان الاولـى فـان ماتـت فـالتي تليهـا وهكذا مـن زوجـات الخـان المتوفي) بتدبير شؤون المغول الاداريـة[5] كمـا طلـب بـاتومن اغـول قـايميش ان تستعين بمشورة (جنيقاي) الوزير بتصريف شؤون الملك واركان الدولة ولا تهمل ذلك مطلقاً اذ انـه لا يمكننـي الحركـة وانـتم هنالـك اخـوة تقومـون جميعـاً بمـا يلـزم لـذلك وكانـت اغـول قايميش تقضي اغلب اوقاتها في الخلوة مع السحرة وكانت مشغولة بهذيانهم وخرافـاتهم وقد ظهر (خواجه) و(ناقو) على الخلاف من امهما كحاكمين ومـن نـواحي اخـرى صـار الامراء الانجال يحررون الرسائل وفقاً لاهوائهم ويصـدرون الفارمانـات بسـبب الخـلاف بين الام والابناء والاشخاص الاخرين وبسبب الاراء المتضاربة والتدابير المختلفة افلت الزمام واختلت الامور وصار الامير جنيقاي متحيراً فـي تصـريف الامـور ولـم يكـن أي واحـد يسـتمع الـى كلامـه ونصـحه وكانـت سيورقتني بيكـي ايضـاً ترسـل الـيهم المـواعظ والنصـائح الا ان الابنـاء يظهـرون الاستبداد والتعنـت بسـبب صـغر سـنهم وقلـة تجـربتهم ويقدمون على اعمال غير معقولة[6]

منكو(649-655هـ/1251-1257م):

---

* بش باليق :كلمة مركبة متكونة من جـزءين (بش)بمعنى خمسه (وباليق) بمعنى مدينة أي يصبح معناها المدن الخمسة انظر، بارتولد، تاريخ الترك، ص36 .

(1) الجويني، جها نكشاي، جـ1، ص140 .

(2) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ، ص451؛ العريني والمغول، ص193 .

(3) رشيد الدين، جـامع التواريخ، ص185؛ القزاز، الحياة السياسية، ص57 .

(4) بن العبري،تاريخ مختصر الدول، ص451؛ العزاوي، العراق بين احتلالين، جـ1، ص142.

(5) الجـويني، جهانكشـاي، جـ1، ص141؛ الغامـدي، سـقوط الدولـة العباسية، ص160؛ العرينـي، المغول، ص193.

(6) رشيد الدين،جـامع التواريخ،ص186.

منكو:تختلف المصادر اختلافاً كبيراً في كتابة اسماء الاعلام المغولية فهذا الاسم يكتب في بعض المصادر منكووخاصة الفارسية منها[1] ومانكو[2] وفي البعض الاخر مونككا[3] ويذكر ايضاً مانجو[4].

صفاته: عرف منكوبانه يكره الترف وينكر المباذل وليس له هواية سوى الصيد وحرص على التعلق والتمسك باليسق وبما اصدره جنكيز خان جده من قوانين ومن صفاته ايضاً انه كان بالغ النشاط بارعاً في تسيير الادارة شديد التمسك بالعدالة متوقد الذكاء جندياً باسلاً وسياسياً ماهراً فاعاد بذلك القوة والنشاط الى ما اقامه جنكيز خان من نظم ووهب الامبراطورية المغولية اساليب ادارية قوية وجعل منها دولة بالغة القوة[5].

ديانتـه: ان كلاً من اتباع الديانات المختلفة كان يعد القاان من ملته فالنصارى يزعمون انه (عُمد) متاثراً بذلك بامه ورئيس ديوانه اللذان كانا من النساطرة. اما بارتولد يقول نقلاً عن الجوزجاني ان منكوعند اعتلائه العرش نطق بالشهادتين تحت الحاح من بركة في حين ان البوذيين يزعمون ان منكوقد اعترف بتفوق البوذية بقوله: ان الديانات ما هي إلا كالاصابع الخمسة ليد واحدة غير أنه جعل البوذية راحة اليد والديانات الاخرى الاصابع[6]. وعلى الرغم من ان منكويدين بعقيدة اسلافه الشامانية الا انه كان يشهد الاعياد البوذية والمسيحية والاسلامية دون تفرقة اوتمييز[7] والهدف من ذلك هو لتحقيق سياسته.

دور امه سيورقتني بيكي في تنصيبه:

كان اوكتاي يحب اخوه (تولي) حباً شديداً وعندما توفي تولي تألم اوكتاي كثيراً ولفرط تُالمه وتحسره على احوال ابناء اخيه امر بأن تفوض مصالح الالوس وتدبير شؤون الجيش الى زوجته سيورقتني وهي احدى عاقلات العالم، وان يكون الابناء والجنود طوع امرها وللاشراف على ابنائها وتنظيم شؤونهم وشؤون الجيش والرعية اوجدت سيورقتني انظمة لم يكن في مقدور أي ملك ان ياتي بمثلها ولا يستطيع ان يقوم بتنفيذها وكان القاآن يستشيرها في مهام الامور ومصالح المملكة ولم يكن يحيد عما تراه صالحاً لا يجيز التغيير والتبديل في كلامها وكان اتباعها يتمتعون اكثر من غيرهم

---

(1) الجويني، جهانكشاي، جـ3، ص6؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ5، ص176.
(2) العزاوي، العراق بين احتلالين، جـ1، ص142.
(3) ابن العبري،تاريخ مختصر الدول،ص456.
(4) الصياد،فؤاد عبد المعطي، مؤرخ المغول الكبير(رشيد الدين فضل الله الهمذاني)، (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر-القاهرة-1368هـ/1967م)، ص27.
(5) العريني، المغول، ص194.
(6) تركستان، ص686.
(7) رنسيمان، الحروب الصيبية، جـ3، ص509.

بالحمايــة والاهتمــام والاحتــرام ولــم يصــدر عــنهم أي شــئ يخــالف القــوانين القديمــة والحديثة[1].

وعند جلوس كل ملك كـان الامـراء الانجـال قاطبـة يشـعرون بـالخجل لمـا فعلـوه الا سيورقتني بيكي وابناءها ولا شك ان هذا يمكن ان يعد دليلاً علـى بـالغ كفاءتهـا وكمـال عقلها وكياستها وتبصرها بعواقب الامور ومنذ وفـاة الـغ نويـان (تـولي خـان) حرصـت دائماً على ان تراعي جانب العشائر والاقارب بتقديم التحف والهدايا وبذلت جهوداً فـي استمالت العساكر والاجانب وجعلتهم مطيعين لها مؤيدين بحيث ان اكثر النـاس بعد وفـاة كيوك خان قد اتفقت كلمتهم على تفويض الخانيـة الـى ابنهـا الاكبـر منكـو قـاان وصـارت تسترضـي كل الجهـات الـى ان جلس منكو قـاان بفضـل حصـانتها وكفاءتهـا ورغـم انهـا كانت تعتنق الديانة المسيحية وتعمل على ترويجهـا الا انهـا كانـت تسـعى سـعياً جـدياً فـي اظهار شعائر الشريعة الاسلامية وكانـت تغدق الصـدقات والعطايـا علـى ائمـة المسـلمين ومشايخهم وكما امرت بانشاء مدرسـة فـي بخـارى للمسلمين وتنفق الامـوال والصـدقات علـى الفقـراء والمسـاكين مـن المسـلمين وظلـت تسـلك هـذا الطريـق الـى ان توفيـت سـنة (649هـ/1251م) [2].

اسباب اختيار منكو قاآن:

لقد وقع اختيار (باتو) على منكو للجلوس على عرش الخانية نتيجة العلاقـة الممتـازة المتبادلـة بينهمـا فقد كـان منكويقدر بـاتولكبر سنة ومـا يتمتـع بـه مـن مميـزات العظمـة والرئاسة فلا عجب من تفضيل منكو على غيره خصوصاً بعد ان لبـى منكـو دعـوة بـاتو عندما دعا افراد الاسـرة الحاكمـة للحضـور عنده ولعقد القوريلتـاي للتباحـث فـي اختيـار الخان وذلك لان باتوكان مصاب لا يستطيع الذهاب للعاصـمة ولكـن ابنـاء اوكتـاي قـاان وكيوك خان وجغتاي ابوا الانتقال الية قائلين ان قراقورم هـي المـوطن الاصـلي لجنكيـز خـان ولسنا ملزمين بـان نخطـوا خطـوة الـى دشـت القبجـاق ثـم انـابوا عنهم بعض امـراء المغول[3] وارسلوهم ليقدموا اليه وثيقة بما يتفق عليـة الامـراء الانجـال اذ ان (بـاتو)على تعبيرهم هوالاخ الاكبر لكافة الامراء وامره نافذ علـى الجميـع واننـا لـن نحيد بـأي وجـه عما يراه صـواباً اما سيورقتني فطلبت من ابنائهـا الـذهاب الـى باتووعيادتـه فتوجـه منكـو قاآن وفق اشارة والدتـه فلمـا بلـغ بلاطـه قـام بواجبـات الاجـلال والتعظيم شـاهد بـاتوعلى ناصيته اثار الرشد والكفـاءه[4] كمـا قـال عن منكو(قد ابصـر بعينـي راسـه وسمع باذنيـة ياسـا ويـارليغ) زد علـى هذا انـه ابن (تـولي) وريـث جنكيزخـان واقـرب اولاده اليـه فـي

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ،ص197؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص106.
(2) الجويني، جهانكشاي، جـ3، ص4-5؛ العريني، المغول، ص195.
(3) ميرخوندا، تاريخ روضة الصفا، جـ5، ص178-179؛ العريني، المغول، ص193؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص161 .
(4) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص199 .

حياته[1] وقد صرح باتو(ان لمنكوقاان من بين الامراء الانجال الاستعداد والاهلية للخانية لانه راى من الدهر خيره وشره وذاق كل عمل حلوه ومره وقاد الجيوش عدة مرات الى الاطراف كما انه يمتاز على الجميع بعقله وكفاءته وهذا لا ينكره الامراء الانجال والجنود[2] وبعد ثلاثة ايام من يوم التفويض قال باتو:ان مثل هذا الخطب الخطير ليس فينا من بقي يحق القيام به غير منكو فوافقوه كلهم على ذلك واجلسوه على سرير المملكة وباتو مع باقي الاولاد والاكابر خدموه جاثين على ركبهم كالعادة وانصرف كل واحد الى مقامه على ان يجتمعون في السنة المقبلة ويعملون مجمعا كبيراً يحضره من الاولاد والاكابر من لم يحضرة الان[3] لم يعترف الامراء الانجال بشرعية القرارات التي اتخذها هذا الاجتماع[4] حيث اثار قرار باتو بانتخاب منكو قاان سخطا شديدا بين ال اوكتاي[5] لذلك اوفد الرسل عدة مرات الى باتو لثنيه عن قراره فرد عليهم قائلا: ان هذا الامر تم بموافقة اعضاء الاسرة الحاكمة وانجزناه بصوره لا يمكن تداركها وان تقليد شخص غير منكو سوف يؤدي الى اختلال امور السلطنة وهكذا انتهى العام الموعود في الاخذ والرد وانتصف العام الثاني ارسل الرسل الى كافة افراد الاسرة لاجتماع القوريلتاي وتنصيب منكو خاناً للعرش الا ان فئه المعارضة لم تلبي الدعوة فارسل بركة لباتو يقول له مضى عامان ونحن نريد اجلاس منكو الا ان هناك فئة لم تحضر فرد باتوقائلاً: اجلسة انت على العرش وكل شخص يخالف الياسا يطاح برأسه حيث كانوا يتصورون ان شؤون القوريلتاي لا تتم بدونهم واخيراً اقيمت مراسيم اجلاس منكو في سنة(648هـ/1250م[6])اما ابن العبري فجعلها في ربيع الاخر سنة(649هـ/1251م) وقد كشف المجتمعين رؤسهم ورفعوا منكوعلى سرير الملك وجثوا على ركبهم تسع مرات[7] فاشتغل الجميع بالمتعة والانس وترك المنازعة والمشاجرة وواصلوا الليل والنهار باقامة المأدب في الخيام حيث اجتمع الامراء والانجال على يمينه كعقد الثريا واخوته السبعة كانوا مشتغلين في خدمته وجلست على يساره زوجاته وقد وقف النويان واصطف الكتاب والوزراء والحجاب والنواب حيث دامت الملذات والمسرات مدة اسبوع[8].

---

(1) بارتولد، تركستان، ص682 .
(2) الجويني، جها نكشاي، جـ3، ص8 .
(3) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص457 .
(4) ميرخوندا، تاريخ روضة الصفا، جـ5، ص178-179 .
(5) بارتولد، تركستان، ص682؛ الغامدي سقوط الدولة العباسية، ص162 .
(6) رشيد الدين و جامع التواريخ، ص202؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص208 .
(7) تاريخ مختصر الدول، ص457 .
(8) الجويني، جها نكشاي، جـ3، ص16-17 .

محاولة بعض الامراء الغدر بمنكو:

في اثناء انتظار منكو وانصاره وصول بقية الامراء والانجال وهم يسرفون في ضروب الانس والطرب ولم يكن أي مخلوق يتصور ان قوانين جنكيزخان العتيده تقبل التغيير والتبديل وان أي خلاف اونزاع قد يقع بين افراد اسرته لذلك صاروا يهملون جانب الاحتياط في غمرة لهوهم وانسهم ، في الوقت نفسه كان احفاد اوكتاي يدبرون مؤامرة ضد منكو حيث اتفقوا مع بعضهم البعض لمهاجمة منكو فاقتربوا من مقره وكانت معهم عربات كثيرة مكدسة بالعتاد وقد اضمروا المكر والغدر[1] حيث اتفق ان رجلا" من اتباع منكويدعى (كشك) وهو ممن يربون السباع لاولاد الملك هرب منه اسد فخرج في طلبه دائرا" عليه بالجبال والصحارى فمر بالجيش المرابط الذي ينوي الهجوم على منكو ورأى جنودا" كثيرون ومعهم عربات لاحصر لها محملة من حيث الظاهر بالمأكولات والمشروبات اللازمة لتقديم التهنئة الا انها في الحقيقة كانت مملؤة بالعتاد والاسلحة لم ينتبه كشك الى ذلك الى ان قابل غلام وكان يجلس امام عربة محطمة فظن الغلام ان هذا الرجل احد الفرسان المشتركين في الهجوم فطلب منه ان يساعده في اصلاح العربة فترجل كشك لكي يساعده فوقع بصره على اسلحة مستورة في باطن العربه. [2] فسأل الغلام ماهذا ؟ فاجاب كأنك لست منا كيف لا تعرف ان كل عربة كهذة مشحونة بالات الحرب فعندما عرف كشك ان جميع العربات محملة بالاسلحة فأن الامر لا يخلوا من مكر وغدر لكنه تظاهر بالغفلة وعندما فرغ من مساعدتة تسلل الى احد المنازل وتقدم على انه ضيف واخذ يستدرجهم بالكلام حتى وقف على حقيقة الامر وهو الهجوم على منكو اثناء انشغاله بمراسيم جلوسه على العرش[3] لذلك قام كشك وأخذ ناقتة وقطع مسيرة ثلاثة ايام في يوم واحد واقتحم البلاط دون استئذان وسرد على منكو القصة وصار يحرضه على تلافي الخطر للحيلولة دون وقوع الكارثة. في بداية الامر لم يعر منكوقاآن [4] أي اهتمام لما قاله كشك واستبعد ذلك تماما" وذلك لأن لم تكن امثال تلك الحيل معهوده عند المغول واخذ هو والامراء يسألونه عدة مرات وكان كشك يجيب نفس الاجابة ولم يجد آذانا" صاغية من منكوقاآن الا ان الامراء الانجال انكروا عليه هذا الموقف وطلبوا منه ان يخطوا خطوة في سبيل تدارك الامر[5] فأمر منكوقاآن (منكسار نويان) وهو كبير امراء الحضرة ان يمضي اليهم في الفيّ فارس ويستكشف حالهم فمضى منكسار في طلبهم وكان شيرمون على رأس المتآمرين وقد ترك قسم كبير من قواته في موضع بعيد عنه ولم يكن معه سوى فرقة مكونة من خمسمائة فارس[6] حيث احاط منكسار به وبجنوده فأرسل اليهم رسولا"

---

(1) مير خواند، تاريخ روضة الصفا، جـ 5، ص 180؛ العريني، المغول، ص 193
(2) الجويني، جهانكشاي، جـ 3، ص 17
(3) رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 206؛ العزاوي، العراق بين احتلالين، جـ1، ص144– 145
(4) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 458
(5) رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 206
(6) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 458 – 459

يقول لهم : لقد تبادر الى مسامع القاآن انكم قدمتم بنية سيئة واذ اردتم اثبات عكس ذلك فعليكم التوجه الى بلاط القاآن والا فان لدى فرمان يقضي بالقاء القبض عليكم فلم يتمالكوا وداخلهم الرعب ولم يسعهم الا التسليم(1) قرر منكوقاآن التحقيق بنفسه من امر خيانة هؤلاء وظهر دون ادنى شك في ادانتهم واعترفوا جميعا" باشتراكهم بالمؤامرة وبالرغم من ذلك(2) قرر منكوقاآن ان يعفوعنهم الا ان الامراء الانجال عارضوه وقالوا ان الاهمال في القضاء على الخصوم سوف يؤدي الى سنوح الفرصة للتمرد مرة ثانية فاقتنع بما قالوا وسجنهم وصار يفكر في مصيرهم وذات يوم جمع الامراء وبدأ يشاورهم في امر هؤلاء وامر ان يعطوا آرائهم وكان ممن حضر المجلس (محمود يلواج) فسأله رأيه فقال انا لا اقول راي ولكني سأروي لك حكاية تساعدك في قرارك ان الاسكندر مّر بنفس الموقف فارسل رسولا" الى وزيره في بلاد الروم يطلب رأيه لكن وزيره لم يتكلم امام الرسول شيئا" فقد ذهب معه في احد الحدائق فأمر بقلع الاشجار الكبيرة وتغرس في مكانها الصغيرة فرجع الرسول الى الاسكندر وقال انه لم يعطي جوابا" فقال الاسكندر ماذا شاهدت فحكى له ما فعل فقال الاسكندر لقد اجابني وفهمت فأمر بقتل الثائرين ونّصب ابنائهم مكانهم فاعجب منكوبهذا الراي فضرب اعناق المتآمرين عليه بالسيف(3)

زوجـــاتـــه وابـــنائـــه:

كان لمنكوقاآن كباقي خانات المغول زوجات ومحظيات كثيرات من بينهن زوجته الكبرى ((قوتوقتي)) وقد انجب من هذه الزوجة ولدين الاكبر ((بالتو)) والاصغر((اونكتاش)) وكان له ايضا" من هذه الزوجة بنت اسمها((بايالون)) وكان له زوجة اخرى اسمها ((اقول قويمش)) من قبيلة اويرات وكانت هذه الزوجة قوية الشخصية ومسيطرة الى حد كبير وفي بادىء الامر كانت خطيبة ابوه تولي خان ولم تنجب هذه السيدة اولادا" ذكورا" وانما كان لها بنتان الكبرى اسمها ((شيرين)) والصغرى اسمها ((بيجقه)) ويقال لها ايضا"(كروتان) وكان لمنكوقاآن محظيتان مشهورتان احدهما تدعى ((باياوجين)) انجب منها ولد اسمه ((شيركي)) وكان سبب اتخاذها محظيه هوان اباها سرق وتر لقوس من مستودع للاسلحه وعثر عليه في ساق خفه فأحضروه لمعاقبته على الذنب وكان معه ابنته ((باياوجين)) فراقت في نظر منكوقاآن فاتخذها محظية له ، اما المحظية الاخرى فأسمها ((كوي يبه)) انجب منها ولد اسمه ((اسوتاي)).(4)

أخاه الأصغر هولاكوخان:

---

(1) الجويني، جهانكشاي، جـ 3، ص 21؛ العزاوي، العراق بين احتلالين، جـ 1، ص 145

(2) مير خواند، تاريخ روضة الصفا، جـ 5، ص181؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص 162

(3) رشيدالدين، جامع التواريخ، ص209-210؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص208 – 209

(4) رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 195 – 196

هولاكو خان هو الابن الرابع لتولي خان (الابن الرابع لجنكيز خان)[1]* والعامة يقولون هلاوون على وزن تلاوون[2]وقيل هولاو[3] الا ان اسم هولاكوهوالشائع في اغلب المصادر[4] وهومن اعظم ملوك المغول كان حازماً شجاعاً ذا سطوة عظيمة[5] شبه البعض احواله باحوال جده جنكيز خان لذلك فقد حافظ على تقاليده وقوانينه[6] وهولاكوشخصية لاتنسى في تاريخ العالم الاسلامي واكتسب هذه الشهرة نتيجة لقيامه بالأبادة الجماعية والدمار الشامل وهدر الدماء وهوالذي قال :(كما ان اللون الاحمر يكون زينة للنساء فأن الدماء الحمراء تكون كذلك بالنسبه للرجال) فنتيجة لمواهبه السياسية والعسكرية والتنظيمية اختاره اخوه الاكبر القاآن منكو من دون غيره لتولي مهمة تنفيذ الحملة الجديدة على العالم الاسلامي بعد اخذ قرار موافقة مجلس القوريلتاي عليه فقد كانت لديه خبرة كبيرة في قيادة الجيوش والامور العسكريه لكون عائلته (آل تولي) ورثت مسؤولية الجزء الاكبر من جيش جنكيزخان ان اثبات قدراته هذه مكنته من تأسيس دوله جديده للمغول تابعه للقاآن الاعظم هي الدولة الايلخانية التي كان اول من ادارها من مقر قاعدتها الحكومية بتبريز هولاكونفسه[7]

ابــرز اعمــال منــكو:

يعتبر منكو من اشهر خانات المغول بعد جنكيزخان لما قام به من اعمال واصلاحات ونظم أدارية[8] كما يعد عهده من اخطر العهود في تاريخنا ففيه تقرر غزو البلاد الاسلامية على يد اخيه هولاكو[9] قام منكو بمجموعة اعمال فأول عمل قام به منكو بعد اعتلاءه رسميا" عرش القاآنية هو محكمة كبرى لمحاكمة الامراء المتهمين بالتأمر على حياة منكووقد حاكم القاآن بنفسه امراء البيت ابرزهم[10] (اغول قايميش وشيرامون وخواجة وجنيقاي) وغيرهم وترك محاكمة الامراء والنبلاء الى القاضي الاكبر (اليروغوجي) واسندت هذه المهمه الى منكسار[11] وحاكمهم وقُتلوا جميعا"

---

(1) رشيدالدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص219
* للمزيد من المعلومات انظر الملحقين(1، 2)
(2) القرماني، اخبار الدول واثار الاول، ص286
(3) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، جـ7، ص220
(4) الجويني، جها نكشاي، جـ3، ص35؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، ص162؛ الذهبي، دول الاسلام، جـ2، ص121؛ ابن خلدون، العبر، مج5، جـ5، ص529؛ الديار البكري، تاريخ الخميس، جـ2، ص376
(5) القرماني، اخبار الدول، ص286
(6) رشيد الدين، جامع التواريخ ومج2، جـ1، ص236
(7) للمزيد من المعلومات عن شخصية هولاكو : انظر حيدر، الايلخان هولاكو، ص 17 – 49
(8) الدهوكي، جهاد الايوبين، ص 172
(9) الامين، الاسماعليون والمغول، ص 148 – 149
(10) بارتولد، تركستان، ص 682 – 683؛ الغامدي، سقوط الدوله العباسيه، ص 162
(11) الجويني، جهانكشاي، جـ 3، ص 20 – 21؛ العريني، المغول، ص 193

وكان عددهم سبعة وسبعين اميرا".[1] ومن اعمالة الاخرى اصدارة مرسوما" بشأن تخفيض الضرائب عن الرعايا[2] كما احيا منكوالاهتمام بخطة اوكتاي التي كانت ترمي الى وضع نظام منسق لجميع الضرائب ووضع حد للتعسف والابتزاز وقد اعلن الخاقان جهرة ان اهتمامه موجه الى تحسين احوال الرعية لا الى توفير الاموال لخزائن الدولة وطلب من حكّام الولايات ان يطرحوا جميع مشاكل ولاياتهم فاتفقوا على ان المصيبة تكمن في الضرائب الباهضة وفي التكاليف الكثيرة واكدوا ضرورة تحديدها بشكل مقبول واكثر من عانى من الاعباء والتكاليف هم طبقة الزرّاع وقد تم تحديد الضرائب هذه المرة نقدا" على عكس ماجاء في قرارات اوكتاي[3] فقد امر ان يؤدي المتموّل الغني في بلاد الخطا في السنة خمسة عشر دينار والوضيع الفقير دينارا" واحدا" ومن مراعي ذوات الاربع الذي يسمونه (قويجور) الشاة اوالغنم يؤخذ من كل من له مائة راس من جنس واحد رأس واحد ومن ليس له مائه لايؤخذ منه شيء ويستثنى من الرعية طوائف تعفى من الضرائب وهي طائفة رجال الدين من المسلمين[4] (السادات والمشايخ والأئمة) اومن النصارى (كبار القسيسين والرهبان والاحبار) ومن البوذيين (اللامات المشهورين) كما اعفى من كافة التكاليف الجماعة الذين طعنوا في السن وعجزوا عن الكسب والعمل[5] غير ان قرارات منكو ظلّت شأنها شأن قرارات اوكتاي في الضرائب حبرا" على ورق.[6] اما في مجال البريد فقد صدّر منكو قرارا" ان لا يأخذ حامل البريد في أي محطة اكثر من اربعة عشر من الخيل والا يستعمل خيل البريد من كان مسافرا" لمصلحة شخصية كذلك حذّر عمال البريد تحذيرا" شديدا" من اخذ خيل السكان المحليين. [7] واختار منكو الحكام المخلصين الذين اثبتوا جدارة وكفاءة في ادارة شؤون ولاياتهم فولّى على بلاد الشرق محمود يلواج الذي قرن سوابق الطاعة والعبودية بلواحق الاخلاص والتأييد وارتبط بشرف الطاعة قبل جلوسه على العرش واعطى بلاد تركستان وما وراء النهر وبلاد الايغور وفرغانة* وخوارزم للامير مسعود بيك الذي تحمل الكثير من المخاوف والمخاطر بسبب صدقه واخلاصه. اما الامير ارغون فقد فوّض اليه حكم اقاليم ايران[8] وطلب منكومن التجار عدم استخدام

---

(1) رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 210؛ الغامدي، سقوط الدوله العباسيه، 162
(2) الجويني، جهانكشاي، جـ 3، ص 30؛ العريني، المغول، ص 194
(3) بارتولد، تركستان، ص 687 – 688؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ 1، ص 210
(4) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 459
(5) رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 217؛ مير خواند، تاريخ روضة الصفا، جـ 5، ص 183
(6) بارتولد، تركستان، ص 688
(7) الجويني، جهانكشاي، جـ 3، ص 30 – 31
* فرغانة: تقع على ضفة نهر سيحون فتحها صالح بن مسلم الباهلي اخو قتيبة؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص409؛ القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص235.
(8) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 459؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ 5، ص182–183؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ 1، ص 210

خيول الدولة في اعمالهم وان يعدل المشتركون في التجارة (من امراء واثرياء مع شركائهم من الرعية) [1] وامر منكوالقاآن بأن يقوم الامير (منكسار نويان) مع طائفة من الامراء الاكفاء ببحث كل ما يرتبط بشؤون الرعية وتمهيدا" لقواعد العدل امر القاآن ايضا" بان يكون (بلغاي اقا) الذي كان متميزا" بسابقة حقوق الخدمة رئيسا" للكتاب وان يكتب المنشورات والفرمانات ويستنسخها وعيّن طبقة كبيرة من كتاب المسلمين[2] اصدر منكو امراً نافذاً باطلاق سراح جميع المعتقلين والمسجونين في سائر الممالك[3] وامر باسترداد المراسيم والبايزة التي حصل عليها بعض الكبراء في عهود جنكيزخان ومن خلفوه وذلك لانه ادرك عدم جدوى هذه البايزات واستخدامها استخدام غير سليم[4] عين المختصين المثابرين وممن لديهم خبرة بمعامل الاسلحة وبشؤون الطيور وحيوانات الصيد وتنظيم مهام كل طائفة بالاضافة الى ان تتجنب تلك الجماعة الربا وزيادة الطمع ان لا يعتقلوا احداً واستخدم الكتبة من جميع الاجناس لملازمة الحضرة منهم الفارسي والايغوري والخطائي حتى اذا ما كتبوا الفرمان الى أي جهة تصدر بلغة اهلها وخطهم.[5]

موقف منكومن الاسلام والمسلمين:

تجرد منكومن التعصب الديني فكان لايفرق بين طائفة واخرى وعامل المسلمين والمسيحيين والبوذيين على قدم المساواة حيث قام بأعفاء رجال الدين المسلمين وغير المسلمين من الضرائب[6] وكفل الحرية للجميع اذ سمح باجراء المناظرات الدينية والمحاورة في المسائل الدينية[7] والتسامح الديني الذي سار عليه منكولم يكن يعدله سوى رغبته الشديدة في ان يسير الحكم في كل منطقة من مناطق الامبراطورية وفقا" لأخلاق اهلها وعاداتهم ولتحقيق هذا فقد استجلب الديوان الملحق ببلاط الخان الكتبة من مختلف الاديان والشعوب[8] ومنكوقاآن في هذا يسير على سياسة والدته (سيورقتني بيكي) التي اثرت فيه تأثيرا" كبيراً فقد كانت تعامل المسلمين معاملة جيدة جدا"[9] فقد خص منكو المسلمين بمزيد من الاكرام والاحترام وميزهم على جميع المذاهب والطوائف وامر لهم بالصدقات ومصداق لهذا الامر فقد شارك المسلمين عيد الفطر

---

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ 1، ص 216
(2) الجويني، جهانكشاي، جـ 3، ص 34
(3) م، ن، جـ3، ص 32
(4) بارتولد، تركستان ، ص689
(5) رشيدالدين، جامع التواريخ، مج2، جـ 1، ص 219
(6) الجويني، جهانكشاي، جـ 3، ص 31؛ رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 215
(7) العريني، المغول، ص 197؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص 210 – 211
(8) بارتولد، تركستان، ص 686 – 687
(9) الجويني، جهانكشاي، جـ 3، ص 4 – 5

وامر بمنحهم مكافأه على سبيل التشريف واعطائهم عربات محملة باكياس النقد

من الذهب والفضة والملابس القيمة.(1) وصار الترك والتايزك* من قريب وبعيد يلجأون اليه(2) جميع المؤرخين اجمعوا على تسامح منكو واسلوبه الطيب مع المسلمين باستثناء بارتولد فيقول:- ((في عهد منكو اصبح المغول ينظرون الى المسلمين بعين الازدراء وان السبب في ذلك ان المسلمين انفسهم كانوا يدسون بعضهم لبعض)) (3)

---

(1) الجويني، جهانكشاي، جـ 3، ص 31 – 32

* التايزك:- كلمه تطلق على العرب واول من استخدمها الايرانيون؛ بارتولد، تاريخ الترك بأسيا، ص 38

(2) الجويني، جهانكشاي، جـ 3، ص 31؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 459؛ رشيدالدين، جامع التواريخ، ص 217 – 218

(3) تركستان، ص 686

مرض منكو القآن ووفاته:

في اثناء محاصرته لأحد القلاع حل الصيف واشتد الحر وظهر مرض[1] الاسهال الدموي في جوذلك المكان وانتشر الوباء بين جنود المغول حتى مات الكثير منهم فكان ملك العالم يحتسي الشراب دفعا" للوباء ويداوم على ذلك فانحرفت صحته فجأه وادى به المرض الى ازمة فمات في سنة (الحية) 655 هـ/1257م وفقا" لرواية رشيدالدين[2] اما الروايات الصينية فتجعل موته في سنة 657 هـ/1259م[3] كانت هذه السنة هي السنة الثامنة لجلوسه على العرش وبعد وقوع الوفاة ترك ابنه (سوتاي اقول) احد امراء نويان على رأس الجيش وحمل جثمان والده الى المعسكرات وقد اقاموا له مراسيم التعزية في اربعة معسكرات وكانوا يضعون الجثمان كل يوم على سرير في احد المعسكرات وينوحون عليه بحرقه تامة ثم دفنه في موضع بجوار جنكيزخان[4].

---

(1) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 491
(2) جامع التواريخ، ص 225؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ 1، ص 216
(3) بارتولد، تركستان، ص 698
(4) رشيدالدين، م، ن، ص 225

الفصل الرابع
النظام العسكري والحملات العسكرية

لعل المزايا الحربية كانت هي الشيء الوحيد الذي لم يستورده المغول من الاخرين وانما نبع من ذاتهم وتطور بتطور قسوة الحياة في بيئتهم لقد نشأ الجيش المغولي اولا في الصحراء من ابناء القبائل[1] لذلك كان رجال المغولية جميعهم جنوداً يدافعون عن قبيلتهم اذا ما دعاهم الواجب وعلى ذلك كان كل مغولي جندي مستعداً لخدمة القبيلة وكان على اتم الاستعداد لحمل السلاح تحت راية قبيلته وزعيمه اذ هدد بلاده عدو اجنبي واذا هاجمت قبائل المغول اقليما من الاقاليم[2] لقد كان شعار المغول في الحياة ((البقاء للاقوى)) وبقي المغول يعتمدون على الفرد المغولي كمادة للجيش حتى استقرت فتوحاتهم وقامت دولهم في البلاد التي خضعت لهم فبدأو يجندوا سكان البلاد المفتوحة لسد النقص في جيوشهم ولزيادة عددها كما استعانوا بالامراء المحليين فكان عليهم ان يقدموا عددا من جندهم الى الايلخان في حالة الحرب الا انهم لم يمنحوا مطلقا أي رتبة عسكرية الى احد من غير المغول[3] بالاضافة الى الاستعانة بالاسرى كدروع بشرية فقد كان من عادتهم اذا قاتلوا مدينة قدموا من معهم من اسرى المسلمين بين ايديهم فيكون القتل في المسلمين الاسرى وهم بنجوة منه[4].

اما عن كيفية تدريبه فكان كل جندي يقوم بتدريب نفسه في وقت السلم على ما يقوم به في ميدان القتال ويعد الالات والاسلحة اللازمة لذلك ويتدرب على استعمالها بذاته وذلك اثناء عمليات صيد الحيونات و الطيور والاسماك تاركا شؤونه المنزلية لزوجاته[5].

الجيش

قام جنكيز خان بتحشيد القبائل في كراديس لهم تنظيمهم الدائمي باذلاً كل ما لديه من جهد لينظم هذا الحشد القوي وينفر به، كما وضع امام اعينهم مشاهد النصر والظفار في الاصقاع المجهولة[6] لذلك استطاعوا ان يغلبوا بها الامم الاخرى شرقا وغرباً ولابد انهم وضعوا نظماً ضبطت هذا الجيش ونظمته واحكمت تدريبه بحيث استطاع ان يؤدي المهام التي سجلها له التاريخ[7] لقد قسم جنكيز خان جيشه الى فرق كبيرة والفرقة الى اقسام ابرزها :-

1- التوك : وهي اكبر قسم في الجيش المغولي وتتكون من مائة الف جندي

---

(1) القزاز، الحياة السياسية، ص241.
(2) عاشور، العلاقات السياسية، ص31-32.
(3) القزاز، م. ن، ص242.
(4) ابن الاثير، الكامل، جـ9، ص337.
(5) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص15-17.
(6) لامب، جنكيزخان، ص55-56.
(7) النبراوي، قضايا العالم الاسلامي، ص77.

2- تومان : وهي تلي قسم التوك تتكون من عشرة الاف جندي
3- منجان : وهي تتكون من الف رجل
4- دن : وهي تتكون من مائة رجل
5- اريان: وتتكون من عشرة رجال[1]

(1) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص17؛ اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ1، ص90؛ عاشور، العلاقات السياسية، ص32-33.

ابرز الوظائف العسكرية

فأمير العشرة الاف يسمى (تومان) وهو المعروف عندنا اليوم (بالفرقة) وقائدها يسمى (نويان او نوين) وهو امر فرقة و(للمنجان) قائد يسمى (بيكباش)* وهو عندنا (امر فوج) وقائد(دن) يدعى(يوزباش) وعندنا امر السرية كما انه اعتبر على الخمسين مقدماً يدعى عندنا (امر فصيل)[1]. ومقدماً (للاريان) يدعى(اونبانشي)وهو عندنا (امر حظيرة)

وعلى راس هؤلاء الامراء ((امير الامراء)) او قائد الجيش ويسمى ((بكلاري بك)) التي تعني كبير الامراء وكان لا يتم ابرام امر من الامور الا بعد عرضه عليهم واخذ موافقتهم ومن تغيب منهم قام مقامه نائبه وهم بدورهم لا يبرمون امرا الا بمعرفة الوزير واستشارته و((البكلاري بك)) هي اخر رتبة يصلها الامير واليه امر الجيوش وتحت امرته جميع الاصناف العسكرية الاخرى ويكون مقره في العاصمة[2] ومن واجب امير الالوس ((بكلاري بك)) هو رعاية السكان والمحافظة عليهم ودفع الظلم وقمع المتمردين ومعاقبة المفسدين والمجرمين ويطلع على احوال الممالك ويثبت الامراء ويهئ ما يحتاجه الجيش من الاسلحة والامتعة والارزاق[3] وكان امير التومان يترأس امراء الالف مع اتباعهم من امراء المائة والعشرة ويكون مسؤلا عنهم ويضبط اسماؤهم ومن واجبه ايضا تهيئة ما يحتاجه الجيش من الخيول والاسلحة والخيام وان يكون على استعداد لتنفيذ مهامهم وكان التدرج في الرتب العسكرية يتم عن طريق الكفاءة والخدمة والاشتراك في الحروب[4] ومع ذلك فان العلاقات الشخصية كانت تلعب دورها في تقدم بعض الامراء اما القضايا المتعلقة بضبط الجيش وتنظيمه فهي تستند على ما نصت عليها قواعد الياسا التي وضعها جنكيزخان[5] والتي تم ذكرها سابقا.

اقسام الجيش الرئيسية

بالاضافة الى التقسيمات القيادية كان الجيش المغولي ينقسم من الناحية الفنية الى تشكيل اخر تراعى فيه المهارات الاساسية للقتال من هجوم ودفاع فهو ينقسم الى ثلاث

---

* (بيكاش، يوزباشي، او نباشي) اصطلاحات تركية مستعملة في الجمهورية العربية المتحدة: انظر، القزاز، الحياة السياسية، ص246

(1) العزاوي، العراق بين احتلالين، جـ1، ص231-232.

(2) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص423؛ عاشور، العلاقات السياسية، ص32-33.

(3) العاني، العراق في العهد الجلائري، ص143.

(4) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص421-422؛ العاني، العراق في العهد الجلائري، ص146.

(5) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص119؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص316؛ المقريزي، الخطط، جـ2، ص221؛ العاني، العراق في العهد الجلائري، ص146.

اقسام رئيسية هي القلب (قول) والميمنة والميسرة[1] وبالرغم من ان الجيش يعمل خلال القتال كوحدة واحدة متجانسة تخضع لاشراف وتوجيهات القائد العام الذي يكون مقره في القلب عادة الا ان كل قسم من هذه الاقسام كانت له قيادة خاصة به تتولى تنسيق خططه على ضوء خطط القيادة[2].

وعلى عهد جنكيز خان كان هناك ثلاث من قادة التومان احدهم (قالي) كان يقود الميسرة او الجهة الشرقية اما الثاني فكان (يورغورجي) قائد الميمنة والجهة الغربية وكان الثالث (نايا) يقود عسكر الوسط[3].

ويتمم هذا التشكيل قسم رابع يطلق عليه الطليعة يتقدم الجيوش لاستكشاف طريقه ومناوشة العدو وارباكه وقد تكون الطليعة عددا محدودا وقد تكون جيشا كاملا[4] ومن البديهي ان يكون لهم فرق خيالة ولقائد الجيش مشراء عددهم احد عشر مشيرا [5].

مهامه و واجباته

ضبط جنكيز خان جيشه ونظمه واحكم تدريبه وقسم واجباته بحيث استطاع ان يؤدي المهام التي سجلها له التاريخ فقد كان للجيش المغولي فرق استطلاعية (اليزك) مهمتها كشف مواقع العدو تأتي بالاخبار والمعلومات حتى تسهل من مهام الجيش فتعرف مكامن الضعف في صفوف الاعداء وحصونه ومن ثم يبدأ تقدم الجيش المغولي في حالة غزوه منطقة معينة بالاضافة الى ان هناك من يقوم على اعداد الاسلحة وحملها مثل السهام والاقواس وهناك من عليه مهمة الاشراف على الطعام والشراب للجنود وهناك من يقوم على رعاية الدواب ومن يشرف على اعداد العجلات الحربية[6].

وعلى القواد والجنود توخي الحذر ويتعلمون كيف يمسكون السنتهم عن الكلام ويسترشدون في النهار بأشارات البيارق المستطيلة المرفوعة على الرماح بالليل بعلامات المصابيح الملونة وهكذا كان من النادر ان ترى او ان تسمع الواحد منهم حتى ينقضوا جميعا على العدو كالاعصار وكان اساس الترقية من رتبة الى رتبة اعلى هي المقدرة والكفاءة وحدها دون النظر الى أي اعتبار اخر أي ان الترقية تكون قاصرة على من يكون جديراً بها لكفاية او دراية وكان الفاشل في اداء الواجب او الخارج على النظام او العاجز عن القيام بما وكل اليه يعاقب بالموت هو وزوجته واولاده واذا

---

(1) اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ1، ص90 ؛ النبراوي، العلاقات السياسية الاسلامية، ص273-274.

(2) القزاز، الحياة السياسية، ص248.

(3) بارتولد، تركستان، ص552.

(4) اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ1، ص90.

(5) لامب، جنكيزخان، ص56.

(6) النبراوي واخرون، قضايا العالم الاسلامي، ص77.

غضب الامبراطور المغولي لامر ارتكبه قواده فانه كان يامر بعقابه علنا امام سائر جنده او ربما وكل عقابه الى اخس اصحابه(1).

الحرس الخاص لجنكيز خان

لقد اختار جنكيز خان جماعة من حرسه الخاص كان يطلق على كل منهم ((كشيكجي))(كلمة مغولية معناها النوبة) (2) وقد تم تنظيمة بصورة ثابتة عام 604هـ/ 1206م عقب انتصاره على الكرايت فقد تم اختيار سبعين رجلا للحراسة النهارية وثمانين رجلاً لحراسة الليل واطلق على المجموعة الاولى اسم ((تركووت)) وعلى الثانية اسم ((كبتووت)) وكلتا المجموعتين كانت تكّون حرس الحماية ((كشكتن)) ومفردها كشيك وكان الحرس يضم ايضا رماة السهام (قورجي) والفراشين (باورجي) وحرس الابواب وسواس الخيل (اختجي) اما شؤون القصر ومتطلباته فكان يديرها (الجربي) الذي عددهم ستة(3) الى جانب هؤلاء تألفت كتيبة من الف رجل تدعى (بهادر) والتي تعني الف شجاع كحرس شخصي للخان وهذه المجموعة كانت تشكل طليعة الحرس في وقت القتال وقسما من حرس البلاط في وقت السلم وكان عسس الحرس يستبدلون كل ثلاثة ايام(4).

هذا وقد جرى تنظيم جديد للحرس في عام 607 هـ /1206م حيث اصبح الحرس يضم عشرة الاف رجل اما العسس (قراول) فقد قسموا الى اربع نوبات كانت كل واحدة منها تتولى وفقا لما عليه الحال من قبل لمدة ثلاثة ايام بلياليها(5).

اما عن طريقة اختيار الحرس فيجب على الحرس ان يحضر معه واحدا من اقربائه وعشرة من الرفاق واما ابن زعيم العشيرة وكل رجل حر يحضر معه واحدا من اقربائه وثلاثة من الرفاق وقد اعلن (ان كل من يريد الانظمام الى الحرس فليس لاحد الحق في منعه) وقد وضعت قواعد مشددة تتصل بصورة خاصة بحراسة موضع اقامة الخان ليلاً فعند حلول الغسق يلقي الحرس القبض على أي شخص يمرّ قريبا من مضجع الخان كما انه لم يكن بمقدور أي واحد ولوج خيمة الخان الا في صحبة رجال الحرس(6).

فواجب الحرس الرئيسي هو خدمة الخان مباشرة ولا يخرجون الى الحرب الا اذا كان الخان نفسه مع جيشه في ميدان القتال وكان النظام مرعيا بينهم الى اقصى حد فاذا تاخر احدهم عن الحضور في نوبته كان يجلد ثلاث جلدات اول الامر فاذا عاد الى هذا

---

(1) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص17؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص316.
(2) اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ1، ص89.
(3) بارتولد، تركستان، ص548.
(4) العريني، المغول، ص56؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص360.
(5) الخالدي، العالم الاسلامي، ص38.
(6) بارتولد، تركستان، ص549.

التقصير مرة ثانية فانه يجلد سبعين جلدة واما المرة الثالثة فانه يفصل بعد ان يجلد سبعين جلدة وهذه العقوبة ذاتها تطبق على الرئيس الذي يغفل مراقبة مرؤسيه ولم يكن في استطاعت أي ضابط تنفيذ الحكم بالاعدام على من هم ادنى منه رتبة الا بعد ان يؤيد الخان هذا الحكم وكان معظم قواد جنكيز خان من حرسه الخاص فهو يعرفهم جيدا ويخضعهم للاحكامه القاسية وهم يطيعونه طاعة عمياء وكذلك كان جنودهم الة طيعة في يد الخان يوجههم اين ما شاء وفيما يتعلق برتب الرجال المقربين الى جنكيز خان يمكننا ان نقول ان طبقة الامراء من اسرته تأتي في المقدمة. يقال لهؤلاء (نوين) او (نويان) اما مشرفي الجند فكان يلقب كل منهم بلقب (ترخان*) (1) وهؤلاء يتمتعون بجملة امتيازات اذ يعفون من الضرائب ولهم الحق في الاستيلاء على الغنائم التي يحصلون عليها(2) في الحروب ويباح لهم دخول بلاط الخان دون استئذان ويقدمون في الحفلات ويتناول كل منهم كأسا من الشراب من يد الخان نفسه وان الجندي المقاتل من الحرس كان يحتل رتبة اعلى من قائد الف في الجيش(3) اما غير المقاتلة من رجال الحرس فكان الواحد منهم اعلى من رأس مائة من ضباط الجيش وهم غير مسؤولين عن جريمة يرتكبونها الا عند الجريمة التاسعة(4). ومن ابرز صفاتهم هي الشجاعة والحذر واليقظة وشدة البأس(5). اما واجبات الحرس فلا يشارك في القتال الا اذا اخذ الخان نفسه طرفا في الحملة في المعسكر كان ((الالف بهادر)) ينزلون امام خيمة الخان بينما ينزل (القورجي) (التركووت) على اليمين والسبعة الاف الباقون على اليسار وقد خرج من حرسه ابرز القادة الذين قادوا المعارك وان ما قام به هؤلاء القواد من اعمال عسكرية مجيدة دليلا على المقدرة في انتقاء الرجال(6).

الصفات الحربية للمغول

تمتع جنود المغول بصفات جعلتهم يتميزون تميز جذري عن اقرانهم في باقي الشعوب الاخرى وبالتأكيد ان ما تمتعوا به من صفات كان لها اهمية خاصة فيما احرزه المغول من انتصارات حربية فقد اهتم جنكيزخان اهتمام كبير بالجيش وحرص على تنظيمه تنظيماً دقيقاً حيث كان يتراوح اعمار جنوده بين الرابعة عشرة والستين يلتزمون بالخدمة العسكرية وفقا للعرف المغولي فقد كان كل مغولي مجندا في خدمة

---

* الترخان: لقب يخول صاحبه بتمتع بمجموعة امتيازات خاصة، انظر: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص395.

(1) اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ1، ص90.

(2) ابن العبري تاريخ مختصر الدول، ص395؛ رشيدالدين، جامع التواريخ، ص214؛ لامب، جنكيزخان، ص49.

(3) العريني، المغول، ص56-57.

(4) بارتولد، تركستان، ص550-551.

(5) العريني، م. ن، ص56؛ الخالدي، العالم الاسلامي والغزو المغولي، ص38.

(6) بارتولد، م. ن، ص551.

دولتـه مسـتعدا لحمـل السـلاح وخـوض غمـار القتـال بالاضـافة الـى انـه امتـاز بالنظـام والخضوع وطاعة الرؤساء وكان اكثر جنود جنكيز خان من الفقراء والمحتاجين حتى يكونوا اكثر طاعة واقدر على الكفاح واحرص على النصر ويؤيد الجويني وجهة نظر المغول فـي اسلوب اختيـارهم فيقول ((ان السباع لا تصطاد الا اذا احست بـالجوع)) وقال الجويني انهم ايضا يستندون في اختيارهم للفقراء على المثل العجمي القائل (اجع كلبك يتبعك) [1] وقلما يستطيع جاسوس ان يتمكن منهم ونسائهم يقاتلن كالرجال وليس فـي قتلهم استثناء ولا ابقاء يقتلون الرجال والنساء والاطفال[2] ومـا اشتهر بـه هؤلاء القوم من سرعة التعبئة وشدتهم التي لا تقهر ملأت قلوب ضحاياهم خوفا ورعبا فكانوا يبادرون الى الهجوم قبل ان يبلغ العدو التحذير والانذار يضاف الى ذلك ما استقربه الزعيم المغولي من استخلاص الاخبار من التجارب ومن استخدام العملاء والجواسيس ومدبري المؤامرات كما انهم التزموا الاتزان والتعقل في مغامراتهم فلم يحاولوا اقامة سلطانهم فـي منطقة اتخذوها قاعدة للغارات فاذا تراءى الخطر يهددهم وتوقفوا عن المضي في القتال غير ان لم يكن لشجاعتم واقدامهم حدود[3].

ويلاحظ ان المغول فـي حروبهم اذا اصـابتهم نكبـة لا تفتر عزمهم ولا تقلل من مقدرتهم وانما يراعون الدواعي ويتخذون التدابير لاعادة الكرة يقول العزاوي((ان اسلوبهم هذا في حروبهم هو من العقل فهم اقوام ليسوا غزاة طالبين الاستفادة المؤقتة انما هم عارفون ومنتهجون خطة سليمة للفتح واتخذوا الارهاب والقسوة وسائل لتأمينها والقضاء على الشعب والحكومة معاً[4])) ويصف لنا ابن الطقطقي الجندي المغولي بقوله (فارس تحته فرسه كأنه حمار وفي يده رمح كأنه المغزل وليس عليه كسوة ولاسلاح فيضحك منه كل من يراه ثم اذا ما تم النهار حتى كانت لهم الكرة فكسرونا كسرة عظمية كانت مفتاح الشر)[5].

اسلحتهم

يرجع السر في انتصارات المغول الى تفوقهم في الاسلحة والى سرعة اطباقهم على العدو ودقة الرماية واحكامها فاعمالهم الحربية قائمة على السرعة والقدرة في السبق وهي المعبر عنها اليوم بالحرب الخاطفة[6].

لقد بقيت صناعة الاسلحة في العصر المغولي على الوضع الذي كانت عليه قبل استيلائهم على مقاليد الحكم فورثوا انواعا من الاسلحة استفادوا منها في حروبهم وهجماتهم . والمعروف ان دولة المغول قد انصرفت منذ تأسيسها الى التوسع واكتساح

---

(1) جها نكشاي، جـ1، ص11-17؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص361.
(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص539.
(3) العريني، المغول، ص56-57.
(4) العراق بين احتلالين، جـ1، ص138.
(5) الفخري، ص81.
(6) العبادي، تاريخ الايوبيين والمماليك، ص128.

الحضارات التي كانت قائمة في تلك الفترة وربما استفادوا من الاسلحة التي وجدوها في المدن التي استولوا عليها لغرض توسيعهم وهذا يعني انهم استخدمو السلاح بكل اشكاله وانواعه لتحقيق الرغبات التي تساورهم والاستحواذ والسيطرة والقتل وعلى الرغم من ذلك فلم يصل الينا من اسلحتهم الا النادر والقليل الا ان المخطوطات المصورة قد احتفظت ببعض انواع تلك الاسلحة[1] فقد ورد ذكر اسلحتهم عند بعض المؤرخين فقيل ان الغالب على سلاحهم النشاب[2] وكلهم يصنعه

ونصولهم قروب حديد وعظام ولهم جواشن* من جلود وخفاف واقية[3].

ومن اشهر انواع الاسلحة عند المغول هي:
اسلحة خفيفة ذات استخدام فردي

1- **السيف** : ظل السيف من اسلحة القتال التقليدية ولم يطرأ تطور على صناعته وشكله وكان الشائع عندهم اول الامر السيف المستقيم ذو النصل الواحد ثم بدأبعد ذلك التطور يتناول شكله وحصل تقوس خفيف على نصال السيوف ثم اصبح مستقيما له نصل واحد ينحني طرفاه وتستدق نهايته وبالرغم من عدم وجود سيوف اصيلة محفوظة تعود للعصر المغولي الا انه يمكن للمرء في ضوء المخطوطات المصورة ان يتعرف على شكل السيف في هذا العصر[4] واخيرا يمكن القول ان سيوف المغول على الاغلب مدببة حادة تصلح للطعن اكثر مما للضرب[5] .

2-الرماح : تمتاز الرماح المغولية بطولها وكان بعضها يزود بكلاّب عند نهاية رقبة الرمح لاستعماله في سحب الرجال من على ظهور الخيل وكان على الجندي المغولي ان يتسلح بقوسين او قوس واحد من النوع الجيد[6].

3-النبال: وهي من اسلحتهم المشهورة تكون ذات الاطراف الفولاذية او العظمية او القرنية[7] ولا تخلوا جعبة الجندي المغولي من عدد كبير من اوتار القسي ومعها

---

(1) حميد، عبدالعزيز واخرون، الفنون الزخرفية العربية الاسلامية، (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – جامعة بغداد) ص199.
(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص539.
* جواشن: جمع جوشن وهي الدرع: الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح، تقديم عبدالله العلايلي، اعداد وتصنيف نديم مرعشلي، آسامة مرعشلي، ط1(دار الحضارة العربية-بيروت-1974م) مج1، ص223.
(3) الذهبي، تاريخ الاسلام، ص27.
(4) حميد واخرون، الفنون الزخرفية العربية الاسلامية، ص199.
(5) العبادي، تاريخ الايوبيين والمماليك، ص128.
(6) حميد، م. ن، ص200.
(7) العبادي، م. ن، ص128.

ابرة وشمع لاصلاحها ومبرد لسن اطراف النبال ويضع المغول امتعتهم واسلحتهم في جعبات من الجلد يمكن نفخها ليستعينوا بها على اجتياز الانهار[1].

اسلحة دفاعية

الدروع : استخدم المغول الدروع على نطاق واسع وكانت من المعدات الحربية التي يجهز بها المقاتلون واستخدموا الدروع للخيل ايضا[2] لحمايتها من الاسلحة التي توجه اليها من قبل الاعداء بغية اسقاط فرسانها ومحاولة عرقلة تحركهم او وقوعهم في الاسر وهذا يؤكد لنا مدى اهمية الدروع في الجيش المغولي وقد شاعت في العصر المغولي اانواع الدروع منها نوع اطلق عليه اسم الدروع (ذات المرايا الاربع) ويكون مؤلفا من اربع قطع كبيرة من الحديد احدهما للظهر والاخرى للصدر بينما الاثنين الباقيتين للجنبين وبهما فتحتان يخرج منهما الذراعان واستعملوا جزء من الدرع وقاية للرقبة وكان صناع السلاح في بعض الاحيان يزينون الدروع بزخارف ورسوم مختلفة فضلا عن الكتابات التي تتصل عباراتها بالحرب والنصر[3].

الخوذة :- من المعدات الحربية التي كانت تلازم الجندي المغولي وقد شاعت في هذا العصر الخوذة الناقوسية الشكل .وللخوذة رأس مدبب وتزينها زخارف تجمع بين الكتابية والنباتية المكفتة بالفضة والنحاس الاحمر وعلى الجزء العلوي من الخوذة كتابة بخط النسخ تتضمن بعض الكلمات مثل الاعظم ، المولى، السلطان وفي مكان اخر من الخوذة يوجد شريط كتابي اخر يقرأ كالآتي ((المعز المولى الامير الاعظم خاقان المعظم مالك رقاب الامم[4].

(1) الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص362.

(2) العبادي، تاريخ الايوبيين والمماليك، ص128.

(3) حميد واخرون، الفنون الزخرفية، ص201-202.

(4) حميد واخرون، م. ن، ص201-202.

اسلحة ثقيلة

اما عن الاسلحة الثقيلة فقد استخدموا المنجنيق وكثر حصارهم به للمدن والحصون ذات الاسوار العالية لالقاء الحجارة والسهام كما استعملوا المنجنيق لقذف اللهب واشعال الحرائق في المدن الكبرى[1].

وللدبابة* دور كبير في حروب المغول فقد استعانوا بها في ثقب الاسوار وما شابههما[2] وكذلك العرادات**[3] التي تستخدم لرمي الحجارة على المعسكرات لاحداث الخسائر بهاومهمتها هي ايضا ثقب الاسوار لتسهيل مهمة اقتحامها ودخول الجيش[4].

وذكر احد المؤرخين ان المغول استخدموا اللهب النفطية[5] وهو سلاح جديد يحتمل انهم اقتبسوه من المسلمين الذين استفادوا منه الاستفادة الكلية في حروبهم مع الصليبيين الاوربيين[6] كما تعلم المغول استخدام البارود من الصينيين الذين توصلوا لصنعه قبل الاوربيين بمدة طويلة [7].
وتخزن اسلحة المغول والرماح والدروع والتروس في مخازن السلاح تحت اشراف الضباط ويعتنى بها وتنظف حتى يوم النفير واستدعاء المحاربين للمعارك وتوزع عليهم[8] بالاضافة الى الاسلحة والمعدات ألحق بالجيش خدمات ادارية فائقة

---

(1) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص473؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص325؛ حميد واخرون، الفنون الزخرفية، ص201-202.
* الدبابة: آلة تتخذ للحروب، فتدفع في اصل الحصن، فينقبون وهم في جوفها، الفيروزبادي، القاموس المحيط، (دار الفكر-بيروت- 1403هـ/1983م)، جـ1، ص65.
(2) د. حميد واخرون، الفنون الزخرفية، ص202.
** العرادة: وهي آلة لرمي القلاع والحصون وهي عبارة عن منجنيق صغير الحجم، الخفاجي، شهاب الدين احمد(ت: 997هـ)، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تصحيح السيد محمد بدر النعساني ، (مطبعة السعادة- القاهرة- 1325هـ) ، ص141.
(3) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص473؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص325.
(4) الجنابي، خالد جاسم، تنظيمات الجيش العربي الاسلامي، ط2(دار الحرية للطباعة-بغداد-1986)، ص148.
(5) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص473.
(6) لامب، جنكيزخان، ص124.
(7) لامب، شعلة الاسلام، ص561.
(8) لامب، جنكيزخان، ص56.

وفرق من اصحاب المجانيق وزرفات النفط والمهندسين والعسكريين المختصين بنصب الجسور وردم الخنادق وبناء الابراج[1].

تموين الجيش

لقد كان تموين الجيش بسيطا في اول امره بحكم بخل الصحراء ولكنه تنوع مع تطور قوته وسعة سلطانه وازدياد غنائمه الا ان الصيد بقى المورد الدائم لتموينه في كل الظروف التي مر بها هذا الجيش[2].

ان الطبيعة عودت المغول على تناول كل شيء يقع في ايديهم ويستطاع مضغه وكما ذكرنا سابقا انهم لم يحرموا شيئا من المأكول بل كانوا يأكلون جميع الدواب ومددهم يأتيهم ودوابهم تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات[3] واعتادت خيولهم على اكل الكلأ رطباً ويابساً وما وجدت من ورق وخشب[4] وتعودوا كذلك على الاعتماد على لبن خيولهم فقط وخاصة عندما يضطر الجيش الى مواصلة السير اياماعديدة فيحمل الجندي حينئذ معه قربتين من الجلد يحفظ بهما اللبن للشرب واذا تعذر عليه ذلك فقد يبقى اياما عديدة يعيش على امتصاص دماء حصانه حيث يفتح احد عروقه ويمتص منه[5].

اما في الظروف والاحوال الاعتيادية كانت الدولة تقوم بتأمين تموينه من المناطق التي يمر بها وان جميع المزارع والمراعي التي يمر بها الجيش تصبح مناطق محرمة ويكون تموين الجيش من جميع المناطق الخاضعة للدولة وكان نصيب الجندي مقدار من الدقيق وقربة من النبيذ [6].

حملات المغول العسكرية

حملات جنكيز خان

حروبه القبائلية

لم يتوفر لدينا من الادلة مايثبت ان جنكيز خان اعد في الزمن المبكر لحكمه خططا للفتح في منغوليا فلم يكن لحملاته الحربية الاولى التي وجهها الى البلاد المجاورة من غرض سوى النهب ولم يستقر حكم المغول في هذه الجهات الا في زمن متأخر .

---

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص235؛ رؤوف، عماد عبدالسلام، معركة عين جالوت(دار الحرية للطباعة-بغداد-1989) ص14.
(2) القزاز، الحياة السياسية، ص243-244.
(3) ابن الاثير، الكامل، جـ9، ص330؛ دحلان، الفتوحات الاسلامية، جـ2، ص23-24.
(4) الذهبي، تاريخ الاسلام، ص27.
(5) ابن بطوطة، الراحلة، ص353.
(6) الجويني، جهانكشاي، جـ3، ص37.

اما الحملات الموجهة للغرب فان المقصود منها اول الامر مطاردة الاعداء الهاربين الى تلك الجهات ., لم تلبث ان تطورت الى حرب منظمة هدفها التوسع[1] وكان بذلك يريد تحقيق ما تنبأت به والدته ففي صغره رأى جنكيز خان في منامه ان يديه امتدتا واحدة الى الشرق والاخرى نحو الغرب وكان يمسك سيفا في كلتا يديه بحيث ان طرف احدهما كان متصلا بالمشرق والطرف الاخر متصلا بالمغرب فلما اصبح الصباح قصص رؤياه على امه فقالت له ((انت سوف تستولي على العالم شرقه وغربه وسوف يصل اثر سيفك المضرج بالدماء الى بلاد المشرق والمغرب))[2].

وعندما كبر جنكيز خان بدأحملاته حيث صمم على اخضاع القبائل المجاورة قبل المضي لقتال الصين فانتصر على قبيلة التايجوت وبسط سيطرته على منطقة شاسعة تمتد شمال صحراء جوبي حيث مضارب عدد كبير من قبائل المغول ثم عمل على اخضاع جيرانه القبائل الاخرى[3] كما اعد حملة على قبيلة الكرايت وزعيمها ((اونك خان)) الذي كان صديقا حميما لوالده ،كانت علاقته طيبة جدا به الى ان وشى به ابناء (اونك خان) واخوته نتيجة الحسد فعملوا على الايقاع به عند ((اونك خان)) فقالوا له ان بقاء جنكيز خان خطر على دولتك لذلك قرر اونك خان التخلص منه[4] الا انه كان محظوظا فقد قام غلامان من اتباع اونك خان باخباره بذلك فاستعد لذلك ودارت بينهما حرب طاحنة[5] اسفرت عن انتصار جنكيز خان وقتل خصمه بالاضافة الى الغنائم الكبيرة التي حصل عليها فان هذه الحادثة زادت من شوكته واوقعت الرعب في نفوس الجميع فاسرعت القبائل التي كانت مترددة الى تقديم فروض الخضوع والطاعة[6] وعندما ارسل الرسل الى القبائل الاخرى يطلب منه الدخول في طاعته قبلوا على الفور فمن طاعه سعد ومن خالفه خذل[7].

بعد ان تغلب جنكيز خان على قبيلة الكرايت تأكد (تايانك خان) رئيس قبيلة النايمان ان جنكيز خان سوف يهاجمه ويقضي عليه كما فعل باونك خان لذلك قرر ان يتحالف مع قبيلة اخرى للوقوف بوجه جنكيز خان وعندما عرف جنكيز خان بذلك استعد لمحاربته وعلى الرغم من ان(تايانك خان)كان قد اتخذ الاهبة للقتال وجمع جيشا جرارا الا ان جنكيز خان انتصر عليه في الحرب وقتله وأسر زوجته وبعد ذلك اخذ جنكيز خان يؤلب القبائل الواحدة منها على الاخرى ويتحالف مع القوي منها على

---

(1) بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص382-383؛ العريني المغول، ص63.
(2) خواند مير، تاريخ حبيب السير، مج3، جـ1، ص16-17.
(3) لامب، جنكيزخان، ص63؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص46.
(4) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص19-20؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص22.
(5) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص394؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص310-311.
(6) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص20؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص22.
(7) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص395.

الضعيف وبهذه الوسائل استطاع التغلب على اقوام المغول الذين ينزلون في منطقة التبت وشرقي تركستان[1].

وهذه الحروب وان كان غاية ما يقال عنها انها قبائلية ولم تكن مقارعة حكومة بحكومة الا انها ذات اهمية كبرى اذ مرنته واهلته لخوض الحروب وممارسته لها وثانياً عملت على توحيد امة المغول وتوجيهها نحو وجهه واحد معلقه به قلبا وقالباً وتظهر نتائج هذه واهميتها في غلبته على الاقوام الاخرى[2].

حملة جنكيزخان على مناطق الصين الشمالية

بعد ان بسط جنكيزخان سيطرته على جميع القبائل المغولية وكون منها حكومة واحدة اصبحت الصين[3]. اول هدف لحملات جنكيزخان الحربية ذلك لأنه رأى ان حكام امبراطورية كين في الصين الشمالية لا يكفون عن تحريض القبائل الواحدة منها ضد الاخرى فاراد جنكيزخان عندما وثق بنفسه وبقوة جيشه ان يضع حداً لتدخل افراد هذه الاسرة في شؤون القبائل وصمم على محاربتهم خصوصاً وانه كان يريد الانتقام منهم بسبب ما لقيه اباءهُ واجداده من معاملة سيئة على ايدي هؤلاء الحكام بالاضافة الى ما كانت تتمتع به من غنى وثروات وما بلغته هذه البلاد من حضارة لذلك اقدم على تنفيذ خطته دون اي تردد فاستعد للحرب وحشد قواته ثم خرج بنفسه على راس هذه القوات فاشتبك مع الصينين لأول مرة عام 608هـ/1211م واستطاع ان يحرز جملة انتصارات وخضعت له البلاد الواقعة في داخل سور الصين الكبير[4].

هذه الانتصارات مهدت الطريق لشن هجوم على نطاق واسع سنة 610هـ/1213م اذ تحركت ثلاثة جيوش ضخمة تولى قيادة الجيش الرئيسي جنكيزخان[5] واصغر ابناءه (تولي) اما الجيش الثاني فقد كان يؤلف الجناح الايمن لجيشه وهو بقيادة ابناءه الثلاثه توشي وجغتاي واوكتاي حين ساروا نحو الجنوب اما الجيش الثالث فكان بقيادة اخوته متجه نحو الشرق وبالرغم من قوته الجبارة الا انه شعر بالاعياء والتعب نتيجة المقاومة الباسلة التي ابداها الصينيون في الدفاع عن وطنهم. لذلك ارسل الى امبرطور الصين يعرض عليه الصلح من خلال رسالة يقول فيها (كل ما تملكه من اراضي يعتبر ملكاً لي فيما عدا بكين فما اصبحت فيه من الضعف يقابله ما توافر لي من قوة. غير انني احب التوقف عن المضي في القتال والفتح ولا يتم ذلك الا بشرط واحد هو ان تبذل من الضيافات والهبات لقادتي ورجالي ما يجعلهم يخلدون الى الهدوء والسلام[6].

ولما تأكد امبراطور الصين من حرج موقفه وافق على الصلح وارسل الى جنكيزخان بعض الهدايا منها خمسمائة شاب من الرقيق وكثيراً من الفتيات كأماء له

---

(1) الجويني، جهانكشاي،جـ1،ص20-21؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص47-48.
(2) العزاوي، العراق بين احتلاليين، جـ 1، ص76.
(3) ابن بطوطة، الرحلة، ص352.
(4) الصياد، المغول في التاريخ، ص51-52؛ الرفيعي، العراق، ص94.
(5) لامب، جنكيزخان، ص71.
(6) العريني، المغول، ص65-66.

وقطيعاً من الجياد الفاخرة واحمالاً من الحرير والذهب وتهادن الطرفان وفوق ذلك طلب جنكيزخان ان يزوجوه امرأة من العائلة المالكة ان صدقوا في المهادنة فزفت اليه[1]. ولكن هذا الامبراطور عاد فعدل عن فكرة الصلح وقد يكون السبب هو عدم الاطمئنان الى المغول فلم يكد جنكيزخان يجتاز السور حتى نقل مقر ملكه الى الجنوب لكي لا يكون قريباً من الحدود المغولية وترك لابنه مهمة الدفاع عن بكين ثم عاد فاستدعاه وكلف احد قواده بان يحل محله فحدث انقسام بين صفوف الجيش الصيني فاستغل جنكيزخان هذه الفرصة ولم تلبث الحرب ان نشبت بعد خمسة شهور بين جنكيزخان والصينيين في معركة فاصلة سقطت على اثرها مدينة بكين في ايدي المغول عام 612هـ/1215م[2].

غنم جنكيزخان غنائم كثيرة واستولى على الكنوز والنفائس مما كان له الاثر في ترقية حياة المغول واصبحوا يصنعون خيامهم من الحرير ويرصعون سيوفهم بالجواهر[3].

وفي سنة 613هـ/1216م عاد جنكيزخان الى منغوليا واغتنم ملوك الصين الفرصة فاستردوا جانباً كبيراً من مملكتهم واستمرت امبراطوريتهم قائمة الى ان قضى عليها نهائياً في عهد اوكتاي بن جنكيزخان[4].

حروب جنكيز خان مع كوجلك

المعروف ان كوجلك خان هو ابن زعيم النايمان قد فر عقب الهزيمة التي لحقت بأبيه على يد جنكيزخان. وتعرض اثناء فراره وجولاته للضيق والعوز ويقال ان القراخطائيين اعتقلوه وحملوه الى ملكهم ((كورخان)) الذي كان على خلاف مع خوارزمشاه فانتهز كوجلك خان هذه الفرصة وطلب من كورخان ان يسمح له بجمع اتباعه المتشتتين ويكّون جيش كبير يقف الى جانبه ضد مطامع خوارزمشاه وتعهد له ان سوف يظل وفياً ولا يعصي له امراً وهكذا استطاع كوجلك ان يجمع جنوده ويعيد تنظيم قواته وانضم اليه من اتباع كورخان كمالحق به ((توق تغار)) حاكم قبيلة مكَريت الذي فرّ هو الاخر من بطش جنكيزخان حيث انتهز فرصة العداء بين الخوارزميين والقراخطائيين واتفق مع محمد خوارزمشاه على ازالة هذه الدولة ووافق خوارزمشاه عندما رأى رجحان كفة كوجلك فسارعا الى محاربة كورخان فانتصر عليه واسره وزج به في السجن حيث توفى بعد عاميين ثم اخذ كوجلك بتوسع رقعة دولته فاخضع كثيراً من القبائل المجاورة واستخدم ابشع اساليب القسوة والتعسف ضد سكان المناطق

---

(1) لامب، جنكيزخان، ص72؛ وليام دي ويت واخرون، احداث شهيرة من التاريخ، ص57.
(2) العريني، المغول، ص66؛ خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانين، ص1.
(3) الرفيعي، العراق، ص93-94.
(4) الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص53-54.

المغلوبة حتى انه اجبر المسلمين على الارتداد عن دينهم او ارتداء زي القراخطائيين ففضلوا الخيار الثاني طبعاً وامر بقطع الاذان وحيل بين المسلمين وبين اداء شعائرهم الدينية كما اضطهد علماء الدين وعاملهم معاملة سيئة وكان كثيراً ما يستهزأ بهم(1).

وبعد ان انتهى جنكيزخان من حروبه في الصين تفرغ لكوجلك فارسل له جيشاً كبيراً بقيادة (جبة نويان) وانتصر عليه وفر كوجلك ومن ثم اعتقله بعض الصيادين وسلموه للمغول فقتلوه على الفور وارسلوا رأسه الى جنكيزخان. اما ((توق تغار)) فقد هرب هو الاخر وتعقبه توشي ابن جنكيزخان على راس جيش كبير فلاذ بالفرار الا ان المغول تمكنوا من العثور عليه والخلاص منه ومن اتباعه(2).

يقول بارتولد ان (جبة نويان) قام بتخليص المسلمين من هذا الطاغية حيث اصدر منشوراً يعيد للمسلمين حقهم بحرية العبادة وان اهالي كاشغر عدوا قدوم المغول رحمة الله بعباده. أي اراد بارتولد القول انهم جاؤوا محررين وليس لديهم اطماع اخرى. ويضيف بارتولد ان تحرير المسلمين من العنت والاضطهاد كان المفروض ان يقوم به (سلطان الاسلام) أي محمد خوارزمشاه(3) الذي لم يحاول تقديم أي مساعدة لهم ولم يتخلصوا من الاضطهاد والطغيان الا بوصول عساكر المغول سنة 615هـ/1218م(4).

وبهذه الانتصارات التي حققها المغول تمت السيطرة على جميع القبائل التركية. كما احتلوا المناطق التي ضمها كوجلك الى دولته وبوقوع هذه المناطق بيد المغول صاروا يحادون الممالك الاسلامية ولاسيما الخوارزميين(5).

العلاقة بين جنكيز خان والسلطان محمد خوارزمشاه

بعد القضاء على كوجلك خان سنة 615هـ/1218م أصبحت القوات المغولية تجاور الإمارة الخوارزمية لذلك فمن الطبيعي ان تحدث بعض المناوشات بين الطرفين التي لم تأخذ بعد صفة الحرب الرسمية ولم تؤدي الى نتائج حاسمة ولقد استفاد كلا الطرفين من هذه المناوشات في معرفة خصمه فقد اطلع خوارزمشاه على قدرة الجيش المغولي في خوض غمار الحرب.(6)

وبالرغم من توتر العلاقات بينهم بين الحين والأخر الا ان هذا لم يمنع من وجود صلات قائمة بين الدولتين وقد أشار بارتولد الى هذه العلاقة من خلال استشهاده بقول الجويني في ان المغول كانوا في ذلك العهد يحملون احتراما خاصا للمسلمين فكانوا ينصبون لهم خياما من الوبر الأبيض دليلا على ذلك الاحترام حرموا فيما بعد من هذا

---

(1) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص31-32، جـ2، ص51-52.
(2) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص31-32؛ العزاوي، العراق بين احتلاليين، جـ 1، ص88-89.
(3) تركسان، ص574-575.
(4) تاريخ الترك، ص58.
(5) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص33.
(6) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص31-35.

التكريم عندما تكشفت عيوبهم[1] وتجسدت تلك العلاقة في إبرام معاهدة تجارية فيما بينهم بعد قيام السلطان محمد خوارزمشاه إرسال سفارة الى جنكيز خان وذكر بارتولد ان السبب الأكبر في إرسال هذه السفارة هو ان خوارزمشاه أراد التحقق من صدق الأنباء التي تواترت عن انتصار جنكيز خان في الصين وأراد أيضا الحصول على معلومات دقيقة عن القوات المقاتلة لجنكيز خان،[2] وعند وصول أعضاء السفارة الى حدود طمغاج رأوا بأم أعينهم مظاهر الخراب والدمار والمذابح الرهيبة والنهب والسلب. ووصف لنا بارتولد الحفاوة التي استقبل بها جنكيزخان سفراء خوارزمشاه وبالغ فيها بقوله "استقبل جنكيز خان السفراء بمظهر العطف وأمرهم بان يخبروا خوارزمشاه بأنه يعتبره سيد المغرب بنفس الدرجة التي يعتبر فيها نفسه سيد المشرق وانه يرغب في ان يحل الوئام والسلام بينهما وان يتمتع التجار بحرية السفر والانتقال من بلد الى آخر. ونلاحظ ان بارتولد ينفي عن جنكيز خان أي نوايا خبيثة بالسيطرة على العالم فيقول"ليس هناك ما يسوق الى التشكيك في صدق نوايا جنكيز خان فهو كان في تلك الآونة ابعد ذهنا من السيطرة على العالم[3] ويؤيده في رأيه هذا بعض مؤرخي المغول المحدثين. [4]

الا اننا نعرف ان آراء بارتولد هذه عارية من الصحة فقد كان هدفه أبدا ودوماً هو السيطرة على العالم شرقه وغربه والحصول على اكبر قدر ممكن من الإقطاع ان تحيز بارتولد لجنكيز خان والمغول واضح جدا من خلال مؤلفاته وبالمقابل موقفه السلبي من الإسلام والمسلمين ومحاولته الانتقاص منهم كلما وجد الى ذلك سبيلا هذا تجلى من خلال مقارنته بين جنكيز خان وخوارزمشاه بقوله "ان الروح الطيبة التي تمتع بها جنكيز خان لم تتوفر بين مطامع السياسية لمحمد خوارزمشاه من جهة ومصالح تجارة بلاده من جهة أخرى" فهو حين بعث بالسفارة الى جنكيز خان كان هدفه الأوحد هو الحصول على معلومات عن جنكيز خان الذي أصبح منافساً خطيراً ولم يضع في حسابه المصالح التجارية لرعاياه رغما من ان هذه المصالح كانت واسعة للغاية وان أي تأخير ولو لفترة وجيزة يصيب التجار بخسائر فادحة. [5]

حادثة اترار* (اطرار)

---

(1) تركستان، ص566.
(2) اقبال تاريخ مفصل ايران، جـ1، ص21.
(3) تركستان، ص563-564.
(4) العريني، المغول، ص116؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص98.
(5) تركستان، ص564.

نتيجة لحاجة المغول الماسة للعديد من المواد الغذائية التي تفتقر إليها دولتهم لندرة إنتاجها الزراعي وكذلك حاجتهم لثياب الكسوة. [1] حتم عليهم تقوية صلاتهم التجارية مع الدولة الخوارزمية وتنفيذاً لهذه السياسة أوفد جنكيز خان ثلاثة من التجار المسلمين قيل هم (محمود الخوارزمي وعلي خواجة ويوسف كنكا الاتراري)[2] هؤلاء الثلاثة كانوا على راس سفارة تتكون من مئة وخمسين تاجر بينهم المسلم والنصراني والتركي وقد حملهم بالهدايا الثمينة وكان من بينها سبائك من الفضة وبعض الطيور والأحجار الكريمة والمنسوجات الصوفية وقد وصل هؤلاء التجار الى بلاد السلطان محمد خوارزمشاه سنة 615هـ مستصحبين معهم رسالة من جنكيز خان[3] جاء فيها "ان الخان الكبير يسلم عليك ويقول ليس يخفى علي عظيم شانك وما بلغت من سلطانك وقد علمت بسطة ملكك ونفاذ حكمك في أكثر أقاليم الأرض وإنا أرى مسالمتك من جملة الواجبات وأنت عندي مثل اعز أولادي غير خافٍ عليك أيضا أني ملكت الصين وما يليها من بلاد الترك وقد أذعنت لي قبائلهم وأنت اخبر الناس بأن بلادي مثارات العساكر و معادن الفضة وان فيها لغنية عن الطلب وغيرها فان رأيت ان تفتح للتجارة في الجهتين سبيل التردد عمت المنافع وتسلمت الفوائد".[4]

وقد أطرى بارتولد كالمعتاد على هذه الرسالة بقوله أنها تشمل على طلب المسالمة والموادعة وسلوك جنكيز خان مسلك المجاملة. [5]

عندما قرأت الرسالة على السلطان اشتد غضبه وامتعض واجمع عداوته لما تحمله من أهانه أولاً وتهديد ثانياً فقد أهانه حين اعتبره في منزلة الابن أي التابع لذلك استدعى محمود الخوارزمي وطلب منه ان يكون عيناً للخوارزمين[6] على جنكيزخان مقابل إغراءات مادية ومعنوية فتظاهر بموافقته حتى يهدئ من ثورته واستخبره عما اذا كان حقا ما يقول جنكيزخان انه ملك الصين فأجاب بالموافقة وسأله عن مقدار العساكر فقللها وغشه في ذلك فقبل السلطان محمد خوارزمشاه ان يبرم معاهدة تحالف وصداقة مع جنكيزخان وعاد الرسل الى بلاط الخان وهم يحملون الرد بقبول الاتفاق.[7] ان المتمعن في رسالة جنكيزخان يجد فيها الكثير من الاستفزاز الذي تحمله في طياتها الا

---

* اترار: مدينة من بلاد الترك تكتب احيانا اطرار. وتعتبر مفتاح الاقليم ما وراء النهر تقع على نهر سيحون، ينظر. ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ1، ص 218، ابو الفدا، تقويم البلدان، ص439.

(1) ابن الاثير، الكامل، جـ9، ص330؛ القزاز، محمد صالح، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير، (مطبعة القضاء- النجف الاشرف- 1391هـ-1971م)، ص297.

(2) الذهبي، تاريخ الاسلام، ص22-23؛ بارتولد، تركستان، ص566-568.

(3) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص400.

(4) النسوي، سيرة جلال الدين منكبرتي، ص83-84؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص538.

(5) تركستان، ص566-568..

(6) الذهبي، دول الاسلام، جـ1، ص88.

(7) ابن خلدون، العبر، مج5، جـ5، ص518.

ان بارتولد ينفي عن جنكيزخان ان تكون هذه الاستفزازات متعمدة فيقول: " انه من المشكوك فيه كثيرا ان يكون جنكيزخان قد دبر ذلك لاسخاط خوارزمشاه بحيث يجعل من الحرب بينهما أمراً لا مفر منه".[1]

عمل جنكيزخان كل ما بوسعه لتأمين التجارة بين شرق أسيا وغربها بعد عقد الاتفاقية بينه وبين الخوارزميين شجعت حاله الأمن والهدوء بعض التجار الخوارزميين للقيام برحلة الى المغول وكانت بضاعتهم الثياب الحريرية الموشاة بالذهب وقصد بلاط الخان احد التجار يحمل ثياباً فاخرة فسأله جنكيزخان عن ثمنها فطلب ثمناً باهظاً لها مما اغضب جنكيزخان فأمر باغتصاب بضاعته والقبض عليه ثم جاءه تاجران أخران فامتنعا عن طلب ثمن معين لبضاعتهم وقالا أنها هدية للخان فأعجبه تصرفهما فاكرمهما وعفا عن التاجر الأول وأكرمه أيضا[2].

بعد ان أكمل التجار رحلتهما قرروا العودة. رأى الخان ان يرسل قافلة تحمل الأمتعة المختلفة وتصحب هؤلاء التجار الى خوارزم لتبادل التجارة هناك فكون وفد يتكون من أربعمائة وخمسين تاجراً كلهم مسلمين وكانوا يحملون أصنافا كثيرة وأمتعة فاخرة من الذهب والفضة والحرير والأقمشة القيمة بالإضافة الى المسك والأحجار الكريمة وتتكون القافلة من خمسمائة من الإبل ومعهم رسالة من جنكيزخان الى السلطان خوارزمشاه يقول فيها: ان التجار وصلوا إلينا وقد أعدناهم الى مأمنهم سالمين غانمين وقد سيرنا معهم جماعة من غلماننا ليحصلوا من طرائف تلك الأطراف فينبغي ان يعودوا إلينا امنين ليتأكد الوفاق بين الجانبين وتنحسم مواد النفاق من ذات البين وصلت القافلة الى مدينة اترار وكان يحكم المدينة في ذلك الوقت رجل يدعى (ينال خان) أو (ينال جق) ولقبه (غاير خان) وهو من أقرباء تركان خاتون أم السلطان خوارزمشاه قيل انه ابن خال[3] السلطان او خاله. [4]

عندما رأى (ينال خان) ما يحمله هؤلاء التجار من نفائس الذهب والفضة والحرير والثياب والفرو طمع في أموالهم وقرر الاستيلاء عليها فكاتب السلطان وشككه بأمر هؤلاء وقال له أنهم جواسيس في زي التجار قدموا بغرض الاستطلاع وجمع الأخبار تمهيدا للقضاء عليك فصدقه السلطان وطلب اليه ان يراقبهم ويأخذ حذر منهم الا ان ينال خان قام بقتل هؤلاء التجار واستولى على أمتعتهم الا ان احدهم استطاع ان يفر من هذه المذبحة وحمل نبا تلك الحادثة إلى جنكيز خان.[5] الا ان بارتولد يشكك بصحة رواية النسوي التي تبرأ خوارز مشاه من إصداره أمر قتل هؤلاء التجار فيقول: "من

---

(1) جنكيز خان دائرة المعارف الاسلامية، مج7، ص135.
(2) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص400؛ خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانين، ص134.
(3) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص41؛ اقبال، تاريخ مفصل ايران، ص23.
(4) الذهبي، سير اعلام النبلاء، جـ2، ص223؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص541.
(5) النسوي، جلال الدين منكبرتي، ص85؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص541.

العسير القول ما اذا كان النسوي محقا في زعمه بان محمداً لم يصدر أمراً قاطعاً بقتل التجار غير انه ليس ثمة شك في انه اقتسم الأسلاب مع الوالي".[1]

لقد اختلف المؤرخون في أسباب حادثة اترار ومدى مسؤولية السلطان عن الحادثة فوردت روايات متناقضة حولها وان كانوا قد اتفقوا اغلبهم على ان جشع الحاكم (ينال خان) وطمعه هو السبب في الحادثة وانه هو المسؤول عن قتلهم في حين ذكر قسم من المؤرخين ان أمر قتلهم ومصادرة أموالهم جاء من السلطان خوارزمشاه نفسه. [2] ومن الأسباب الأخرى التي وردت في حادثة اترار هو ان احد التجار أثار حفيظة ينال خان وهو من اصل هندي وكانت له معرفة سابقة بالحاكم (ينال) فاخذ يدعوه باسمه من غير تكلف دون ان يقرنه بلقب خان فتحامل عليه. [3]

الا ان بارتولد يقول ليس هناك مصدر واحد يزعم ان التجار هم الذين اثارو سخط ينال او غيره بسوء مسلكهم. وانهم ضحية السلطان وجشعه وان تهمة التجسس هي حجة واهية لا تبرر قتلهم دون التحقق من أمرهم وان السلطان هو نفسه أرسل سفارة إلى جنكيز خان هدفها الاستطلاع والتجسس. [4]

ومهما يكن من أمر فأن التصرف الأخرق حتى لو كان صادراً عن حاكم اترار وحده فانه لا يمكن ان يعفي السلطان محمد خوارزمشاه من المسؤولية.

اما عن رد فعل جنكيز خان عندما سمع الخبر فقيل انه تأثر منه إلى الغاية وهجر النوم وصار يحدث نفسه ويفكر فيما يفعل وقيل أيضا انه كان يصعد على راس تل عال ويتضرع إلى الله ويطلب النصر منه وبقى ثلاثة أيام بلياليها وبالرغم من غضبه الشديد الا انه حاول ان يحسم الأمر مع الخوارزميون بطريقة سليمة[5].

يذكر بارتولد رد فعل جنكيز خان على الحادثة ممجد سجاياه من خلال قوله (ومرة أخرى كشف جنكيز خان مما عهد فيه دوماً من ضبط النفس وكبح لجماح الغضب فارسل إلى السلطان محمد خوارزمشاه سفارة [6] مؤلفة من ثلاثة رسل مسلمين يحملون اليه رسالة جاء فيها ((انك أعطيت خطك ويدك بالأمان للتجارة ان لا تتعرض إلى احد منهم فغدرت ونكثت والغدر قبيح. ومن سلطان الإسلام أقبح فان كنت تزعم ان الذي ارتكبه ينال خان كان من غير أمر منك فسلم ينال خان اليّ لأجازيه على ما فعل حقنا للدماء والا فأذن الحرب ترخص فيها غوالي الارواح)). فكان جواب السلطان هو رفض تسليم "ينال خان" وذلك لجملة أسباب منها خشية قيام ثورة ضده في حالة تسليمه

---

(1) تركستان، ص569.
(2) ابن الاثير، الكامل، جـ9، ص331، الجويني، جهالكشاي، جـ1، ص41؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص401؛ ابن بطوطة، الرحلة، ص352؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص384-385.
(3) الجويني، جها نكشاي، جـ1، ص41.
(4) تركستان، ص569.
(5) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص401.
(6) تركستان، ص570.

"ينال خان" لأنه من أقارب والدته "تركان خاتون" التي كان اغلب الجيش يطيعها أكثر من السلطان وكما ان الغرور الذي كان من صفاته منعه من ذلك لأنه أراد ان يبدوا قويا أمام جنكيز خان حيث ان تسليمه لينال خان معناه انه مقر بضعفه[1] والاسوء من ذلك انه أمر بقتل جميع أعضاء الوفد في البعثة الجديدة[2] لكن بعض المصادر تذكر انه قتل الرسول فقط وأمر بحلق لحى أصحابه الباقين وأعادهم إلى جنكيز خان يخبرونه ما فعل بالرسول[3] ان سوء التصرف من جانب السلطان وعدم اهتمامه بالتحقيق في هذه الحادثة ورفضه تسليم ينال خان ثم ازداد الأمر سوءا بإقدامه على قتل رسل جنكيز خان في المرة الثانية ان هذه التصرفات أعطت جنكيز خان الحجة الدامغة لتبرير الهجوم على الخوارزميين.

الا ان سوء تصرف السلطان لا يبرر المجازر الدموية التي قام بها جنكيز خان بالعالم الإسلامي. ونلاحظ ان بارتولد يصف حادثة اترار بالمجزرة او المذبحة[4] متناسيا ما أحدث جنكيز خان أضعاف هذه المجزرة.

اتهام الخليفة الناصر باستدعاء المغول

قيل ان حادثة اترار ليست هي السبب الوحيد في خروجهم على بلاد الإسلام وإنما هناك سبب اخر فقد وردت في بعض كتب التاريخ تهمة خطيرة للخليفة الناصر لدين الله(575هـ/622هـ) (1179م/1225م) مفادها ان الخليفة كتب يستدعي المغول ويحرضهم على اخذ بلاد خوارزمشاه مستندين بتهمتهم على ما المح اليه ابن الأثير في حوادث سنة 617هـ/1220م) حيث قال: ((وقيل في سبب خروجهم إلى بلاد الإسلام غير ذلك مما لا يذكر في بطون الدفاتر:

فكان ما كان مما لست اذكره   فظن خيرا ولا تسال عن الخبر[5]

حيث قالوا ان الكناية في بعض الأحيان تكون ابلغ من التصريح. ثم يعود ابن الأثير ويذكر في حوادث سنة 622هـ/1220م) أي بعد وفاة الخليفة الناصر التهمة بصيغة الاستفهام غير جازم بها فيقول: ((ان كان سبب ما ينسبه العجم اليه صحيحا من انه هو الذي اطمع التتر في البلاد وراسلهم في ذلك فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم)). [6] وذكر احد المؤرخين ان ابن الأثير هو المؤرخ الوحيد الذي أساء الثناء على الخليفة الناصر اما المؤرخين الذين كتبوا ضد الناصر فهم نقلوا أقوال

---

(1) النسوي، سيرة جلال الدين منكبرتي، ص87؛ دحلان، الفتوحات الاسلامية، جـ2، ص26.
(2) الذهبي، دول الاسلام، جـ1، ص88؛ ابن خلدون، العبر، مج5، جـ5، ص518-519؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص385.
(3) ابن الاثير، الكامل، جـ9، ص331؛ الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص371.
(4) تركستان، ص568.
(5) الكامل في التاريخ، جـ9، ص331.
(6) الكامل في التاريخ، جـ9، ص361..

ابن الأثير من بعده[1] فقاموا بتكرار التهمة دون تمحيص[2] والقسم الآخر من المؤرخين اجزم بها مثل المقريزي حيث قال ((كان هو السبب في ذلك فانه كتب أليهم بالعبور إلى البلاد)) [3].

وهناك من فند التهمة وقال ان السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي زعم ان الخليفة الناصر هو سبب هلاك ابيه بقوله: ((كان السبب في هلاك أبي ومجئ الكفار إلى البلاد ووجدنا كتبه إلى الخطأ وتوقيعه اليهم بالبلاد والخيل والخلع)). [4]

كما وأيد بعض المؤرخين المحدثين التهمة على الخليفة الناصر[5] مستندين بذلك على رواية ابن الأثير الذي هو نفسه كان مترددا وغير واثق منها وذلك باستخدامه كلمة (قيل) في سبب خروجهم... [6]

فقد ذكر احد المؤرخين المحدثين ان هناك العديد من المؤرخين ممن يشاركه في اتهام الخليفة الناصر فهو لم يكن اتهاما مجردا وإنما هو بيان واقع وتحقيق ثابت او تدوين صحيح برهن بوقائع معلومة لا تقبل ارتيابا، فقد كثر ذاموه وقل ما دحوه ولم يكن الذم مقصود لذاته وإنما هناك أعمال تستدعي الذم ولم يلتزم المؤرخون الذم المجرد وانما أكدوه بما عرف من وقائع سردوها. [7]

اما المراجع الأوربية الحديثة فهي الأخرى كررت ما ذكره المؤرخين في تهمة الخليفة الناصر وعلى رأسهم المستشرق هارولد لامب ذاكراً قصة مراسلة الخليفة الناصر لجنكيز خان قائلا: لقد ذاع صيت جنكيز خان في ذلك الوقت في البلاد الإسلامية وكان خوارزمشاه يضايق خليفة بغداد فاقنع بعض الناس الخليفة بان قضيته قد تلقى العطف والمساعدة من الخان فسار رسول من بغداد الى قراقورم وكان على الرسول ان يمر من بلاد خوارزمشاه للوصول إلى الخان لذلك احتاطوا للأمر حيث كتب نص الرسالة على راس الرسول بالوشم بعد ان حلقوا له رأسه ثم أمهلوا الرسول

---

(1) ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي، (ت:697هـ)، مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تح مصطفى جواد (مطبعة الحكومة- بغداد- 1390هـ/1970م)، ص247.

(2) الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت:764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، تح محمد بن محمد ومحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن باعتناء هلموت ريتر، ط2، (دار النشر فرانزشتايز بفيسبادن- 1381هـ/1962م)، جـ2، ص276؛ الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، جـ2، ص402.

(3) السلوك، جـ1، ق1، ص218..

(4) الذهبي، دول الاسلام، جـ2، ص94؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص 105؛ فوزي، تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الاسلامية، ص361.

(5) العزاوي، العراق بين احتلالين، جـ1، ص97؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص72؛ جواد في التراث العربي، ص28.

(6) الكامل، جـ9، ص331.

(7) العزاوي، عباس، التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، (شركة التجارة للطباعة المحدودة- بغداد- 1376هـ/1975م)، ص38-39.

إلى ان ينبت الشعر في رأسه وبعد وصوله إلى الخان وألقى عليهم رسالته لم يهتم جنكيز خان للأمر. [1]

كما يمكن القول ان المغول لم يكونوا بحاجة إلى تحريض سواء من الخليفة او غيره وذلك لانهم كانوا قد شرعوا في توسيع فتوحاتهم جهة الغرب حتى أصبحت ممالكهم مجاورة للدولة الخوارزمية فمن الطبيعي ان تتجه مطامعه نحوها منتظرا الفرصة المناسبة والحجة القوية التي توفرت في حادثة اترار.

لقد أظهرت العديد من الدراسات التي أثبتت براءة الخليفة الناصر لما اسند اليه من تهمة مراسلة التتار[2] مستندين بذلك على مجموعة أدلة قوية من أبرزها هي ان ابن الأثير الذي يعتبر المصدر الأساسي للتهمة ذكر السبب الرئيسي لغزو المغول لبلاد خوارزم كان بسبب سوء التفاهم الذي وقع لتجارهم في مدينة اوترار الإسلامية وقتلهم باعياز من خوارزمشاه علاء الدين محمد. [3] يضاف إلى هذا ان سبب احتكاك الخوارزميون مع المغول أصبح مباشر بعد إزالة خوارزمشاه الدولة القرة خطائية في سنة 607هـ/1210م كما ان الغزو المغولي للعالم الإسلامي كان جزء من حركة واسعة تستهدف أقامة إمبراطورية مغولية عالمية نجحت فعلا أيام مؤسسها جنكيز خان[4] ومن هذا يتبين ان غزوهم للعالم الإسلامي هو استكمال ما بدأه جنكيز خان فهي امتداد طبيعي، ثم ما هي نوع العلاقة التي تربط الخليفة الناصر بجنكيزخان حتى يسارع الأخير في مهاجمة الدولة الخوارزمية لمجرد طلب الخليفة اليه ذلك.

وما يضعف تهمة الخليفة الناصر لدين الله بمراسلة المغول هو موقفه الصريح المعادي لهم، فعندما وصلت الأخبار إلى بغداد في سنة 618هـ/ 1221م بتقدم المغول من قاعدتهم نحو الخلافة اعلن الخليفة حالة الاستنفار في جميع أنحائها واجتمعت العساكر فرجع المغول ظنا منهم ان عسكر المسلمين يتبعهم. [5]

يتبين لنا من كل ما تقدم ان التهمة التي وجهت إلى الخليفة الناصر لدين الله بمراسلته المغول لا تستند في أساسها على أدلة واضحة ومقنعة يمكن الركون إليها للتسليم بصحتها. [6]

---

(1) جنكيز خان، ص90-91.

(2) القزاز، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير، ص177-178؛ العبود، الدولة الخوارزمية، ص101-106؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص167-180.

(3) الكامل في التاريخ، جـ9، ص330-331..

(4) الجويني، جيهانكيشاي، جـ2، ص55.

(5) حسين، محسن محمد، اربيل في العهد الاتابكي، (522-630هـ/1128-1233م)، (مطبعة اسعد-بغداد-1976)، ص230..

(6) للمزيد من المعلومات عن براءة الناصر ينظر: القزاز، الحياة السياسية، ص177-178؛ العبود الدولة الخوارزمية، ص101-106؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص76.

موقف خوارزمشاه بعد حادثة اترار

عندما قتل نائب خوارزمشاه أصحاب جنكيز خان أرسل جواسيس اليه لمعرفة ما مقدار جيشه وما ينوي ان يفعل فجاءوه واخبروه بكثرة عددهم وانهم يخرجون عن الإحصاء وانهم اصبر خلق الله على القتال لا يعرفون هزيمة وانهم يصنعون سلاحهم بأيديهم فندم خوارزمشاه على قتل أصحابهم واخذ أموالهم فاستشار احد مقربيه فيما يجب فعله في هذا الأمر فقال له ((عساكرك كثيرة ونكاتب الأطراف ونجمع العساكر ويكون النفير عاماً ويجب على المسلمين مساعدتك بالمال والأنفس ثم نسير بالجيوش إلى جانب سيحون هو نهر كبير يفصل بين الترك وبلاد ما وراء النهر فإذا وصل العدو يكون قد سار مسافة بعيدة لقيناه ونحن مستريحون وهم في غاية التعب)) فجمع الأمراء واستشارهم فلم يوافقوه بل قالوا: (الرأي ان نتركهم يعبرون إلينا ويسلكون هذه الجبال فهم جاهلون بطرقها ونحن عارفون ونهلكهم فلا ينجو منهم احد في هذه الأثناء ورد رسل جنكيز خان يحملون تهديد لخوارزمشاه يقول فيه: (تقتلون أصحابي وتأخذون أموالهم استعدوا للحرب فاني واصل أليكم بجمع لا قبل لكم به فلما سمع خوارزمشاه بذلك أمر بقتل رسوله وحلق لحى جماعته وأمرهم ان يقولوا لجنكيز خان: ان خوارزمشاه يقول لك أنا سائر أليك ولو انك في آخر الدنيا حتى انتقم وافعل بك كما فعلت بأصحابك[1] وتجهز خوارزمشاه بعد رسول جنكيز خان ليسبق وصول الخبر إلى جنكيز خان فمضى خوارزمشاه وقطع مسير أربعة اشهر فوصل إلى بيوتهم فلم ير فيها الا النساء والصبيان والأطفال فأوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرية وان سبب غيبة المغول عن بيوتهم إنهم ساروا لمحاربة ملك من ملوك الترك يقال له (كشلوخان) فقاتلوه وهزموه وغنموا أمواله. [2] وفي طريق عودتهم سمعوا بالخبر وما فعله خوارزمشاه فجدوا السير والتقوا بجيوش خوارزمشاه واقتتلوا قتالاً لم يسمع بمثله فبقوا في الحرب ثلاثة أيام بلياليها فقتل من الطائفتين ما لا يعد ولم ينهزم احد ولم يكن جنكيز خان حاضراً بل ان ولده قاد الجيش فأحصى من قتل من المسلمين في هذه الوقعة فكانوا عشرين ألفا وأما المغول فلا يحصى من قتل منهم. وفي الليلة الرابعة سئم الطرفان القتال فافترقوا. [3] وعلى ما يبدوا ان لأرقام المذكورة عن عدد القتلى مبالغ فيها.

حملة جنكيز خان على ما وراء النهر

بدا جنكيز خان استعداداته للاستيلاء على إقليم ما وراء النهر[4] حيث قام بتقسيم قواته إلى أربعة جيوش وذلك لغزو الإقليم من أربع جهات فالجيش الأول بقيادة ابنيه

---

(1) ابن الاثير، الكامل، جـ9، ص331-332، الذهبي، تاريخ الاسلام، ص40-41.
(2) الذهبي، سير اعلام النبلاء، جـ22، ص237.
(3) الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، جـ2، ص371-372.
(4) الغياثي، تاريخ الغياثي، ص41؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، مج3، جـ1، ص17.

(جغتاي) و (اوكتاي) ومهمته غزو مدينة اترار[1] اما الجيش الثاني بقيادة ابنه الأكبر (توشي) ومهمته غزو البلاد التي تقع على ساحل نهر جيحون واما الثالث كان مهمته مدينتي بناكت* وخجند** وأخيرا الجيش الرابع وكان يتكون من اغلب قوات المغول وكان يقوده جنكيز خان نفسه ومعه (تولي) قاصداً إقليم ما وراء النهر وخاصة بخارى لقطع اتصال السلطان ببقية جنوده. [2]

حملته على مدينة اترار

هناك عدة أسباب كانت وراء اختيار مدينة اترار لبدء عملياتهم العسكرية في مناطق ما وراء النهر فمن جهة تعتبر مدينة اترار مفتاح إقليم ما وراء النهر ومن جهة أخرى كان لا يزال حاكمها "ينال خان" الخوارزمي الذي قتل التجار المغول موجود فيها فأثار حفيظة جنكيز خان وجعله يصمم على تأديبه والثأر لمقتل رعاياه بالرغم من التحصينات التي قام بها ينال خان حيث كان متوقع هجوم المغول عليها الا إنها سقطت بيد المغول بعد حصار دام خمسة اشهر بعد ان انزل بها افدح الخسائر. [3] وقع ينال خان في قبضة المغول فارسلوه إلى معسكر جنكيز خان الذي سنحت له الفرصة للتشفي من خصمه والتنكيل به فأمر بأن تصهر الفضة وتسكب في عينيه واذنيه حتى مات بهذه الطريقة البشعة. وبعد ان قتلوا ونهبوا ممتلكاتهم واسروا عددا كبيرا من السكان ومن ثم اسرع الجيش للانضمام بقوات جنكيز خان التي كانت تنوي الهجوم على وسط إقليم ما وراء النهر. [4]

الاستيلاء على جند* وبناكت وخجند

تحرك الجيش الثاني بقيادة "توشي" قاصداً المدن التي تقع على نهر سيحون وبعد وصول الجيش إلى هناك أرسل توشي رسول يدعى (حسن حاجي) برسالة إلى أهل المدينة يدعوهم إلى التسليم فردوا عليه بقتل الرسول فسار اليهم توشي بجيشه وحاصرهم لمدة سبعة أيام ثم سقطت المدينة بيده ثم عين ابن (حسن حاجي) حاكما عليها[5].

---

(1) اقبال تاريخ مفصل ايران، ص260.
* بناكت:مدينة بما رواء النهر في الاقليم الرابع، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ1، ص496؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، جـ1، ص223.
** خجند: وهي بلدة مشهورة بما وراء النهر تقع على نهر سيحون، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ2، ص347.
(2) فامبري، تاريخ بخارى، ص165؛ القزاز، الحياة السياسية، ص31؛ الخالدي، العالم الاسلامي، ص79.
(3) النسوي، سيرة جلال الدين، ص91؛ الجويني، جها نكشاي، جـ1، ص42-43.
(4) ابن خلدون، العبر، مج5، جـ5، ص519.
* جند: اسم مدينة عظيمة في بلاد تركستان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ2، ص168-170.
(5) فامبري، تاريخ بخارى، ص166.

وبعدها قصد مدينة جند[1] باعتبارها من الثغور المهمة على نهر سيحون وعندما اقتربت جيوش المغول منها غادرها جنود خوارزمشاه تاركين هذه المدينة تواجه مصيرها وحدها وكالعادة أرسل قواد جنكيز خان رسولاً إلى أهالي المدينة يدعوهم للتسليم فانقسموا فريقين فريق يرى عدم إجابة المغول وضرورة الدفاع عن المدينة وفريق يرى عدم جدوى المقاومة ويدعوهم إلى التسليم في الحال لذلك قام المغول بضرب الحصار على المدينة حتى سقطت واجبروا الأهالي على مغادرتها وقتلوا الأشخاص الذين أرادوا المقاومة وعفو عن الباقيين. [2]

وتحرك الجيش الثالث وبدأ مهمته في محاصرة بناكت استمر حصارها ثلاثة أيام وفي الرابع استسلمت وذبح المغول الحامية وساقوا أصحاب الحرف والصناعات وظلت خراباً من عهد جنكيزخان إلى عهد تيمور. [3]

الا ان بارتولد يقول: "يغلب على الظن ان المدينة قد خربت خلال الاضطرابات التي وقعت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر لكن الرواية الشعبية نسبت تخريبها خطأً إلى جنكيز خان"[4].

وبعد بناكت توجهت هذه القوات بالإضافة إلى قوات أخرى جاءتهم إلى مدينة خجند التي اقامت لها حصنا في مكان يتفرع عنده سيحون إلى فرعين وأبدى هذا الحصن مقاومة كبيرة وفائقة لموقعه الطبيعي من جهة ولشجاعة قائده ((تيمور ملك)) من جهة أخرى الذي يقول عنه احد المؤرخين بان رستم لو كان حيا لحمل له سيفه فقد كان رجلا جريئا مقداما استمر يحمل علم الكفاح ضد المغول مدة طويلة رأى هذا القائد ان يترك المدينة لأنها مكشوفة لجنود الأعداء ويصعب الدفاع عنها وفضل ان يلجا مع فرقته إلى جزيرة نائية وظل يحارب المغول بشجاعة وبسالة منقطعة النظير، وقد حاول المغول الوصول اليه بشتى الوسائل لكن ((تيمور ملك)) افسد خططهم وانزل ضربات شديدة بجنود أعدائه[5]. كما قام ببناء أثنى عشر سفينة غطاها باللباد المبلل بنوع من الغراء مصنوع من الخل والجير فاتخذها كوقاء من نيران العدو وبذلك استطاع ((تيمور ملك)) ان يضطلع بالدفاع مدة طويلة. [6] ولكن عندما وجد المغول يحاصرونه من كل ناحية ولا يوجد سبيل لمقاومتهم حمل أمتعته وعتاده وجنوده في سبعين سفينة كانت معدة من قبل إذا ما تأزمت الأمور فسار إلى خوارزم من ثم هرب إلى خراسان حيث انضم إلى قوات السلطان. [7]

---

(1) القرماني، اخبار الدول واثار الاول، ص285.
(2) الجويني، جها نكشاي، جـ1، ص45-46.
(3) الجويني، جها نكشاي، جـ1، ص47-49.
(4) تركستان، ص592.
(5) الجويني، جها نكشاي، جـ1، ص47-49..
(6) فامبري، تاريخ بخارى، ص167-168.
(7) الجويني، جها نكشاي، جـ1، ص 47-49.

ينكر بارتولد على ((تيمور ملك)) أعماله البطولية وشجاعته من خلال قوله (حيث يبدو من المؤكد انه قص أعماله الباهرة وعمل على تخليد ذكراها ولم يحتج الأمر بطبيعية الحال الا إلى بعض الخيال لبلوغ هذا الهدف) ويقول أيضا (يجب ان نضيف هنا ان المبالغة وجدت بلا شك طريقها إليها اما على لسانهم أو على لسان الغير).[1]

الاستيلاء على بخارى*

في اوائل محرم من سنة سبع عشر وستمائة نزل جنكيز خان في عساكره على مدينة بخارى[2] بعد خمسة اشهر من وصول خوارزمشاه فحاصرها وقاتلها ثلاثة أيام متتابعة ولم يكن لعسكر خوارزمشاه قوة لمقاومة جنكيز خان ففر خوارزمشاه بعساكره من بخارى ثم سار إلى خرسان[3] فارسل اهل بخارى احد شيوخهم إلى المغول ليطلب الأمان للناس فأعطوهم الأمان وكان قد بقى من عسكر خوارزم طائفة لم يمكنهم الهرب مع أصحابهم فاعتصموا بالقلعة فلما أجابهم جنكيز خان إلى الأمان فتحت أبواب المدينة فدخل المغول بخارى ولم يتعرضوا إلى احد بل قالوا لهم كل ما هو للسلطان عندكم من ذخيرة وغيرها أخرجوه إلينا وساعدونا على قتال من بالقلعة واظهروا عندهم العدل وحسن السيرة ودخل جنكيزخان بنفسه واحاط بالقلعة ونادى في البلدان ان لا يتخلف احد ومن تخلف قتل فحضروا جميعهم فأمرهم بطم الخندق فطموه بالأخشاب والتراب حتى ان المغول كانوا يأخذون المنابر وربعات القران ويلقونها في الخندق ثم تابعوا الزحف إلى القلعة وبها نحو أربعمائة من المسلمين فبذلوا جهدهم ومنعوا القلعة اثني عشر يوما يقاتلون جمع المغول وأهل البلد ولم يزالوا كذلك حتى زحفوا اليهم ووصل الباقون إلى سور القلعة فنقبوه واشتد حينئذ القتال ومن بها من المسلمين يرمون بكل ما يجدون من حجارة ونار وسهام فغضب جنكيز خان[4] فقهر المغول المسلمين ودخلوا القلعة وقتلوا جميع من فيها[5] فلما فرغ من أمر القلعة أمر ان تكتب اسماء رؤساء البلد ففعلوا ذلك فلما عرضت أسماؤهم عليه أمرهم بإحضارهم فحضروا فقال أريد منكم الأموال التي باعكم خوارزمشاه التي كانت مع التجار الذين قتلهم خوارزمشاه في ابتداء الأمر كما تقدم ذكرهم وقال لهم أنها لي ومن أصحابي أخذت وهي عندكم وتنفيذاً لأوامر احد القادة المغولين أخلى الأهالي المدينة ثم سلمت منازلهم للنهب ثم فرض

---

(1) تركستان، ص594.

* بخارى، وهي من اعظم مدن ما وراء النهر كانت قاعدة الملك السامانية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ1، 353.

(2) الجويني، جها نكشاي، جـ1، ص53؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج5، جـ1، ص212.

(3) النسوي، سيرة جلال الدين منكبرتي، ص100؛ الدواداري، كنز الدرر، جـ7، ص241؛ الغساني، العسجد المسبوك، جـ2، ص372.

(4) ابن الاثير، الكامل، جـ9، ص332؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ص 42؛ اقبال تاريخ مفصل ايران، جـ1، ص28.

(5) ابن خلدون، العبر، مج5، جـ5، ص219.

جنكيز خان على الأهالي مبلغ ألف وخمسمائة دينار يقول بارتولد ان نهب ممتلكات الأهالي رواية غير مؤكدة فلو كانت فعلا نهبت أموالهم وممتلكاتهم فما كان باستطاعتهم دفع الضريبة التي فرضها جنكيز خان عليهم[1].

وبعد الخروج من بلدهم وليس لأحد شيء سوى ثيابه ثم أضرم النار بأبنية المدينة التي كان اغلبها من الخشب فاحترقت بأسرها ولم يسلم من الحريق الا المسجد الجامع وبعض القصور المبنية بالآجر. [2]

ينفي بارتولد تهمة حرق بخارى عن جنكيز خان من خلال قوله:((من العسير إيجاد سبب لافتراض ان حريق المدينة كان من بين مخططات جنكيز خان ذلك انه لم يكن من السهل تجنب الحريق إثناء نهب مدينة كبخارى كانت الحرائق الكبرى امراً معهودا فيها بسبب كثافة البناء وتقارب المنازل)). [3]

لقد لفت نظر جنكيز خان المسجد الجامع وظنه اول الامر قصر السلطان فوقف على باب المسجد الجامع فقال: أهذا دار السلطان؟ فقالوا لا بل (خان يزدان) أي بيت الله فنزل ودخل الجامع وصعد المنبر فخطب فيهم خطبة واصفا فيها نفسه غضب الله الذي سلطه على البشر لسوء افعالهم وقال لاكابر بخارى: ان الصحراء خالية من العلف فانتم اشبعوا الخيل مما عندكم في المخازن ففتحوها وصاروا ينقلون ما فيها من الغلات[4]

يقول بارتولد: ان رواية الجويني في صعود جنكيز خان إلى المنبر وخطبته بعيدة جدا عن التصديق فلو ان هذا حدث فعلاً لسمع بها ابن الأثير واوردها في تاريخه الذي ضمنه اخبار المغول الاولى على البلاد الإسلامية. [5]

اما عن الاساليب والانتهاكات التي قام بها المغول في بخارى فعند دخولهم للمسجد الجامع رموا ما في الصناديق من كتب وجعلوها اواري للخيل. كما مزقوا المصاحف واتخذوا من اوراقها فرشا لدوابهم. وسيق كبار الشيوخ والعلماء البارزين ليقوموا بخدمة الجند في مجالس الشراب او ليؤدوا لهم رقصات على الالات الموسيقية والبعض من هؤلاء الفقهاء أخذ ليصبح سائس للبغال. [6]

ويقول القرماني ان جنكيز خان عندما علم ان هذا ليس بيت السلطان بل هو بيت الرحمن قال من الأولى ان نقيم افراحنا في بيت من خلق ارواحنا ورزق اشباحنا فدخل هو وجماعته ثم استدعى بالخمور والطبول والزمور ثم ادخلو الخيل والحمير والبغال الى الجامع وطلبوا لها مرابط و مواضع واصبحت المصاحف المكرمة تحت حوافر

---

(1) تركستان، ص582.

(2) الذهبي، تاريخ الاسلام، ص42؛ دحلان، الفتوحات الاسلامية، جـ2، ص28.

(3) تركستان، ص585.

(4) الجويني، جها نكشاي، جـ1، ص54؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص407-408.

(5) تركستان، ص 584.

(6) الجويني، جها نكشاي، جـ1، ص54؛ ارنولد، الدعوة الى الاسلام،ص249؛ دحلان، الفتوحات الاسلامية، جـ2، ص28.

الخيول ومواطئ اقدامهم. [1] يقول لامب انهم تفننوا بمختلف انواع الفنون في القضاء على بني الانسان فان صيد البشر يضاهي مظاهر صيد الحيوانات ففي احد المرات اجبروا اسيرا ان يؤذن من منارة المسجد داعياً الناس الى الصلاة فلبى المسلمون الذين كانوا قد اختبئوا في مخابئهم وخرجوا للصلاة اعتقاداً منهم ان المغول قد رحلوا ولكنهم وقعوا في المصيدة ولقوا حتفهم. [2] يقول فامبري ان ما وصل الينا من تدوين المؤرخين بهذا الشأن قد يكون هناك بعض المبالغة في وصف ما عمد اليه المغول من امتهان شعور قوم بخارى الديني، [3] لا نعرف لماذا يستغرب فامبري افعال المغول هذه وهم اقوام همجية بربرية غير متحضرة خصوصاً انها جاءت الى هذه المدن بدافع الانتقام بالاضافة الى السلب والنهب ويصف لنا ابن الاثير فاجعة اهل بخارى بقوله ((كان يوماً عظيماً من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان وتفرقوا ايدي سبأ وتمزقوا كل ممزق واقتسموا النساء ايضاً واصبحت بخارى خاوية على عروشها كأن لم تغني بالامس...)) [4].

الاستيلاء على سمرقند

وجاء الدور بعد بخارى على سمرقند[5] اكبر مدن بلاد ما وراء النهر واعظمها في عهد الخوارزميين وحاضرة بلاد ما وراء النهر وكان امير خوارزم قد ترك عليها قبل ان يفر منها حامية قوامها عشرة ومائة مع عشرين من الفيلة وكان جنكيز خان يعلم هذه التفصيلات بدقة لأنه هدفه هو الاستيلاء على حاضرة عدوه السابقة لذلك رتب خطته على ان تلتقي كل قواته المتفرقة فتتجمع عند سمرقند فعمل على اخضاع المناطق المحيطة اولاً ليعزل بذلك خصومه الاقوياء فيها ويضعفهم من ثم يتفرغ لسمرقند ولقد لاقت خطته كل النجاح[6] واستصحبوا معهم من سلم من اهل بخارى اسارى فساروا بهم مشاة على اقبح صورة فكل من اعيا وعجز عن المشي قتل فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجالة والاسارى وتقدموا شيئا فشيئا ليكون ارعب لقلوب المسلمين فلما رأى اهل البلد سوادهم استعظموه فلما كان اليوم الثاني وصل الاسارى والرجالة والاثقال ومع كل عشرة من الاسارى علم فظن اهل البلد ان الجميع عساكر مقاتلة واحاطوا بالبلد وفيه خمسون الف مقاتل من الخوارزمية واما عامة البلد فلا يحصون كثرة فخرج اليهم شجعان اهله واهل الجلدة والقوة رجالة ولم يخرج معهم من العسكر الخوارزمي احد لما في قلوبهم من خوف من المغول فقاتلهم الرجالة بظاهر البلد يتبعوهم ويطمعون فيهم وكان المغول قد كمنوا لهم كميناً فلما جاوزوا الكمين

---

(1) اخبار الدول واثار الاول، ص 285-286؛ ارنولد، الدعوة الى الاسلام، ص249.
(2) جنكيز خان، ص134.
(3) تاريخ بخارى، ص171.
(4) الكامل، جـ9، ص333.
(5) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، مج1، ص301؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج5، جـ1، ص 212.
(6) الجويني، جها نكشاي، جـ1، ص61-62؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص 172.

خرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد ورجع الباقون الذين انشبوا القتال اولاً فبقوا في الوسط[1] واخذهم السيف من كل جانب فلم يسلم منهم احد قتلوا عن اخرهم وكانوا سبعين الفا فلما رأى الباقون من الجند والعامة ضعفت نفوسهم وايقنوا بالهلاك. فوقع الخلاف بين اكابرهم واختلفت الاراء فالبعض مال الى المصالحة والتسليم والبعض الاخر لم يأمن على نفسه وان أومن خوفاً من غدر التاتار فخرج احد القضاة واحد شيوخ الاسلام الى خدمة جنكيز خان وطلبا لهما ولاهل المدينة فلم يجبهما الا الى امان انفسهما ومن يلوذ بهما، فدخلا المدينة. [2]

ذكر بارتولد ان رجال الدين بسمرقند بعكس نظرائهم ببخارى لم يبدوا مقاومة ضد المغول وأنهم تمتعوا منذ البداية باحترام الغزاة. [3]

خرج اهالي سمرقند الى المغول بأهلهم واموالهم فقال لهم المغول ادفعوا الينا سلاحكم واموالكم ودوابكم ونحن نسيركم الى مأمنكم ففعلوا ذلك فلما اخذوا اسلحتهم ودوابهم وضعوا السيف فيهم وقتلوهم عن اخرهم واخذوا اموالهم ودوابهم ونسائهم فلما كان اليوم الرابع نادوا في البلدان فخرج اهلها جميعا ومن تأخر قتلوه فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان. [4] ففعلوا مع اهل سمرقند كما فعلوا بأهل بخارى من النهب والقتل والسبي والفساد ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه واحرقوا الجامع وتركوا باقي البلد على حاله وعذبوا الناس بأنواع العذاب. [5] اما الباقون منهم فقد اذن لهم بالرجوع الى المدينة بعد دفع فدية مقدارها مائتا الف دينارا (ايعني هذا ان ما تبقى من ممتلكاتهم قد رد اليهم؟) ولم يبقى في سمرقند اكثر من ربع سكانها الذين كانوا في ما مضى. [6]

وكان خوارزمشاه بموقعه كلما اجتمع اليه عسكر سيره الى سمرقند فيرجعون ولا يقدرون على الوصول اليها. [7]

وبعد سقوط مدينة سمرقند وهروب خوارزمشاه من وجه القوات المغولية اصبحت اراضي الخوارزمية مفتوحة على مصراعيها دون حام ضد قوات جنكيزخان التي اصبحت حرة تسير عبرها طولاً وعرضاً دون ان تجد معارضاً لها لذلك فلا عجب ان نجد المدن والمقاطعات تسقط واحدة تلو الاخرى في ايدي القوات المغولية الزاحفة. وما ان قارب فصل الربيع ذلك العام حتى اكمل المغول سيطرتهم لجميع اراضي السلطان محمد. [8]

---

(1) ابن الاثير، الكامل، جـ9، ص333؛ دحلان، الفتوحات الاسلامية، جـ2، ص28-29.
(2) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص408-409؛ الدوداري، كنز الدرر، جـ7، ص242.
(3) تركستان، ص587.
(4) الذهبي، تاريخ الاسلام، ص43.
(5) الدويداري، كنز الدرر، جـ7، ص242؛ الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، جـ2، ص373.
(6) بارتولد، تركستان، ص589.
(7) الدوداري، م، ن، جـ7، ص242.
(8) الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص123.

الاستيلاء على اقليم خوارزم

كان اقليم خوارزم خاضعاً لسيطرة "تركان خاتون" والدة السلطان والتي كانت على خلاف مع ابنها السلطان وحاول جنكيز خان ان يستغل فرصة الشقاق بينهما وان يستميلها الى جانبه فدعاها الى الاستسلام واوضح لها انه في حرب ضد ابنها فقط وليس لديه نية سوء تجاهها وطلب منها ان ترسل احد معاونيها لتسليمه فرمان توليها حكومة خوارزم وخراسان وملحقاتها الا ان ((تركان خاتون)) لم تثق بوعود جنكيز خان وغادرت اقليم خوارزم مصطحبة معها نساء السلطان وابنائه حيث توجهت الى مازندران،* وتحصنت باحد القلاع لكن المغول سرعان ما حاصروا تلك القلعة واستمر الحصار ثلاثة اشهر الى ان نفذ الماء عند المحاصرين فاستسلمت ((تركان خاتون)) حيث بقيت اسيرة عند المغول الا ان ماتت سنة 630هـ اما ابناء السلطان فقد تخلص منهم جنكيز خان على الرغم من صغر سنهم[1] ثم امر جنكيز خان ابنيه (جغتاي واوكتاي) بالتوجه الى جرجانية** ثم انضم اليهم توشي حيث حاصروا المدينة وصاروا يعملون فيهم سيوفهم وفي اليوم التالي طلب المغول منهم الاستسلام الا ان الخوارزميون كانوا عازميين على المقاومة لذلك اعدوا المجانيق وصاروا يمطرون اهالي المدينة بوابل من الحجارة والاخشاب في اثناء ذلك ارسل السلطان قبل وفاته الى سكان هذه المدينة يدعوهم الى مسالمة المغول وعدم مقاومتهم حقناً للدماء لذلك استسلم قائدها.[2] الا ان الاهالي استمروا بالقتال الى ان فتحت المدينة عنوة بعد حصار دام خمسة اشهر ثم قام المغول بتوزيع السبايا على الجنود فخص كل جندي اربعة وعشرين شخصا، ثم قاموا بفتح الماء على المدينة فغرقت جميعها وتهدمت الابنية فمن لم يمت بسيفهم مات بالغرق او قتله الهدم.[3]

يقول بارتولد لقد بقيت بالمدينة عمارتان وازاء هذا فانه يصبح من العسير القول بأن المغول قد اغرقوا المدينة قصداً غير انه لا ريب فيه ان ما حدث على ايديهم من تخريب وتقتيل هو السبب في تدهور السدود خاصة تلك التي تحتاج الى صيانة في كل عام مثل سد العاصمة. [4]

نهاية السلطان محمد خوارزمشاه

---

* مازندران: اسم لولاية طربستان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ5، ص41.

(1) النسوي، سيرة جلال الدين، ص99.

** الجرجانية: ويطلق عليها كركانج ايضا وهي عاصمة اقليم خوارزم، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ2، ص395.

(2) الجويني، جهانكشاي، جـ1، ص64-68؛ النسوي، سيرة جلال الدين، ص170.

(3) ابن الاثير، الكامل، جـ9، ص334.

(4) تركستان، ص615.

كان هدف جنكيز خان الاساسي هو تعقب السلطان محمد خوارزمشاه والقضاء عليه[1] لذلك عهد الى جيش تعداده ثلاثين الف جندي لهذه المهمة وفي شهر ربيع الاول عام 617هـ /1220م عبرت جيوش المغول نهر جيحون لتعقب السلطان الذي اتخذ قرارا مع نفسه ان لا يدخل مع المغول في معركة لذلك نجده يلوذ بالفرار من منطقة الى اخرى فقد قصد نيسابور*. [2] في حين يذكر النسوي انه لم يفر لكنه انسحب الى هناك لاستجماع قواه[3]. الا ان بارتولد يقول ان السلطان قرر الفرار خوفا من المغول وليس كما يقول النسوي انه انسحب الى تلك البلاد ليجمع جيشا هناك وان قرار هروبه هو امر طبيعي. كما وقد عاب بارتولد على الجويني قوله ان جلال الدين حاول اقناع والده بالعدول عن هذا القرار الذي ينطوي على الجبن او على الاقل ترك القيادة له. ثم يضيف بارتولد لم يكن لأحد ان يحول بين جلال الدين وبين اقطاعه بغزنة وتنظيم المقاومة هناك، انه وقع فريسة لنفس الذعر الذي تملك والده من المغول. [4]

عندما علم محمد خوارزمشاه ان المغول تتعقبه تركها. حيث ذكر انه بقى فيها لمدة شهر[5] ورواية اخرى تقول ساعة واحدة فقط. [6] يتعارض بارتولد مع الرواية الاولى التي تقول ان مدة بقاء السلطان شهر ويؤيد الرواية الثانية التي تقول انه بقى ساعة واحدة لخوفه من المغول. [7] ونحن نؤيد ما اكده بارتولد لشدة ذعر السلطان من القوات المغولية بعد خروجه من نيسابور اتجه نحو العراق ثم غادرها وتوجه الى الري* التي تركها هي الاخرى حيث وقعت فيما بعد بيد المغول وكان لسقوط الري وقع اليم في نفوس الخوارزميين فقد ايقن الامراء وقواد الجيوش انه لا فائدة من الدفاع لذلك تفرقت بقايا الجيش الخوارزمي فكر السلطان في الهرب الى بغداد ثم عدل عن فكرته واختار الالتجاء الى مازندران[8] فكان مختفياً في احد القرى ثم لحق به المغول الى مازندران. فركب سفينة وهرب وكان بالسلطان علة من ذات الجنب حيث ايس من الحياة وفي

---

(1) ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، جـ5، ص950؛ خواند مير، تاريخ حبيب السير،مج3، جـ1، ص17.

* نيسابور: مدينة عظيمة، كانت منبع العلماء فتحت أيام الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ5، ص 331.

(2) ابن الاثير، الكامل، جـ9، ص333-335؛ دحلان، الفتوحات الاسلامية، جـ2، ص30-31؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص385.

(3) سيرة جلال الدين منكبرتي، ص104.

(4) تركستان، ص596.

(5) النسوي، سيرة جلال الدين، ص104.

(6) الجويني، جهانكشاي. جـ2، ص77.

(7) تركستان، 598.

* الري: مدينة مشهورة من امهات البلاد واعلام المدن، كثيرة الخيرات، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ2، ص116-122؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، جـ2، ص651.

(8) ابن الاثير، الكامل، جـ9، ص95؛ دحلان، الفتوحات الاسلامية، جـ2، ص30-31.

احدى جزر مازندران اشتد عليه المرض واحس بدنوا اجله وبلغه ان والدته قد وقعت في الاسر. فاستدعى ابنه الاكبر "جلال الدين منكبرتي"[1] وابنيه الاخرين وهم (ازلاغ شاه، وواق شاه) حين اعلن عن خلع ولده (قطب الدين ازلاغ شاه) من ولاية العهد والبيعة بها لابنه جلال الدين حيث وجد فيه الشخص الوحيد الذي يستطيع مقاومة المغول واستعادة املاك الدولة الخوارزمية وقال: هاآنذا موليه العهد فعليكما بطاعته. [2] وفي اثناء ذلك وصلت انباء استيلاء المغول على القلعة التي في مازندران والتي كان يحمي بها نسائه وابنائه وان اولاده الصغار قد قتلوا ووقع نسائه واولاده في الاسر فلم يتحمل وقع هذه المصائب فمات سنة 617 هـ /11 كانون الثاني 1220م[3] ولم يجد اتباعه كفنا يكفنوه به حيث صنعو له كفنا من قميص واحد منهم. [4]

يقول بارتولد: هكذا كانت خاتمة ذلك الملك الذي وحد تحت سلطانه معظم البلاد. غير ان دوره في مواجهة المغول كان من الضعف والتخاذل بحيث ان المغول انفسهم نسوه تماما بل ان الرواية المغولية للقرن الثالث عشر لاتذكر اسمه انما تتحدث فقط عن جلال الدين مازجة الشخصيتين بشخص واحد. [5]

---

(1) ابن خلدون، العبر، مج5، جـ5، ص519.
(2) النسوي، جلال الدين، ص 120.
(3) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج5، جـ1، ص 213؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص385-386.
(4) النسوي، م، ن، ص108.
(5) تركستان، ص603.

جلال الدين منكبرتي* وحروبه مع المغول

في سنة 620هـ تولى جلال الدين منكبرتي مكان ابيه السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه وكان توليه بوصية من ابيه حيث توجه الى خوارزم فتباشر الناس بقدومه واجتمعت اليه العساكر الاسلامية فاصبح لديه (سبعة الاف فارس) فرحل الى خراسان مع ثلاثمائة فارس واقام بقية اصحابه بخوارزم ثم وصل اليهم خبر توجه المغول نحو خوارزم فهربوا على اثر جلال الدين الى خراسان، اما السلطان جلال الدين فوصل الى نيسابور وكان جنكيز خان لما بلغه ان جلال الدين سار مكان ابيه علاء الدين امر المغول ان يتفرقوا عليه في سائر الطرق فاشتبك جلال الدين في طريقه مع سبعمائة منهم فتقاتلوا فهزمهم جلال الدين ولم يسلم منهم احد وهذا كان اول سيف خضب بدمائهم بالنصر ثم ساق جلال الدين الى نيسابور وكتب الى العساكر المشتتة في الاطراف بسرعة للاجتماع والقدوم عليه واقام ينتظر الجيوش بنيسابور شهرا والعساكر ترد وتتواصل اولاً فاولاً فعلم جنكيز خان بذلك فعاجله قبل ان تتكامل جيوشه وادركته المغول فخرج من نيسابور بمن انظم اليه الى كرمان ثم الى غزنة حيث انظمت اليه عساكر (ملك خان) صاحب هراة** البالغ تعدادها عشرة الاف فارس[1] والتقى السلطان جلال الدين بالمغول الذين كانوا طالبين هراة وكان يتقدمهم (تولي خان) ابن جنكيز خان في عشرين الف من المغول فجرى بينهم من القتال ما يشيب له الاطفال ونصر الله تعالى جلال الدين وانهزم المغول وقتل تولي خان في هذه الوقعة. [2]

اما عن رد فعل جنكيزخان عندما بلغه نبأ قتل ولده تولي وكسر جيوشه رمى سراقوجه على الارض[3] وجمع سائر جيوشه وسار مجدا الى السند حتى وافى جلال الدين. [4] يقول بارتولد ان في هذه الحرب تعرض المغول الى اكبر انتكاسه الا ان المسلمين لم يستفادوا من ثمرة انتصارهم اكثر من ان صبّوا جام غضبهم على الاسرى المغول ويحكي النسوي في حماس قائلا ((كان الفراشون يحضرون الاسارى الذين يأسرونهم الى بين يديه فيدقون الاوتاد في آذانهم تشفيا منهم وجلال الدين يتفرج، ووجهه بالبشاشة يتبلج، فقد عذبوهم في الحياة الدنيا ولعذاب الله اشد وابقى)).[5]

---

* منكبرتي: اسم مكون من لفظين(مونكو) والتي تعني (ابدي) او (الهي) (برتي) تعني بالتركية (عطاء) أي يصبح معناه (عطاء الله)، انظر: حسين، اربيل في العهد الاتابكي، ص 168. وقيل ان معناه مبعوث السماء وفامبري يقول اخطأ المستشرقين في تسمية منكبرتي فقد ذكر ان معناه (افطس الانف)، انظر: تاريخ بخارى، ص177.

** هراة: مدينة عظيمة مشهورة من امهات مدن خراسان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ5، ص396.

(1) الدواداري، كنز الدرر، جـ7، ص257-258

(2) الذهبي، العبر، جـ3، ص176.

(3) الدواداري، م.ن. ، جـ7، ص258.

(4) الذهبي، دول الاسلام، ص91-92.

(5) تركستان، ص622.

" وبعد الانتصارات التي احرزها جلال الدين على المغول التقى بجنكيزخان على حافة السند وهنا حدث خلاف بين عساكر جلال الدين حول الغنائم فانسحب احد القادة والذي يعتبر من اشجعهم الى الهند فتبعه ثلاثون الفا من الجند فاستعطفه جلال الدين وسار اليه وذكره بالجهاد وخوفه من الله وبكى بين يديه فرفض فأنهزم المسلمون وضعفوا ثم ورد خبر وصول جنكيزخان وجيوشه فلما رأى جلال الدين ضعف المسلمين ولم يقدر على المقام سار نحو الهند فوصل الى احد انهار السند وهو نهر كبير فلم يجد ما يعبره وكان جنكيز خان يقتفي اثره فلم يتمكن من العبور حتى ادركه جنكيزخان فاضطر المسلمون على القتال[1] اذ هجم على قلب جنكيز خان وكادت تكون له النصرة لولا ظهور المغول حيث دار قتال فيما بينهم كسر جيش جلال الدين واسر ولده. [2] وقبل ان يغادر جنكيز خان ضفاف السند امر بقتل جميع الاسرى وذلك بعد ان فرغوا من جمع كميات الارز. الا ان بارتولد يشكك برواية قتل الاسرى من قبل جنكيزخان وذلك لانه كان مضطرا لحقن دماء الاسرى ان لم يكن ذلك لاسباب انسانية فعلى الاقل يفيد من مجهودهم وخصوصا انهم كانوا بحاجة ماسة اليهم[3] وهنا نجد بارتولد يعود مرة اخرى لينبري مدافعا عن المغول وهذا الامر ناتج عن انحيازه الواضح وموقفه المدافع والمبرر لكل الافعال الشنيعة التي ارتكبوها.

القضاء على جلال الدين ونهاية الدولة الخوارزمية

عندما شعر جلال الدين بالخطر الداهم الذي يتهدد العالم الاسلامي من جديد على يد المغول اخذ يدعوا امراء المسلمين الى التحالف معه للوقوف صفا واحدا في وجه هؤلاء الاعداء واصفا لهم قوة جيش المغول بقوله: ((ان جيشا جرارا من عساكر المغول كانه النمل والثعابين من حيث الكثرة القوة. وقد تحرك نحونا. فاذا ترك وشانه فسوف لا تصمد امامه القلاع والامصار وقد تمكن الرعب من قلوب الناس في هذه المنطقة. فاذا هزمت وخلى مكاني من بينكم فلن تستطيعوا مقاومة هذا العدو. فانا لكم بمثابة سد الاسكندر فليسارع كل منكم الى امدادنا بفوج من الجنود حتى اذ ما وصلهم نبا اتفاقنا واتحادنا فترت قوتهم. وفت في عضدهم، فيتشجع جنودنا وتقوى قلوبهم)) [4]

وبالرغم من مبالغته في كثرة قوة المغول لتحفيزهم للانضمام اليه الا انه لم يلقى استجابة من احد وهذا ما اكد ابن الاثير بقوله: فما نرى في ملوك الاسلام من له رغبة في الجهاد ولا في نصرة الدين بل كل منهم مقبل على لهوه ولعبه وظلم رعيته وهذا اخوف عندي من العدو. [5] وعندما شعر جلال الدين انه يقف وحده في وجه المغول

---

(1) ابن لاثير، الكامل، جـ9، ص344، دحلان، الفتوحات الاسلامية، جـ2، ص50، بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص386.
(2) الدواداري، كنز الدرر، جـ7، ص259.
(3) تركستان، ص635.
(4) الجويني، جهانكشاي، جـ2، ص138.
(5) الكامل، جـ9، ص384.

اصبح يلوذ بالفرار من مكان الى اخر فمن اذربيجان* الى مدينة خلاط** فبلغه ان المغول يطلبونه وهم يجدون في اثره فسار الى امد*** وجعل اليزك في عدة مواضع خوفا من البيات فجاءت طائفة من المغول يقصدون اثره وهزموه هزيمة منكرة وقتلوا عدد من الخوارزمين وتفرق الباقون وكان السلطان نفسه ضمن من لاذوا بالفرار وتعقبه مجموعة من فرسان المغول فقتل منهم اثنان واما الباقون فرجعوا من حيث اتوا لعدم استطاعتهم اللحاق به. (1)

وفي اثناء فراره من المغول وصل الى قرية يقال لها (عين دار) وهي احدى قرى ميافارقين****. ثم احتمى بجبال كردستان حيث قام مجموعة من الاكراد في تفتيشه لانه غريب هموا بقتله فهمس في اذن كبيرهم: انني انا السلطان فلا تستعجل في امري وهناك طلب منه جلال الدين ان يعاونه على العودة الى بلاده في اثناء غيابه. قدم شخص كردي من المتهورين بيده حربه وعندما عرف الكردي انه هو السلطان وكان السلطان قد قتل اخٍ له فضربه بالحربه. (2) وهناك رواية اخرى في طريقة قتله فقد قيل انه في اثناء فرارِه رأه فلاح راكباً على سرج مرصع بالياقوت وعلى لجام فرسه الجواهر فطمع الى ما كان معه فأنزله فاطعمه فلما نام ضربه بفاس فقتله وأخذ ما معه فبلغ ذلك صاحب ميافارقين فأحضر الفلاح وعاقبه. (3)

وكانت وفاته في شوال سنة 628هـ، (4) 15 اغسطس 1230م. وهكذا كانت نهاية السلطان جلال الدين منكبرتي اخر ملوك الدولة الخوارزمية. وبعد مقتله بعدة سنين ظل الناس في شك من حقيقة موته اذ كانوا يظنونه حياً وهذا ما اكده ابن الاثير بقوله: خرجت هذه السنة (أي سنة 628هـ) ولم نتحقق لجلال الدين خبراً ولا نعلم هل قتل او اختفى لم يظهر نفسه خوفاً من التتر او فارق البلاد الى غيرها والله اعلم. وفي قول اخر له ذكر: (واما جلال الدين فالى آخر سنة ستمائة وثمان وعشرون لم يظهر له خبر، ذلك الى سلخ صفر سنة تسع لم نقف له على حال). (5)

---

* اذربيجان: وتقع في الاقليم الخامس من اشهر مدنها تبريز وهي بلاد فتنة وحروب، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ1، ص128-129.

** خلاط: وهي قصبة ارمينة الوسطى فيها بحيرة تعتبر من عجائب الدنيا، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ2، ص381.

*** امد: وهي من اعظم مدن ديار بكر حصينة مبنية بالحجارة من بلاد الجزيرة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ1، ص207؛ القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص491.

(1) الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص172.

**** ميافارقين: وهي اشهر مدينة بديار بكر في الاقليم الخامس، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ5، ص235-236.

(2) النسوي، سيرة جلال الدين منكبرتي، ص382؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ص46؛ دحلان، الفتوحات الاسلامية، جـ2، ص55؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص387.

(3) ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج3، جـ5، ص130-131.

(4) دحلان، الفتوحات الاسلامية، جـ2، ص55.

(5) الكامل، جـ9، ص386-387.

ويذكر لنا بارتولد اسباب انهيار الدولة الخوارزمية وذلك بقوله: "والسهولة التي استطاع بها المغول ان يضعوا يدهم على مملكة شاهات خوارزم[1] يمكن ارجاءها الى تدهور الاحوال الداخلية في تلك الدولة من جهة والى تفوق النظام العسكري للقوات المغولية من جهة اخرى والمقاتلون المغول الذين تم تدريبهم تدريبا صارما لم يكونوا ليبحثوا عن فرصة التفوق الشخصي على الاقران في ساحة القتال انما كانوا ينفذون في دقة ارادة ملكهم او القادة الذين عينهم ولم يكن القادة انفسهم سوى منفذين طائعين وقديرين لارادة جنكيز خان الذي كان يفرد وحدات من جيشه او يجمعها من جديد حسب ما تقتضي به الحاجة والذي كان يتخذ القرارت الحاسمة لتدارك نتائج أي فشل قد يعرض لجيشه وعلى النقيض من هذا كان قادة المسلمين، خاصة جلال الدين خوارزمشاه فبالرغم من انهم اتوا بالخوارق من ضروب الشجاعة في قلة من الرجال الا انهم قد عجزوا تماماً عن ان ينظموا الجيوش الكبيرة او ان يكبحوا جماح العصبية بين افراد جيشهم الذي كان يتالف من امشاج قوميات شتى،[2] وهناك سببا مضافاً لهزيمة خوارزمشاه يتمثل السبب بخيانة المرتزقة الاتراك له.[3]

اراء المؤرخين بجلال الدين منكبرتي

تباينت اراء المؤرخين حول جلال الدين وسياسته والفرق بينه وبين ابيه فمنهم من اثنى على شجاعته وانتصاره على المغول في بعض الاحيان فقيل عنه انه كان محاربا من الطراز الاول ذا عزم وضاء ولكنه على الرغم من هذا ينقصه التدبير والتنظيم ولم يحاول طوال مدة حكمه ان يهتم بأدارة شؤون الدولة. كما كان غافلا عن الوسائل اللازمة لاعداد الجنود وتنظيم الجيوش، كذلك لم يعمل على التقرب الى رعاياه ولم يبذل جهدا في سبيل كسب صداقه جيرانه من حكام المسلمين، وانما كان يحكم السيف دائما في تصريف الامور، وكان كل همه مصروفا الى الكر والفر والفتح والغزو، وفي سبيل هذا الهدف عمد الى تسخير كل موارد الدولة واهمل الاصلاح الداخلي حتى حل وقت عجز فيه عن دفع رواتب جنده مما كان له اسوأ الاثر في تهديدهم له في كثير من المناسبات واقدامهم على تخريب المدن المفتوحة ونهبها ليغتصبوا منها ما يعوضهم عن رواتبهم المتاخرة ولم يعبأ جلال الدين بما يترتب على هذه السياسة الحمقاء من كراهية الاهالي لحكمه وبغضهم للخوارزميين، واذا كان المغول الوثنين قد اقدموا على ارتكاب هذه الشناعات فأنه لايجوز ان يقدم عليها سلطان مسلم في بلاد اسلامية مع شعوب اسلامية. [4]

---

(1) تركستان، ص746.
(2) بارتولد، تركستان، ص746.
(3) النبراوي، العلاقات السياسية، ص268.
(4) الصياد المغول في التاريخ، جـ1، ص174.

اما من ابرز المتحاملين عليه فكان ابن الاثير خلال قوله كان جلال الدين سئ السيرة قبيح التدبير لملكه لم يترك احداً من الملوك المجاورين له الا عاداه ونازعه الملك واساء مجاورته... وانه ملئ خوفاً ورعباً من التتر... اظهر من قلة عقل جلال الدين ما لم يسمع بمثله فقد كان له خادم يهواه حد الجنون فمات فاظهر من الهلع والجزع مالم يسمع بمثله ولا لمجنون ليلى فكان يلطم ويبكي فأمتنع من الاكل والشراب وكل من لم يظهر الحزن والبكاء مهدد بعقوبة[1] اما النسوي كاتبه المعروف فقد قال عنه مادحاً اياه: ((كان اسدا ضرغاماً اشجع فرسانه اقداماً وكان حليماً لا غضوبا ولا شتاماً وقوراً لا يضحك الا تبسماً ولا يكثر كلاماً وكان يحب العدل غير انه صادف ايام الفتنة فغلب)).[2]

اما المصادر الفارسية فقالت عنه: انه عاكف دوماً على الشراب واللهو والطرب حتى في الظروف العصيبة التي تتطلب منه مزيداً من اليقضة والتنبيه باعتباره قائدا وموجهاً كان ينبغي ان يكون قدوة حسنة لجنوده ومرؤسيه اذ ان سلوكه المعيب جعل اتباعه يسيرون على منواله ويصيرون على شاكلته انصرافاً الى اللهو والشراب وغفلة عن الاهتمام بشؤون الدفاع لمقاومة الاعداء. [3] لقد كانت تصدر عن جلال الدين افعال لا يمكن ان تكون من شخص متمتع بكامل قواه العقلية. [4] اما بارتولد فقد اتهمه بالجبن والخوف من المغول مثل ابيه حيث قال: انه وقع فريسة لذات الذعر الذي تملكه من المغول. [5] ان جلال الدين كان يعوزه التنظيم الدقيق الشامل في جميع المعارك التي خاضها. ولكنه على ايه حال خير من دافع عن حياض الاسلام في وجه المغول.

---

(1) الكامل، جـ9، ص383.
(2) سيرة جلال الدين منكبرتي، ص109.
(3) الجويني، جهانكشاي، جـ2، ص177.
(4) اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ1، ص140-141.
(5) تركستان، ص596.

هولاكو والقضاء على الاسماعيلية*(654-473هـ)

على الرغم من تعاون الاسماعيلية مع المغول في اضعاف السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد خوارزمشاه الا ان خاتمة حكم الاسماعيلية كانت على يد المغول.(1)

ففي اول الامر حدث ان جماعة من المتظلمين في بلاد الاسماعيلية قد قابلوا امبرطور المغول منكو قان(2) وقيل ان هؤلاء المتظلمين هم من اهل قزوين قدموا ليشكوا ما نزل بهم من ضرر الاسماعيلية وفسادهم فجهز اخاه لقتالهم واستئصال قلاعهم**. (3)

ابتدأ هولاكو طبقا للبرنامج الذي وضع خطوطه منكو بمهاجمة الاسماعيلية في قلاعهم حيث ادرك المغول ان طائفة الاسماعيلية ستكون شوكة في ظهورهم تحول دون تحقيق اطماعهم في السيطرة على المشرق الاسلامي لذلك امر بتخريب قلاعهم.(4)

سار هولاكو للقضاء على الاسماعيلية فلما صار وجهاً لوجه امام تلك القلاع المنيعة الجبارة اخذ هو وقواده يعملون على تخريبها وتحطيمها فاستطاعوا بعد ان تغلبوا على اكثرها ولم يستصعب عليه اول الامر الا قلعتا ميمون والموت عاصمتهم اذ طال حصارهم لهاتين القلعتين واخيراً وجد ركن الدين خور شاه* ان الامر قد خرج من يده ولم تعد له طاقه على المقاومة كما ان اليأس قد تطرق الى نفوس رجاله

---

* الاسماعيلية: اطلق عليها هذا الاسم لان اتباعها كانوا ينادون بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق وعرفوا ايضا بالباطنية لانهم يبطنون خلاف ما يظهرون كما انهم اشتهروا باسم الملاحدة لأنهم غيروا وبدلوا بعض اركان الدين وكذلك اطلق عليهم تسمية الحشاشين لانهم يستعينون بالحشيش للترويج عن مذهبهم، الشهرستاني، الملل والنحل، جـ1، ص333-344؛ الجويني، جهانكشاي، جـ3، ص54-58؛ القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص301-302؛ ابو الفدا، عماد الدين اسماعيل، ت:732هـ/1332م، المختصر في اخبار البشر، تح اديب عارف الدين (دار البحار، بيروت- 1381هـ/1961م)، مج1، جـ4، ص 130،؛ للمزيد من المعلومات عن هذه الطائفة انظر: برنارد لويس، اصول الاسماعيلية، ترجمة، خليل احمد جلو وجاسم محمد الرجب، (دار الكتاب –مصر) مكتبة المثنى بغداد، ص83-166.

(1) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ1، ص315؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص470؛ القزاز، الحياة السياسية، ص63.

(2) رشيد الدين، جامع التواريخ، مج1، جـ2، ص233.

** قلاع الاسماعيلية: ويبلغ مجموعها حوالي الخمسين قلعة اشهرها قلعة (ألموت) عاصمتهم الرسمية و(ميمون دز) و(لنبة سر) و(كردكوة)، رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص237؛ القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص301-302؛ وبعض المصادر الحديثة تذكر ان عدد قلاعها هو مائة وخمس؛ الصياد، المغول في التاريخ، جـ1، ص237؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص262.

(3) ابن خلدون، العبر، مج5، جـ5، ص229؛ العريني، المغول، ص210.

(4) الجويني، جهانكشاي، جـ3، ص41-45؛ الصياد، مؤرخ المغول الكبير، ص29.

* ركن الدين خورشاه: وهو اخر حكام الطائفة الاسماعيلية اتهم بقتل والده علاء الدين لخلافه معه على مسألة الخضوع والمقاومة ضد المغول فقد كان والده يصر على المقاومة، انظر: عبد الوهاب القزويني (المحقق، تاريخ جهانكشاي، جـ3، ص96-99).

المحاصرين وفقدو الامل في الصمود فنزل من قلعة ميمون دز التي كان يقيم فيها وسلم نفسه الى هولاكو مظهر الطاعة والخضوع. [1]

وبذلك استطاع هولاكو من القضاء على الاسماعيلية سنة 654هـ بعد ان اوقع فيهم هزيمة نكراء راح ضحيتها اكثر سكان تلك القلاع ولم ينج منهم الا من هرب الى بلاد فارس. [2]

---

(1) الجويني، جها نكشاي، جـ3، ص96-99؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص313؛ الصياد، مؤرخ المغول الكبير، ص29؛ لمزيد من المعلومات حول سير الجيش والمعارك التي خاضها المغول، ينظر: رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص242-260؛ عجمي الجنابي، المقاومة العربية، ص 38-224.

(2) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص463-464؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1و ص242-260؛ ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، جـ20، ص131؛ الديار البكري، تاريخ الخميس، جـ2، ص376؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، جـ3، ص517.

هولاكو والقضاء على الخلافة العباسية

بعد القضاء على الاسماعيلية شرع هولاكو بتنفيذ القسم الثاني من حملته العسكرية والتي تستهدف الخلافة العباسية ولاهمية تلك الحملة حرص القاآن منكو ان تجري الاستعدادات لها على ادق واعلى المستويات العسكرية ولأنه كان يدرك ما سيعترض اخاه هولاكو من صعاب ومشاكل جمة لذلك عمل على توفير مستلزمات نجاحها التي كانت من صلاحياته وحده لذلك اخذ على عاتقه بموجب قواعد الياسا توفير كل ما يكفل للحملة من نجاح والتي من ابرزها ان يكون قوام الجيش ضخما فقد سيّر معه جيوش كبيرة وان يكون معه امراء منحدرين من نسل جنكيزخان فاختار منهم خمسة ليكونوا حرساً خاصاً لهولاكو فأن ما جرت عليه العادة في اية عملية عسكرية كبيرة تقوم بها الحكومة المغولية على كل امير يحكم اراضي اميرية مغولية بان يساهم في تلك الحملة برجلين من عشرة رجال يسكنون في مملكته فقد ساهم في هذه الحملة "باتو" الذي سمى صانع الملوك والذي يعتبر الرجل الأسن والمرجع الاول بين افراد عائلة القاآن العظيم بكتيبة عسكرية كبيرة اسند قيادتها الى احد احفاد توشي ابن جنكيز خان. كما انظم الى جيش هولاكو امراء اخرون من الاسرة المغولية من ابناء واخوان القاآن. (1)

كما عمل (منكو) على استجلاب مهندسين خبراء فنيين من ذوي التخصص في عمليات الحصار حيث استقدم اولئك المهندسين والاتهم الخاصة معهم والتي ذكر عددها المؤرخين بالف اسرة من صناع المنجنيقات واصحاب الحيل في اصلاح الآت الحرب حيث التحقوا بحملة هولاكو ليقوموا بتخطيط وتنفيذ كل ما يتعلق بشؤون الحصار لاي مكان حصين يصعب اقتحامه بالاضافة الى فريق اخر من الخبراء المختصصين في الات المنجنيق واخرون في الات القاذفة للنفط والمواد المحترقة الاخرى وخبراء وفنيون في الات اخرى تسير على عجلات وظيفتها قذف الاسهم النارية. كما بعث بالرسل والمرشدين لمسح الطرق وتحضيرها فاقيمت الجسور على مجاري الانهار السريعة وهيئوا القوارب والسفن في المواقع التي يحتاج اليها الجيش من اجل العبور. (2)

اما عن تموين الجيش فقد أمر منكو بأن يخصص لكل جندي مائة تغار* من الدقيق ((ربما كانت تعني شيء واصبحت تعني شيء اخر فلا يعقل ذلك)) وقربة من النبيذ فضلاً عن قطعة من الجلد يستخدمها لباس له وكما امر بان توضع جميع الاراضي الواقعة في مسيرة الجيش من نقطة الانطلاق في منغوليا حتى حدود تركستان تحت الحظر أي عدم السماح بالرعي فيها لكي تبقى الارض مخضرة ومراعيها غنية بالعلف

---

(1) الجويني، جهانكشاي، جـ3، ص36-37؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص460-461؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص253-255.

(2) الجويني، جهانكشاي، جـ3، ص36-37؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص235.

* تغار: لفظة تركية تعني الجراب والوزن وهو يساوي عشرين وزنة، العزاوي، عباس، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، (شركة التجارة للطباعة-بغداد-1337هـ/1958م)، ص99.

تكفي لدواب الجيش الغازي بالاضافة الى التعليمات التي تقضي بان يقوم امراء الاطراف من المغول والمسلمين بتوفير جميع ما يحتاج اليه الجيش من مؤن خلال المرور باراضيهم بالاضافة الى تجهيزهم بالسفن لعبور الانهار[1] ان تلك الاستعدادات والاجراءات الهائلة التي قام بها منكو قآن في دعم الحملة تعد اهم مصادر القوة التي استند عليها هولاكو والذي كان دوره مقتصرا على الامور التنظيمية والادارية خصوصاً بعد ان علم ان البلاد التي سوف يقتحمها سيكون مسؤولا عن ادارتها بالرغم من ان الجيش تم تشكيله على اساس الروابط القبلية حيث مثلت فيه كل العناصر المغولية والتركية الا ان هولاكو تمكن من تحقيق الانضباط بين افراد جيشه وايجاد وحدة متجانسة من هذه المجموعات القبلية فهو كان ابنا للمدرسة الجنكيزخانية في تنظيم جيشه اذ اعتمد على النظام العشري[2] الذي كان سائدا من نظام عام ظل متبعاً في الجيوش المغولية منذ ايام جنكيز خان ومما ساعد هولاكو كثيرا في مهمته ان المغول عرفوا بالطاعة العمياء لقادتهم الى حد التضحية بالنفس. [3]

ذكر عدد من المؤرخين ان قوات هولاكو بلغت ما يقارب مائتي الف مقاتل[4] ولم يكن هذا العدد الضخم مقصورا على عنصر المغول فقط بل كان يضم عددا من الامراء المسلمين والمسيحين الذين دخلوا في طاعة المغول واسرعوا في تنفيذ اوامرهم واثبات اخلاصهم هذا بالاضافة الى عدد من المتطوعة. [5]

وقد يكون ضخامة عدد قوات المغول فيه شيء من المبالغة من قبل المؤرخين فالبعض ذكر عددهم الصريح[6] والبعض الاخر اكتفى بوصفهم فقد قال عنهم ابن الفوطي انهم اقبلوا كجراد منتشر[7] وانه أي ((هولاكو)) جاء بجيش لا يحصى عدده ولا ينفذ مدده[8] اما ابن تغري بردى فقال لقد عظم امره وكثرت جيوشه من المغل والتتار ولا زال امره في زيادة حتى ملك مدينة الموت[9] كما وقد بالغ هولاكو نفسه

---

(1) الجويني، جهانكشاي، جـ3، ص36-37؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص235؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص254.

(2) اقبال، تاريخ مفصل ايران، ص90.

(3) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص316؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، جـ5، ص73؛ اقبال، تاريخ مفصل ايران، جـ1، ص90..

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص227؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص543.

(5) اليونيي، مرآة الزمان، ص87-88؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، جـ7، ص49.

(6) مغلطاي، علاء الدين بن قليج بن عبد الله (ت:762هـ)، مختصر تاريخ الخلفاء، تح اسيا كليبان على بارح، (دار الكتب العلمية-بيروت-2003)، ص165؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص227؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص543.

(7) الحوادث الجامعة، ص324-325.

(8) ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، جـ20، ص133؛ السبكي، تاج الدين، ابي نصر عبد الوهاب تقي الدين (ت:771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، (المطبعة الحسينية- بغداد- 1324هـ)جـ5، ص113.

(9) النجوم الزاهرة، جـ7، ص47

بعدد قواته ففي احدى رسائله للخليفة قال له: (اني متوجه الى بغداد بجيش كالنمل والجراد). [1]

لقد كانت لكلا الطرفين مبرراته في المبالغة بعدد قوات الجيش المغولي اما مؤرخونا فارادوا اعطاء تبريرات لتخاذل المسلمين والخليفة في الدفاع عن حاضرتهم وعدم اتخاذ التدابير اللازمة لمثل تلك المواقف.

اما هولاكو فأراد ان يبث الرعب والخوف في صفوف اعداءه وهذا جزء من الحرب النفسية التي اتبعها المغول في معاركهم التي خاضوها لقد عول العديد من مؤرخينا على ضخامة القوات المغولية[2] ليبرروا خسارة جيش الخلافة من دون الوقوف على اوضاع الخلافة المتدهورة وقلة امكانياتها الاقتصادية والعسكرية وعدم اخذ الموقف بصورة جدية والاستعداد للمواجهة فمن الناحية الاجتماعية كان الصراع الطائفي والمذهبي قد مزق المجتمع البغدادي قبيل الغزو المغولي اما من الناحية الاقتصادية فقد تعرضت بغداد وخصوصا في فترة الخليفة المستعصم الى كوارث طبيعية جمة تمثلت بكثرة الفياضانات التي تؤدي الى تدمير المحاصيل الزراعية وانهيار السدود وبالتالي دمرت العديد من المباني والمنازل والمساجد واتلفت الطرقات وظهرت الافات الزراعية كالحشرات والجراد. [3]

كما ان الصراع الطائفي والتناحر المذهبي اثر بدوره على الجهاز الاداري للخلافة فقد اصبح مشلولاً تماماً وذلك نتيجة للانشقاق والحزازات الشخصية التي تقع بين كبار موظفي الدولة الرسمين بزعامة وزير الخليفة وقائد جيشه. [4]

اما من الناحية العسكرية فان جيش الخلافة قبيل الغزو المغولي لم يكن بحالة يحسد عليها لامن ناحية العدة ولا العدد فقد كان عبارة عن جيش صغير لا يتجاوز تعداده عن بضع الاف[5] من اجناس مختلفة فقد اهمل الخليفة حال الجند ومنعهم ارزاقهم وبلغت حالة جيش الخلافة بالذات مبلغا من الذل والهوان حتى استعطى كثيرا منهم في الاسواق وابواب المساجد والبعض الاخر فضل الالتحاق بصفوف المغول هربا مما هو فيه. [6]

نستنتج من هذا ان العوامل الداخلية هي من الاسباب الرئيسية لسقوط الخلافة اكثر من الخارجية.

---

(1)رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص271؛ عبد الله، ناجية، ريف بغداد، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد-1988م، ص223؛ وللمزيد من المعلومات عن نص الرسالة، ينظر الملحق رقم (5).

(2) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص324-325؛ ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، جـ20، ص133؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، جـ7، ص47.

(3) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص324-325.

(4) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص317-319.

(5) ابن الطقطقي، الفخري، ص335.

(6) ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، جـ20، ص129؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص191؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص261.

الخليفة المستعصم بالله ومدى مسؤوليته عن سقوط الخلافة

اختلف المؤرخون في وصف شخصيته ومدى مسؤليته عن سقوط الخلافة العباسية فمنهم من مدحه واثنى على سيرته بقولهم انه كان رجلا عابداً صالحاً كريم النفس لين الاكناف لا يتعرض لشيء من المنكر ولم يعص الله قط وكان صبورا على الشدائد والمستعصيات. [1]

وعلى النقيض من اراء هؤلاء فقد كثر ذاموه من المؤرخين الذين حملوه المسؤولية الكاملة لما جرى للخلافة الاسلامية وحاضرتها بغداد نتيجة لضعف شخصيته وانشغاله بملذات الدنيا وترك امور الخلافة بيد الاخرين وابرز ما قيل فيه انه ضعيف العقل قليل العزم كثير الغفلة عن امور المسلمين ولا يفكر في عواقب الزمان محباً للاموال والنساء[2] ففي الوقت الذي كان التتر يحاصرون بغداد ويحيطون بدار الخلافة ويرشقونها بالنبال ذكر ان جارية كانت تلعب بين يديه فاصابها سهم فقتلها وهي ترقص له فأنزعج الخليفة لذلك[3] في حين يرى احد المؤرخين ان السهم اصاب احدى بناته في شرفة القصر اثناء انشغاله بقراءة القرآن الكريم[4] اما مؤرخنا الاربلي فنجد كتاباته تحمل تناقضاً ففي مواضع يمدحه ويشيد بتدينه وخلقه وفي مواضع اخرى يذكر الذميم من صفاته[5] نستنتج من هذا انه قد يكون يتصف بالصلاح والتقوى وحسن السيرة ولربما كان يمكن ان يكون حاكماً ناجحاً في ظل ظروف عادية وهادئة ولكنها كانت ابعد من ان تجعل منه رجل الساعة في هذه الظروف المميتة التي كان يتجاوزها العالم الاسلامي فقد اثبت انه لم يكن بالمستوى المطلوب فالاحداث الكبيرة التي تمر بها الخلافة هي فوق طاقته وقدرته فهو لم يتخذ الاجراءات اللازمة والحاسمة لمواجهة الخطر المغولي فكان من المفروض ان يكون اكثر تيقظا وحزما ويتخذ من الاسباب ويعلن حالة الاستنفار في جميع ارجاء البلاد التابعة له ويسخر كل موارد الدولة لدرء الخطر وكان عليه ان لا يترك امور الدولة ومؤسساتها بين ايدي جماعات متناحرة طائفيا ومذهبيا دون رقابة منه فقد قام هؤلاء باستغلال غفلته لمصلحتهم فهو بذلك

---

(1) ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص267؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، ص229؛ ابن كثير، البداية والنهاية، تح د.احمد عبد الوهاب فتح، ط6 (دار الحديث-القاهرة-1423هـ/2002م) مج7، جـ13، ص231؛ الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، جـ2، ص632.

(2) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص445؛ الدواداري، كنز الدرر، جـ7، ص350؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، جـ23، ص183؛ ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، جـ20، ص132؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، جـ7، ص64.

(3) ابن الفوطى، الحوادث الجامعة، ص325؛ ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، جـ20، ص133؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص227.

(4) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، جـ5، ص115.

(5) الذهب المسبوك، ص291.

يتحمل الجزء الاكبر من المسؤولية لانه لم يتخذ قراراً حازماً للتصدي مثلما قام به السلطان قطز في معركة عين جالوت 658هـ/1260م والتي سنتناولها لاحقا.

سقوط الخلافة

تبادل هولاكو مع الخليفة المستعصم بالله الرسائل عندما تحرك الجيش المغولي وهو في طريقه لحصار بغداد فبدأ هولاكو بارسال رسالة عنفه فيها بشدة لعدم ارساله المعونة التي طلبها في حربه ضد الاسماعيلية ثم وعده بالعفو اذا هدم اسوار وردم الخنادق التي تحمي بغداد وطلب من الخليفة المثول بين يديه وان تعذر الحضور يرسل احد الثلاثة الكبار من رجال دولته نيابه عنه، والذين هم كل من الدويدار الصغير* والوزير ابن العلقمي** وسليمان شاه*** وتوعد الخليفة بالويل والثبور ان لم يستجب[1] اما رد الخليفة عليه فكان يحمل روح التحدي والتهديد لهولاكو حيث حذره من التعرض لأسرة بني العباسي المقدسة مستند بذلك على اعتقاد بان كل من يتعرض للخلافة تصيبه اللعنة وآخرهم خوارزمشاه ونتيجة لضعف الخليفة وعدم اتخاذه رأي حازم واخذ المسألة بجدية اكبر[2] فقد كان كبار اركان دولته هم من يقرر شأن الخلافة فانقسم هؤلاء الى فئتين الاولى يمثلها امراء العسكر وهي المتنفذة كانت لأسباب واضحة لاتحبذ اطلاقا فكرة مهادنة هولاكو او الاستسلام لشروطه وترى التصدي له وقتاله امر لا مفر منه وكان على راسها الدويدار الصغير وسليمان شاه والفئة الثانية كانت تريد التصرف على اساس المهادنة والتفاوض مع هولاكو وعلى رأسها الوزير مؤيد الدين اين العلقمي[3].

---

* الدويدار الصغير: وهو ابو الميامين مجاهد الدين ايبك، اصله من المماليك الاتراك سمي بالدويدار لانه كان كاتب للخليفة وقد خلف اباه في هذا المنصب ثم صار من المستشارين المقربين للخليفة، ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص294-295.

** ابن العلقمي: وهو محمد بن احمد مؤيد الدين ابو طالب ولد سنة 591 هـ ينتسب الى قبيلة اسد وهو وزير المستعصم، ابن الطقطقي، الفخري، 337-338؛ السبكي، طبقات الشافعية، جـ5، ص110.

*** سليمان شاه: وهو سليمان شاه بن برجم الايوائي، احد قواد المستعصم المشهورين يقترن اسمه بحادثة سقوط الخلافة وكان مشهورا بعلم النجوم والكواكب ونظم الشعر، الجويني، جهانكشاي، جـ3، ص105-108؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص290.

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص274-275؛ وللمزيد من المعلومات عن نصوص الرسائل المتبادلة بين الخليفة انظر الملاحق (3، 4، 5، 6، 7).

(2) رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص272-275؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص319-320.

(3) رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص272-273.

ويبدو ان رد الخليفة لم يعجب هولاكو لذلك قرر الزحف على مدينة بغداد[1] وقبل المسير طلب من المنجمين التنبؤ بمستقبل الحملة ومصيره هو شخصياً ثم احال الطلب الى كبير المنجمين حسام الدين* الذي حذره من هذا العمل وتنبأ بان الطالع ينذر بوقوع ستة كوارث عظيمة** تشمل الطبيعة وهولاكو شخصيا غير ان هولاكو طلب منه أدلة قاطعة وحجج دامغة وبراهين ساطعة واثبات ما يقول فعجز عن ذلك، وحينئذ أمر ان يحضر الخواجة نصير الدين الطوسي* فاستطلع رأيه في القضية قال ان رأي حسام الدين غير صحيح انما انت سوف تكون خليفة بمكانه مستندا بذلك على اتفاق علماء جمهور المسلمين بان اكثر الصحابة قتلوا ولم يقع فساد في الكون كما وقد قتل العديد من خلفاء بني العباس ولم يحدث أي خلل[2] وبذلك طمأنه وشجعه على الاقدام لغزو بغداد واحتلالها وفي منتصف شهر محرم سنة 656هـ/1258م نزل هولاكو على بغداد وكان معه مجموعة من القواد العسكريين امثال (بايجو نوين وسونجاق نوين) [3] وتقدم جيش الخلافة بقيادة الدويدار الصغير وسليمان شاه واشتد القتال بين الطرفين فانكسرت عساكر المغول وقتل منهم الدويدار عدد كثير وهو ما زال يتبعهم الى اخر النهار ثم اشار عليه احد الامراء بان يثبت مكانه ولا يتبعهم فلم يصغ اليه الى ان ادركه الليل وقد تجاوز نهر ببزد جيل فباتوا هناك وعندما اصبحوا وجدوا ان النهر قد فاض عليهم وملات الصحراء فلم تستطيع الخيول السير فيه فاقام المغول بقتلهم فالقى البعض منهم في دجلة ودخل بغداد من نجا منهم بعد ان فروا مع الدويدار على اقبح صورة. [4]

ان هذا الانتصار الذي حققه الدويدار الصغير كان يمكن ان تستثمره الخلافة وتحقق المزيد لولا ان الجيش لم يكن بعدة او عدد كافي ويذكر احد المؤرخين ان هذا النصر لم يرق لأبن العلقمي لذلك ارسل اصحابه لقطع شط دجلة فخرج ماؤها على عساكر بغداد

---

(1) للمزيد من المعلومات عن رد الخليفة وموقف هولاكو منه ينظر ملحق رقم (7،6).

* حسام الدين: وهو مسلم على المذهب السني ونتيجة للخدمات التي اسداها لحكام المغول فأن منكو قاان اوصى اخاه هولاكو ان لايخرج على مشورته، رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص279.

** والكوارث الستة هي: 1- ان تنعق الخيول كلها ويمرض الجنود. 2- ان الشمس لا تطلع. 3- ان المطر لا ينزل. 4- تهب ريح صرصر وينهال العالم بالزلزال. 5- لا ينبت النبات في الارض. 6- ان الملك الاعظم يموت في تلك السنة، رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص279؛ العزاوي، العراق بين احتلالين، جـ1، ص166.

* نصير الدين الطوسي: وهو عبد الله محمد الحسن الطوسي، (597-672هـ/1200-1273م) وقد كان يقيم في قلاع الاسماعيلية ثم التحق بمعسكر هولاكو، ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص314؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص289.

(2) رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص279-280.

(3) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص474؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص284-285

(4) الطوسي، ذيل جهانكشاي، جـ3، ص104-107؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص271؛ الطقطقي، الفخري، ص335-336؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص323-325.

وهم نائمون[1] فتشجع المغول لما حصل فرجعت عساكرهم للانتقام من جيش الخلافة التي هلك معظمها. [2]

ان انتصار الدويدار الصغير على جيش المغول يثبت انه كان بالامكان تحقيق النصر الكامل لو انه تريث في ملاحقة المغول وهكذا كانت بداية النهاية للخلافة العباسية التي لم تأخذ المسألة على محمل الجد واستندت على اللعنة التي تصيب كل من يحاول المساس بقدسية الخلافة[3] اما مسالة خيانة ابن العلقمي فاغلب المصادر الاسلامية تميل الى اتهامه صراحة وتمثلث خيانته بمجموعة من الاتهامات ابتداءاً بمراسلاته مع المغول التي اختلف المؤرخون في تحديدها فمنهم من ذكر ان مكاتبات ابن العلقمي لهولاكو كانت قبيل سقوط الخلافة العباسية بقولهم: اخذ يكاتب التتار ويراسلهم ويطمعهم بالمجيء الى العراق واخذ بغداد لكي يزيل دولة بني العباس[4] واقامة خلافة علوية[5] واحد المؤرخين قال ان المراسلة كانت مبكرة في سنة (644هـ) أي بعد سنتين من تولي ابن العلقمي الوزارة فقد قدم رسولان من المغول فاجتمعا مع الوزير[6] اما التهمة الثانية لابن العلقمي هي قيامه هو شخصياً او بتسخير جماعة لقطع دجلة واغراق عساكر الخلافة بقيادة الدويدار الصغير اثناء مواجهته مع المغول فتحول النصر الى هزيمة. [7]

في حين كانت تهمته الثالثة هي كتم الاخبار عن الخليفة فكان يحجم ايصال المكاتبات التي تحذر الخليفة من المغول وتلفت نظره وتنصحه فكان يقوم بقراءتها ويرد عليها بما يراه مناسباً لخدمة غرضه. [8]

الا ان تسريح جند الخلافة تبقى من اهم التهم التي وجهت لابن العلقمي وقد تناولتها اغلب المصادر الاسلامية بقولها: ان ابن العلقمي كان يجتهد في صرف الجيوش واسقاط اسمائهم من الديوان فكانت العساكر في اخر ايام المستنصر قد بلغت قريب

---

(1) الديار البكري، تاريخ الخميس، جـ2، ص377.
(2) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص473؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص323؛ ابن خلدون، العبر، جـ5، ص515؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، مج2، جـ3، ص339.
(3) الطوسي، ذيل جهانكشاي، جـ3، ص105-107؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص335-336.
(4) ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، جـ3، ص193؛ الذهبي، دول الاسلام، جـ2، ص118؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، جـ1، ص184؛ ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، جـ20، ص132؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص227؛ ابن خلدون، العبر، جـ5، ص114؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص537؛ الديار البكري، تاريخ الخميس، جـ2، ص376؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، جـ5، ص295.
(5) مغلطاي، مختصر تاريخ الخلفاء، ص165.
(6) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، جـ6، ص356.
(7) الديار البكري، تاريخ الخميس، جـ2،ص377؛ دحلان، الفتوحات الاسلامية،جـ2،ص69.
(8) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، جـ7، ص48؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص538.

المائة الف فلم يزل يقللهم الى ان لم يبقى سوى عشرة الاف[1] ولانه كان ذكيا فأنه لم يسرح الجند دفعة واحدة انما كان على عدة مراحل بحجة توفير مصروفاتهم وذلك لان اسقاطهم دفعة واحدة يثير الشبهات والشكوك حوله.

واخيرا قام ابن العلقمي بنهي اهل بغداد عن المقاومة بحجة انه سوف يعقد الصلح فتوقف اهل بغداد في حين بقى الجيش المغولي يسدد ضرباته باتجاه بغداد كما واقنع الخليفة بالخروج من بغداد ومقابلة هولاكو بحجة انه يريد الصلح وهذا الصلح سوف

يتوج بالمصاهرة بتزويج ابنته من ابنك[2] على الرغم من وضوح الحقيقة وتظافر المصادر على ذكر هذا الموقف لابن العلقمي ألا انه ثمة اراء غريبة ظهرت من قبل المؤرخين القدماء والمحدثين للدفاع عن ابن العلقمي وهم قلة قليلة حيث برؤه من تهمة الخيانة والقوا التبعية كلها على ضعف الخليفة ونفاق الامراء وقواد الجيش وعدم وحدة الصف فيما بينهم وعلى رأس هؤلاء ابن الطقطقي الذي مجد بشخصيته ونفى عنه التهمة[3] وكذلك رشيد الدين الذي لم يتوانى عن مدحه كلما ذكر اسمه وينفى عنه تهمة الخيانة بقوله انها من تدابير الدويدار الصغير الذي يجمع حوله السفلة والرعاع وانه هو من اراد ان يتآمر على الخليفة بأتفاق مع طائفة من الاعيان. [4]

اما مؤرخينا المحدثين فقد كان دورهم اكبر في محاولة تبرأت ابن العلقمي مستندين بذلك على مجموعة امور منها ان ابرز مؤرخي المغول المعاصرين وغير المعاصرين لم يتطرقوا لمسألة الخيانة امثال الجويني الذي يعتبر المصدر الاول لتاريخ المغول فهو كان شديد الصلة بهولاكو ورافقه عند زحفه الى بغداد، وكذلك رشيد الدين الذي كان وزيرا في بلاط سلاطين المغول والذي لم تكن له أي مصلحة في الدفاع عن ابن العلقمي وقالوا ان سبط بن الجوزي المتوفي سنة 654هـ اثنى عليه ولم يتطرق لمسألة الخيانة[5] ان الرد على هؤلاء يكمن في كون ان ابن الطقطقي الذي حاول جاهدا دفع

---

(1) ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، جـ20، ص132؛ السبكي، طبقات الشافعية، جـ5، ص110؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص227؛ المقريزي، السلوك، جـ2، ص412؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ7، ص48؛ الديار البكري، تاريخ الخميس، جـ2، ص376-377.

(2) ابن الساعي، ابي طالب علي بن انجب تاجـ الدين (ت:674هـ/1275م)، الجامع المختصر، تح مصطفى جواد، (المطبعة السريانية-الكاثوليكية- بغداد-1335هـ/1234م)، جـ9، ص203؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص272؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص326؛ الذهبي، دول الاسلام، جـ2، ص121، ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، جـ20، ص133؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص227-228؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، جـ7، ص49؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص543.

(3) الفخري، ص335-338.

(4) جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص262-263.

(5) خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانين، ص26-43؛ الامين، الغزو المغولي للبلاد الاسلامية، ص89-106؛ الغامدي سقوط الدولة العباسية، ص333-351.

تهمة الخيانة عنه انه على نفس مذهب ابن العلقمي[1] اما بالنسبة للجويني ورشيد الدين فهم اشهر مؤرخي المغول وابن العلقمي اصبح من اتباع المغول فمن غير المعقول ان يكتبوا ضده وهم عرفوا بانهم جملوا تاريخ المغول واظهروهم بمظهر الفاتحين المحررين. [2]

اما بالنسبة لسبط بن الجوزي فأنه مات قبل سقوط الخلافة بسنتين أي قبل وقوع الاحداث ودور ابن العلقمي لم يتضح بعد ومن الامور الاخرى التي حاجج بها هؤلاء المؤرخون هي ان الخليفة الناصر لدين الله تعرض لنفس التهمة التي تعرض لها ابن العلقمي وهي مراسلة المغول وقالوا ايضاً ان غزو العراق هو تحصيل حاصل للمخططات المغولية وانها جاءت بناءاً على اوامر عليا اصدرها امبراطور المغول منكوقاآن فلا حاجة لهم بمن يستدعيهم اما ردهم على التهمة التي تقول انه منع وصول المكاتبات الى الخليفة والتي تحذره من الخطر المغولي فهي مردودة لأن الوزير كان ضعيفاً غير مسموع القول وان تاريخ تهديد المغول للعراق هو قديم منذ ايام الناصر بالاضافة الى ان هذه الامور غالباً ما تكون من اختصاص الفئة العسكرية والوزير كان مدني. اما بخصوص تهمته بتسريح جيوش الخلافة التي كانت كبيرة من قبل فيقولون ليس هناك دليل يثبت ان للخلافة جيش كبير فقد كان الناصر اشهر الخلفاء العباسيين بالامور العسكرية ورغم ذلك لم يستطيع الوقوف بوجه الخوارزميين وهذا دليل على قلة العدد والعدة في جيش الخلافة وقالوا أيضا اين كان مستشاري الخليفة العسكريين امثال الدويدار الصغير وسليمان شاه وغيرهم عندما اقنع الوزير ابن العلقمي الخليفة بصرف جنود الخلافة والخطر المغولي يهددها، وان نجاته من القتل بعد سقوط الخلافة ومشاركته في تنظيم بغداد لايعني ذلك دليل على خيانته فقد نجا غيره من العلماء وشاركوا في العديد من الوظائف. [3]

واخيرا يمكن القول ان خيانة ابن العلقمي هي حقيقة لايمكن انكارها لأن مصادر ادانته هي اكثر وثوقاً واشد صراحة من مصادر تبرئته الا اننا لايمكن القول انه كان السبب الرئيس او الوحيد في سقوط الخلافة العباسية فالخليفة يتحمل جزء كبير منها وقادة الدولة المتناحرين بالاضافة الى الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تعاني منها الخلافة ولا ننسى مخططات المغول الرامية الى السيطرة على العالم.

وقد اختلفت الروايات في تقدير عدد من قتل في بغداد على يد هولاكو فالمجازر التي ارتكبها والدماء التي اريقت والخراب الذي خلفه هولاكو دفعت بعض المؤرخين

---

(1) الفخري، ص335-338.

(2) الطوسي، ذيل جهانكشاي، جـ3، ص103-107؛ جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص262-263.

(3) للمزيد من المعلومات عن تبرئة ابن العلقمي؛ انظر: خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانين (ص26-43)؛ الامين هولاكو والغزو المغولي للبلاد الاسلامية، ص89-106؛ الغامدي، سقوط الدولة العباسية، ص333-351؛ حيدر، الايلخان هولاكو، ص151؛ الرفيعي، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، جـ1، ص115-121.

الى المبالغة في عدد وارقام الضحايا فمنهم من قال ان عدد القتلى بلغ الفي الف[1] واخر قال الف الف وثمنمائة الف[2] وقيل الف الف[3] ورواية رابعة تقول كان يستشهد من المسلمين ثمنمائة الف في كل اسبوع وظل يرمي بغداد اربعين يوما بكل شدة ودون هوادة ويسلط نيرانه عليها كالصواعق[4] الا ان خصباك يرى انه من غير المعقول ان يكون سكان بغداد في ذلك الوقت يقدرون بهذا الحجم[5] لذلك نجد ان الرواية التي تذكر ان عدد القتلى هو ثمانمائة الف[6] هي الارجح.

هزيمة المغول في معركةعين جالوت* 658هـ-1260م

بعد سقوط قلاع الاسماعيلية والخلافة العباسية توجه جيش هولاكو نحو بلاد الشام التي سقطت مدنها الواحدة تلو الاخرى بيسر وسهولة امام قوات هولاكو[7] وبعد استكماله احتلال معظم مدن بلاد الشام عزم على التقدم صوب مصر لذلك نجد ان بعض قادة المسلمين بدأوا يتحسسون ويبحثون في اسباب الهزائم التي مني بها المسلمون ويحاولون علاجها ومنهم السلطان قطز** الذي قام بعزل المنصور وتسلطن بدله وسمى نفسه بالملك المظفر[8] الذي قرر الخروج للمغول من الديار المصرية الى البلاد الشامية. [9] وفي اثناء ذلك وصل رسول هولاكو اليه يطلب منه التسليم ويتوعده

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص229؛ المقريزي السلوك، جـ1، ص481؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، جـ7، ص50.
(2) الذهبي، دول الاسلام، جـ2، ص121؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص229؛ الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، جـ2، ص631.
(3) مغلطاي، مختصر تاريخ الخلفاء، ص165؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص543.
(4) مرتضى افندي، نظمي زادة، كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم، نورس، (مطبعة الاداب-النجف الاشرف-1971)، ص127.
(5) العراق في عهد المغول الايلخانين، ص56.
(6) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص331؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص229؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، جـ7، ص50.
* عين جالوت: اسم اعجمي لبلد لطيفة تقع بين بيسان ونابلس في فلسطين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ2، ص177.
(7) رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص243-281؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص331-346.
** قطز: وهو اتابكي تولى السلطة سنة 657هـ/1259م وهو ابن اخت السلطان جلال الدين خوارزمشاه وصف بالشجاعة والعدل والاحسان والكرم، رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص310-311؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص244؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، جـ7، ص72؛ الزركلي، الاعلام، جـ5، ص201.
(8) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص244.
(9) ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، جـ20، ص226.

بالويل والندامة ان رفض ذلك، استدعى قطز الامراء وشاورهم في الامر وقال لهم ينبغي علينا ان نختار واحد من ثلاثة الصلح او القتال او الجلاء عن الوطن اما الجلاء فامر متعذر ذلك لانه لا يمكن ان نجد لنا مفراً الا المغرب وبيننا وبينه مسافات بعيدة، وقال احد الامراء لا يمكن مصالحتهم لانهم يغدرون بعهودهم وينقضونها اما باقي الامراء فقالوا: ليس لنا الطاقة ولا قدرة على مقاومتهم فأمر بما يقضيه رأيك فقال الرأي عندي هو ان نتوجه جميعا للقتال ثم اختلى قطز بالظاهر بيبرس* امير الامراء واستشاره في الموضوع فقال له: اني أرى ان نقتل الرسل ونقصد المغول فاستصوب قطز هذا الكلام وامر بقتل الرسل والمسير للقتال. (1)

ان قتل رسل هولاكو هو لقطع الطريق للتراجع امام أي دعوة انهزامية هذا بالاضافة الى قيام قطز بمجموعة من الاجراءات للاستعداد لملاقاة جيش المغول اهمها ارسال قوة استطلاعية بقيادة بيبرس لمعرفة اخبار المغول وخططهم وابرز نقاط ضعفهم خصوصاً بعد ان غادر قسم من جيش هولاكو معه الى العاصمة قراقورم بعد ان وصله خبر وفاة اخيه منكو فاضطر الى تعيين صهره كيتو بوقا (كتبغا)**(2) نائبا عنه في بلاد الشام وقائد للقوات المغولية فيها ومن الاجراءات الاخرى التي قام بها الملك قطز هو اعلان ما يشبه بالنفير العام وسخر كل امكانيات البلد لخدمة هذه الحملة وبث فيهم روح الجهاد واقنعهم ان النصر آت لاريب فيه ان هم توكلوا على الله بدأ السلطان قطز بالتوجه الى ارض المعركة وهو يقود الجيش بنفسه يساعده في ذلك قائده بيبرس الذي كان له دوراً حاسماً في المعركة فجمع قطز عساكره في مصر بعد ان انضم اليه عساكر من الشام والعرب والتركمان في حين سار بيبرس الى غزة التي كان فيها قسم من جيش المغول استطاع بيبرس القضاء عليهم. (3)

---

* بيبرس: وهو ركن الدين بيبرس البند قداري تولى سلطنة المماليك بعد ان قام بقتل السلطان قطز، ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص251؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، جـ7، ص101-102؛ الزركلي، الاعلام، جـ2، ص119.

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص313.

** كيتو بوقا(كتبغا): وهو من اشهر القادة العسكريين عند المغول حضى بمكانة كبيرة لديهم وكان في البداية مشرفا على الطعام والشراب ثم تولى قيادة الحراسة الخاصة للقاآن ثم رفع الى رتبة نوين، الجويني، جهانكشاي، جـ3، ص90؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص236، 311.

(2) رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص308-311.

(3) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص334؛ ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، جـ20، ص226-227؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص248-249؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ7، ص79.

اما القوة الرئيسية بقيادة قطز فقد اجتمعت بـالمغول فـي منطقـة عين جـالوت يـوم الجمعـة الخـامس والعشرين مـن رمضـان فـاقتتلو قتـالاً عظيمـاً فكانـت النصـرة للاسـلام وهزموهم هزيمة نكراء وقتل قائد المغول كتبغا نوين وجماعة من بيته. [1]

لـو بحثنـا فـي اسـباب احـراز النصـر لوجـدنا ان السـبب الرئيسـي هـو القيـادة الحكيمـة المتمثلـة بشخصـية السـلطان قطـز وقائـده بيبـرس ووحـدة الصـف فيمـا بيـنهم وقـراره الخـروج بنفسـه للقـاء التتـار علـى العكـس مـن موقـف الخليفـة المستعصـم بـالله وابـرز مستشاريه المنشقين تتحكم بهم الطائفية والمذهبية حتـى فـي اخطـر المواقف كما استفاد السلطان قطـز بمبدأ الشـورى فـي الامـور الخطيـرة والمصيرية مـن اسـتخلاص الاراء والخروج بقرار حازم وصارم لا رجعة فيه مثل قراره قتل الرسل وهذا ايضا كان يفتقد اليه الخليفة المستعصم بالله وبما ان السلطان قطز قائد ذكـي فأنـه وجد أن مبدأ الهجوم هو خير وسيلة للدفاع مؤمنا بالحكمة التي تقول (مـاغزى قـوم فـي عقـر دارهـم الا ذلـوا) لذلك فأنه لم ينتظر مجئ المغول الى بلاده بل قرر الذهاب اليهم وهذا اتـاح لـه ان يختـار لنفسه المكـان والزمـان المناسبين للمعركـة فهمـا لهـم دور كبيـر فـي تحقيـق النصـر علـى المغول في حين نجد ان الخليفـة المستعصـم بـالله لا يشـعر بوجـود المغـول الا حـين دخـل سـهم مـن المغـول الـى احـد شـرفات قصـره واصـاب جاريـة لـه تـرقص بـين يديـه. وقـام السلطان قطز باستنفار الرعية مذكراً اياهم بالجرائم والمجازر التـي ارتكبهـا المغـول فـي البلاد الاسلامية من قتل وسبي وتخريب وحرق وان مصيرهم سوف يكـون هكـذا ان لـم يخرجـوا للقتـال، واسـتغل نقـاط الضـعف فـي جـيش العـدو عـن طريـق ارسـاله فـرق استطلاعية وكان ابرزها غيـاب قائـدها هولاكـو مـع قسـم كبيـر مـن جيشـه وجهـل هـؤلاء بجغرافية المنطقة كما ان قيادته للمعركة استندت علـى مجموعـة خطـط بارعـة غايـة فـي الدقة ومدروسة لا تصدر الا عن قائد عسكري محنك لـه بـاع طويـل فـي الحـروب وفـي هذا الموقف الشديد الحافل بالخطر يظهـر الرجـال المخلصـون المؤمنـون الاقويـاء فيتقدم احد القضـاة الى السلطان قطز ليقول له كلمـة الحق التـي ترضـي الله وينصـحه بمـا يعـود عليه وعلى الاسلام والمسلمين بالخير و البركة لم ينافقه بالموافقه علـى رأيـه ولـم يجعـل من الظرف الدقيق الذي يمر به البلاد مبرراً لأرضـاء الحكـام والمسئولين علـى حسـاب الامـة لاسـلامية والموافقـة علـى طلبـاتهم وتنفيـذها مهمـا كـان جورهـا وظلمهـا بـل وقـف وقال: (لابد ان تدفع انت وجميع الامـراء والمماليك جميـع مـا تملكـون مـن ذهـب وغيـره فاذا لم تكف هذه الاموال دعونـا النـاس الـى الجهـاد بـاموالهم امـا ان يـدفع النـاس امـوالهم وانتم تكنزون الذهب والفضة؟ فلابد ان تضربوا للناس المثل الاعلى).
وقد تقبل السلطان المؤمن هذه النصيحة بقبول حسن فأمر جميع الامـراء مـن المماليك بجمـع مـا لـديهم ففعلـوا عنـد ذلـك تسـابق المسـلمون الـى المشـاركة بكـل مـا يملكـون مـن

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ13، ص248-249؛ ابن تغري بـردي، النجـوم الزاهـرة، جــ7، ص79.

الاموال والانفس لانهم رأوا قيادتهم تضرب لهم المثل الاعلى في البذل والفداء. في حين نجد ان الخليفة المستعصم بالله عندما قبض عليه هولاكو طلب منه احضار جميع ما يملك فاحظر جميع الخزائن فلم يلتفت هولاكو خان اليها ومنحها كلها للامراء والحاضرين ثم قال للخليفة: (ان الاموال التي تملكها على وجه الارض ظاهرة لكن اذكر ما تملكه من الدفائن فأعترف بوجود حوض مملوء بالذهب في ساحة القصر فحفروا الارض حتى وجدوه مليئا بالذهب الاحمر وكان كله سبائك تزن الواحدة مائة مثقال) فلو استغلها في تجنيد الجند وتسليحهم لما حدث للخلافة ما حدث.

ولم ينسى السلطان قطز الدعاء الى الله حتى وهو في اوج ساعات المعركة فكان يسمعه جنوده وهو يصرخ ويقول واسلاماه ثلاث مرات مما يثير الحماس فيه وفي الجنود وكان يدعوا الى الله ويقول: (ياالله انصر عبدك قطز على التتار) وعندما استجاب الله له نزل من فرسه ومرغ وجهه بالارض وقبلها وصلى ركعتين شكر لله تعالى.

وهكذا هزم السلطان قطز المغول وحطم الاسطورة التي تقول انهم جيوش لا تقهر واثبت لكل العالم الاسلامي ان بالايمان والعزم والحكمة يتحقق النصر فلو ان قدر للخلافة العباسية ان تكون مثلما كان المصريون من الاستعداد والتدبير والتخطيط والتوكل ووحدة الكلمة والصف للتحقيق الظفر بالعدو وان لم يتحقق فأنها ادت ما عليها وستكون معذورة امام الله وامام رعيتها التي هي مستخلفة فيها.

وصف المؤرخون لغزو المغول البلاد الاسلامية

ان ماقام به المغول من المجازر البشرية سجلت في ذاكرة التاريخ حيث قام مؤرخينا بتدوين اعمال هؤلاء واصفين خروجهم بالحادثة العظمى والمصيبة الكبرى وخير من عبر عما كان يعانيه المسلمون من الالام ومحن في ذلك الوقت هو ابن الاثير بقوله: (لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارها لذكراها فأنا اقدم رجلاً واوخر اخرى فمن الذي يسهل عليه ان يكتب نعي الاسلام والمسلمين ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك فيا ليت امي لم تلدني وياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا... فلو قال قائل ان العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى ادم الى الان لم يبتلوا بمثلها لكان صادق...وهؤلاء لم يبقوا على احد بل قتلوا النساء والرجال والاطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنة...) [1] هذا وان ابن الاثير مات من قبل ان يشهد باقي اعمالهم وخصوصا سقوط الخلافة.

اما السيوطي فيقول (هو حديث ياكل الاحاديث وخبر يطوي الاخبار وتاريخ ينسي التواريخ، نازلة تصغر كل نازلة وفادحة تطبق الارض وتملؤها ما بين الطول والعرض). [2]

---

(1) الكامل، جـ9، ص329.

(2) تاريخ الخلفاء، ص467.

ومنهم من وصف سنة 656هـ وهي سنة سقوط الخلافة بانها السنة المصيبة باعظم المصائب المحيطة بما فعلت من العائب المقتحمة اعظم الجرائم الواثبة على اقبح العظائم، الفاعلة بالمسلمين كل قبيح وعار، النازلة عليهم بالكفار المسمين بالتتار حادثة بغداد عبرة تعتبر بها الاجيال وتشخص عندها الابصار ليجري المسلمون على ممر الزمان ودموعهم دما وليدري المؤرخون بانهم ماسمعوا بمثلها واقعة جعلت السماء ارضاً والارض سما[1].

اما ابن الفوطي يصف زحف الوحوش التتار بقوله (تقدموا كجراد منتشر[2] فكانت غارتهم فتنة عظيمة ومحنة كبيرة هزت العالم الاسلامي هزاً عنيفاً تركت المسلمين مبهوتين مشدوهين استولى الرعب والخوف على العالم الاسلامي من اقصاه الى اقصاه وغلب على الناس اليأس والتشاؤم فكانوا يعتبرون التتار بلاء سماويا ومقاومتهم مستحيلة وانهزامهم فوق القياس حتى ساد المثل (اذا قيل لك ان التتار انهزمو فلا تصدق) فكل بلاد او دولة توجهوا اليها عرف انها ابيدت وخربت ولم يبق فيها شيء من مقدسات المسلمين الا وانتهكت حرمتها فكان اتجاه التتار الى جهة يرادف معنى التدمير والابادة والذلة وانتهاك الاعراض. [3]

في حين نجد بارتولد يحاول قدر الامكان تقليل الاثار السيئة التي خلفها المغول في حضارة المشرق الاسلامي. [4]

ولم يكتفي بارتولد بذلك بل نجده يتحامل على كل من يكتب حقائق ما ارتكبه المغول بما فيهم بعض المستشرقين امثال دوسون مؤلف (كتاب تاريخ المغول) حيث قال عنه انه لايرى في تاريخ المغول سوى (لوحة من الوحشية) فقد حصر نفسه في تصوير الجوانب الرهيبة والسلبية من تاريخ المغول. [5] ان بارتولد يبالغ في تقيمه الانجازات المغولية في المنطقة نتيجة تحيزه الواضح خلال كتاباته وهذه ابرز الاخطاء التي وقع بها نتيجة لزياراته المتعددة لسكان هذه المناطق فضلا عن ردة فعله على كتابات المستشرقين الاوربين الذين هاجموا افعال الترك والمغول وقللوا كثيرا من دورهم الحضاري. [6]

---

(1) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، جـ5، ص109.

(2) الحوادث الجامعة، ص324.

(3) الندوي، رجال الفكر والدعوة الى الاسلام، ص270-282.

(4) تاريخ الحضارة الاسلامية، ترجمة حمزة طاهر، (ط3 دار المعارف، مصر، 1958)، ص123.

(5) تركستان، ص638-749.

(6) للمزيد من المعلومات عن تحيز بارتولد للمغول: انظر الزهاوي، عباس عبدالستار عبدالقادر، دراسات المستشرق ف. ف بارتولد عن المشرق الاسلامي، اطروحة دكتوراه غير منشورة (كلية الاداب- جامعة بغداد، 1423هـ/2003).

الخاتمة

كرس البحث لدراسة النظام الاداري والسياسي والعسكري للمغول (599/658هـ) وعلى الرغم من كثرة الكتابات التي تناولت المغول وغزواتهم للعالم الاسلامي والاطاحة بالخلافة العربية الاسلامية الا ان هذا لا يمنع من تناول المغول ودراستهم وخاصة في جانب مهم يبدو ان الكثير قد تغافلوه الا وهو محاولة رسم صورة واضحة المعالم عن المؤرخين العرب من خلال كتاباتهم عن المغول وهذا يعد بحد ذاته جهد لاباس به في نقد كتابات المؤرخين الذين كتبوا عن المغول.

وقد تمخض البحث بجملة استنتاجات اهمها:-

- ان المؤرخين الذين كتبوا عنهم انقسموا فريقين الاول وهو الاغلب تناولوا تاريخ المغول من جانب واحد الا وهو الجانب السلبي فصوروهم بابشع الصور وقد يكون ذلك بتاثير ما قاموا به من اعمال ضد الاسلام والمسلمين اما الفريق الثاني فكان بعض مؤرخي الكتب الفارسية والمستشرقين حيث سلطوا الضوء على الجانب الايجابي فبالغوا كل المبالغة في امتداح خاناتهم وتمجيد اعمالهم حتى مجازرهم التي ارتكبت اعطوا لها تبريرات.

وبين هؤلاء وهؤلاء لم نجد من المؤرخين من انصف تاريخ المغول وكتب الجانبين السلبي والايجابي بدون تأثير شخصي الا النزر القليل.

-على الرغم من ان اصطلاح التتار هو اقدم من اصطلاح المغول الذي لم يظهر على مسرح الاحداث الا بعد ظهور جنكيزخان الا ان هذا لا يمنع من كون ان التتار هم فرع من قبائل المغول وليس العكس كما هو سائد عند اغلب المؤرخين.

-على الرغم من كونهم وصفوا بالهمجية والشراسة الا انهم استطاعوا ان يستفادوا من حضارات الشعوب التي غزوها فكانوا في اغلب الاحيان يستثنون من مجازرهم اصحاب الحرف وارباب الصناعات وبعض العلماء فكان وزرائهم ومستشاريهم اغلبهم من هؤلاء.

- ان نصوص الياسا الجنكيز خانية فيها بعض الشئ يوافق الشريعة الاسلامية وهذا يعني انها متأثرة في بعض النواحي بالديانات السماوية فهي اذن فيها خطوة تطورية نحو الاديان الاخرى.

- ان ما اشتهر به جنكيزخان مؤسس الامبراطورية المغولية من العنف والقسوة لم يمنع بعض المؤرخين ممن لمسوا عنده بعض السجايا الكريمة من تسجيلها له.

-ناقشت الرسالة مسالة سقوط الخلافة ومن هو الاكثر مسؤولية عنها الخليفة ام الوزير ابن العلقمي فتبين ان كلاهما مسؤول عن ذلك من دون ترجيح احدهما على الاخر بالاضافة الى عوامل اخرى.

- ان اهم نتيجة خرجت بها الرسالة هي تحطيم الاسطورة القائلة ان المغول اقوام لا تهزم وقوة لا تقهر وان الفشل كلمة غير موجودة في قاموسها من خلال انتصار

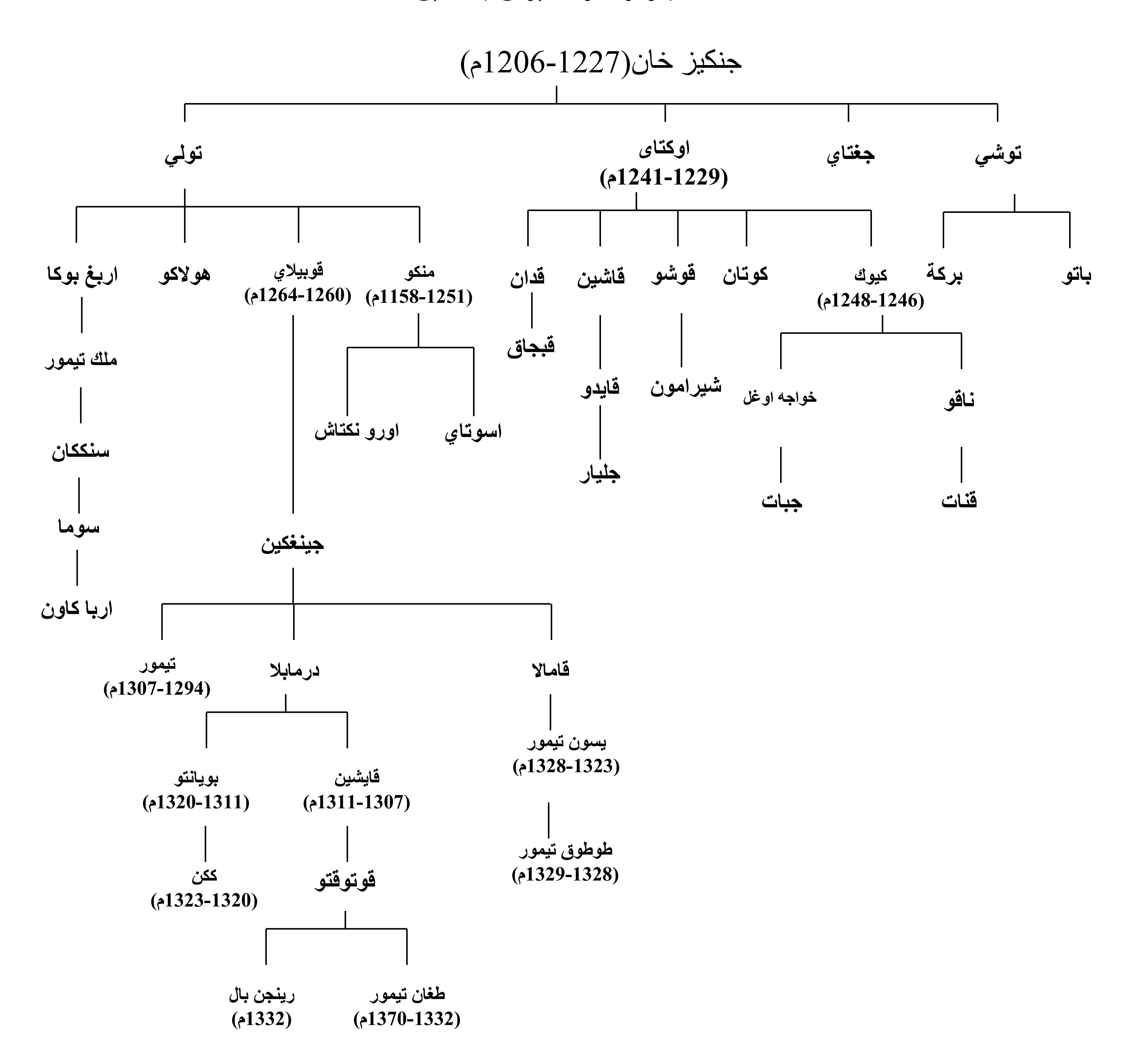
الدوايدار في بداية الامر والذي لم يستثمر وكذلك الانتصار الرائع الذي حققه المظفر قطز في معركة عين جالوت.

-وهناك امور نقدية متعددة خرجت بها الرسالة فيما يخص بعض المصطلحات والمفاهيم التي كانت سائدة عند المغول.

وفي ختام توصي الباحثة الى الاهتمام بالدراسات النقدية لما لها من اهمية في فهم واستيعاب التاريخ.

ملحق رقم (1)

شجرة نسب آل جنكيزخان
القآنات الكبار واسرة اليوان بالصين

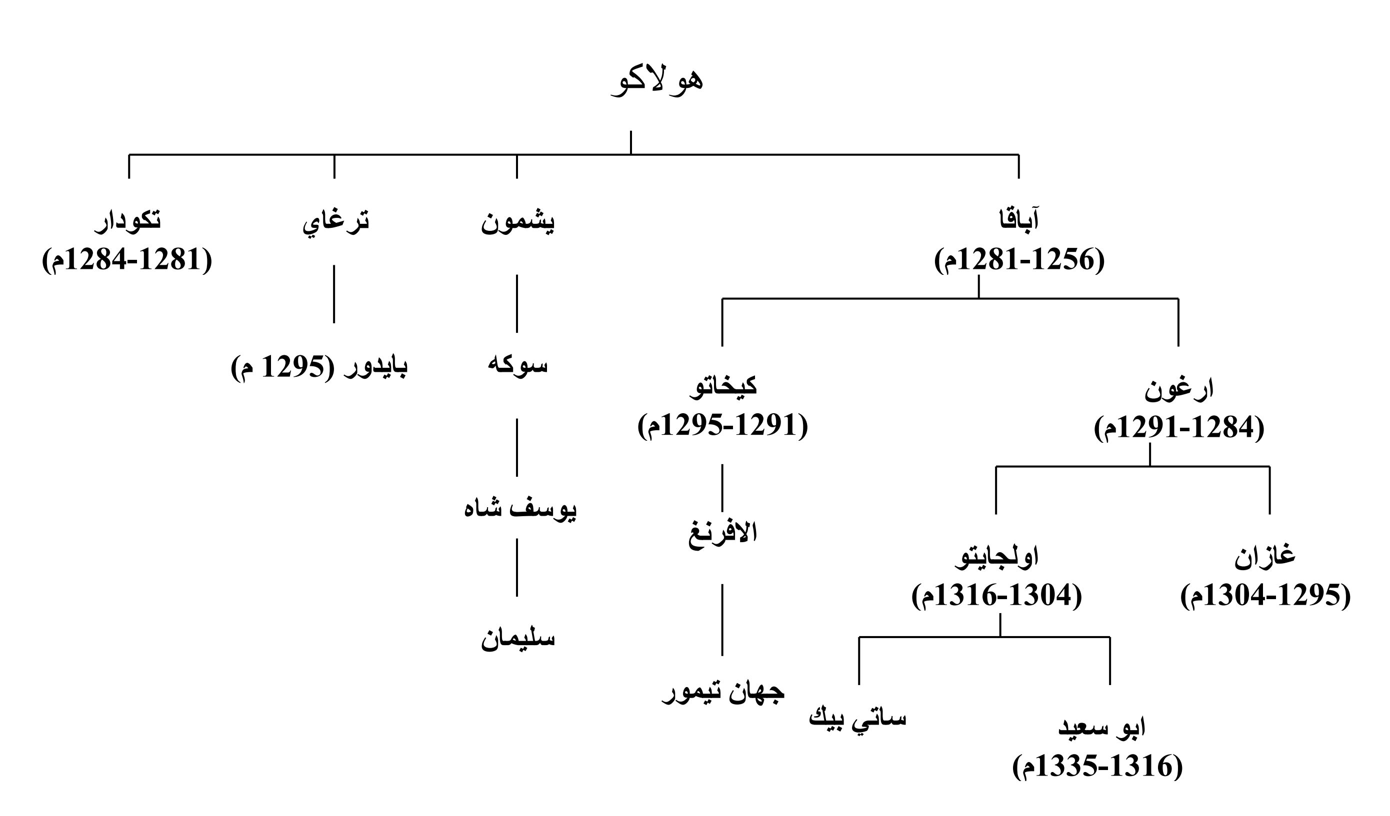


بارتولد، تركستان، ص715

ملحق رقم (2)

شجرة نسب آل جنكيزخان

ايلخانات الفرس



بارتولد، تركستان، ص717

ملحق رقم (3)

نص رسالة هولاكو الى الخليفة المستعصم بالله وهي مؤرخة في العاشر من رمضان سنة 655هـ/1257م.

((لقد ارسلنا اليك رسلنا وقت فتح قلاع الملاحدة وطلبنا مددا من الجند ولكنك اظهرت الطاعة ولم تبعث الجند وكانت اية الطاعة والاتحاد ان تمدنا بالجيش عند مسيرنا الى الطغاة فلم ترسل الينا والتمست العذر مهما تكن اسرتك عريقة وبيتك ذا مجد تليد ...

فان لمعان القمر قد يبلغ درجة
يخفي معها نور الشمس الساطعة

ولا بد انه قد بلغ سمعك لسان الخاص والعام ما حل بالعالم والعالمين على يد الجيش المغولي منذ عهد جنكيز خان الى اليوم والذل الذي حاق بأسر الخوارزمية والسلجوقية وملوك الديالمة والاتابكة وغيرهم ممن كانوا ذوي عظمة وشوكة وذلك بحول الله القديم الدائم ولم يكن باب بغداد مغلقا في وجه أي طائفة من تلك الطوائف واتخذوا منها قاعدة ملك لهم فكيف يغلق في وجهنا رغم مالنا من قدر وسلطان ؟ولقد نصحناك من قبل والان نقول لك : احذر الحقد والخصام ولا تضرب المخصف بقبضة يدك ولا تلطخ الشمس بالوحل فتتعب. ومع هذا فقد مضى ما مضى فاذا اطاع الخليفة فليهدم الحصون ويردم الخنادق ويسلم البلاد لابنه ويحضر لمقابلتنا واذا لم يرد الحضور فليرسل كلاً من الوزير وسليمان شاه والدويدار ليبلغوه رسالتنا دون زيادة او نقص فاذا استجاب لامرنا فلن يكون من واجبنا ان نكن له الحقد وسنبقى له على دولته وجيشه ورعيته اما اذا لم يصغي الى النصح واثر الخلاف والجدال فليعبىء الجند وليعين ساحة قتال فاننا متاهبون لمحاربته وواقفون له على استعداد وحينما اقود الجيش الى بغداد مندفعا بسورة الغضب فانك لو كنت مختفيا في السماء او في الارض ...

فسوف انزلك من الفلك الدوار
وسالقيك من عليائك الى اسفل كالاسد
ولن ادع حيا في مملكتك
وساجعل مدينتك وبلادك طعمة للنار

فاذا اردت ان تحفض راسك واسرتك فاستمع لنصحي بمسمع العقل والذكاء والا فسارى كيف تكون ارادة الله[1].

---

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ ، مج2، ج1، ص667-268

الملحق رقم (4)

رد الخلفة المستعصم بالله على رسالة هولاكو الاولى

((ايها الشاب الحدث... المتمني قصر العمر ومن ظن نفسه متغلبا على جميع العالم مغتراً بيومين من الاقبال متوهماً ان امره قضاء مبرم وامر محكم .لماذا تطلب مني شيئاً لن تجده عندي كيف يمكن ان تتحكم في النجوم وتقيده بالراي والجيش والسلاح الا ليعلم الامير انه من الشرق الى الغرب ومن الملوك الى الشحاذين ومن الشيوخ الى الشباب ممن يؤمنون بالله ويعلمون بالدين كلهم عبيد هذا البلاط وجنود لي انني حينما اشير بجمع الشتات وسابدا بحسم الامور في ايران ثم اتوجه منها الى بلاد توران واضع كل شخص في موضعه . وعندئذ سيصير وجه الارض جميعه مملوءاً بالقلق والاضطراب غير اني لا اريد الحقد والخصام ولا ان اشتري ضرر الناس وايذائهم كما انني لا ابغي من وراء تردد الجيوش ان تلهج السنة الرعية بالمدح او القدح خصوصاً وانني مع الخاقان وهولاكو قلب واحد ولسان واحد واذ كنت مثلي تزرع بذور المحبة فما شانك بخنادق رعيتي وحصونه فاسلك طريق الود وعد الى خرسان ، وان كنت ترد الحرب والقتال ...

فلا تتوان لحظه ولا تعتذر اذا استقر رايك على الحرب ان لي الوفا مؤلفة من الفرسان والرجال وهم متأهبون للقتال وانهم ليثيرون الغبار من ماء البحر وقت الحرب والطعان[1].

---

(1) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، مج2، ج1، ص269-270

ملحق رقم (5)

نص رسالة هولاكو الثانية الى الخليفة المستعصم بالله
في سنة 655 هـ / 1257 م

((ان الله الازلـي قد رفـع جنكيـز خـان ومنحنـا وجـه الارض كلـه مـن الشـرق الـى الغرب فكل من سار معنا واطاعنا واستقام قلبه ولسانه تبقى له امواله ونساؤه وابناؤه ومن يفكر في الخلاف والشقاق لا يستمتع بشئ من ذلك لقد فتنك حب الجاه والمال والعجب والغرور بالدولة الفانية بحيث انه لم يعد يؤثر فيك نصح الناصحين بالخير وان في اذنيك وقراً فلا تسمع نصح المشفقين ولقد انحرفت عن طريق ابائك واجدادك واذن فعليك ان تكون مستعداً للحرب والقتال فاني متوجه الى بغداد بجيش كالنمل والجراد ولو جرى سير الفلك على شاكلة اخرى فتلك هي مشيئة الله العظيم))[1].

---

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص271.

ملحق رقم (6)

رد الخليفة المستعصم بالله على رسالة هولاكو الثانية

لو غاب عن الملك فله ان يسال المطلعين على الاحوال اذ ان كل ملك حتى هذا العهد قصد اسرة بني العباس ودار السلام وبغداد كانت عاقبته وخيمة ومهما قصد ذوو السطوة من الملوك واصحاب الشوكة من السلاطين فان هذا البيت محكم للغاية وسيبقى الى يوم القيامة وفي الايام السالفة قصد يعقوب ابن الليث الصفار الخليفة وتوجه بجيش لجب الى بغداد فلم يبلغ مأربه اذ مات بعلة الزحار والامر كذلك مع اخيه عمرو اذ قبض عليه اسماعيل بن احمد الساماني وكبله وارسله الى بغداد لكي يجري عليه الخليفة ما حكم به القضاء وسجنه في الحديقة وفي بغداد جعل الخطبة والسكة مدة عامين باسم المستنصر الذي كان خليفة الاسماعيلية في مصر وفي النهاية علم طغرلبك بذلك فاسرع من خراسان وقصد البساسيري بجيش جرار وقبض عليه وقتله واخرج الخليفة من السجن واعاده الى بغداد واجلسه على عرش الخلافة وكذلك قصد السلطان محمد السلجوقي بغداد فعاد منهزماً وهلك في الطريق وجاء محمد خوارزم شاه بجيش عظيم قاصداً استئصال هذه الاسرة فابتلى في روابي ((اسد اباد)) بالثلج والعواصف بسبب غضب الله عليه وهلك اكثر جنده وعاد خائباً خاسراً ثم لاقى ما لاقى من جدك جنكيز خان في جزيرة ابكسون فليس من المصلحة ان يفكر الملك في قصد اسرة العباسيين فاحذر عين السوء من الزمان الغادر[1].

---

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص275-276.

ملحق رقم (7)

رد هولاكو للخليفة المستعصم بالله

اشتد غضب هولاكو بسبب كلام واعادة الرسل قائلاً شعراً

اذهب واصنع من الحديد المدن والاسوار
وارفع من الفولاذ الابراج والهياكل
واجمع جيشاً من المردة والشياطين
ثم تقدم نحوي للخصام والنزال
فسانزلك ولو كنت في السماء
وسادفع بك غصباً الى افواه السباع[1].

---

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ، مج2، جـ1، ص280.

قائمة المصادر

- القران الكريم

ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد(ت:630هـ/1232م)

-الكامل في التاريخ، (دار الفكر-بيروت-1398هـ/1978م).

ابن بطوطة، عبد الله محمد بن عبد الله بن ابراهيم اللواتي (ت:779هـ/1377م)

- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الانظار في غرائب الامصاروعجائب الاسفار، (دار التراث-بيروت-1388هـ/1968م).

ابن تغرى بردى، جمال الدين ابي المحاسن يوسف (ت:874 هـ /1469م)

– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (مطابع كوستا تسومانس- القاهرة – بلا –ت)

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت:808 هـ /1405 م)

– العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ط4 (دار الكتب العلمية – مؤسسة جمال للطباعة والنشر – بيروت – بلا : ت)

ابن خلكان، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت:681 هـ /1282م)

– وفيات الاعيان وانباء الزمان، تح محمد محي الدين عبدالحميد ط2 (دار السعادة – مصر – 1384 هـ / 1964)

ابن الساعي، ابي طالب علي بن انجب تاج الدين (ت:674 هـ /1275 م)

– الجامع المختصر، تح مصطفى جواد (المطبعة السريانية الكاثوليكية– بغداد – 1353 هـ /1934 م).

ابن شاكر الكتبي، ابو عبد الله (ت:764هـ/1312م)

-عيون التواريخ، تح فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم، (دار الحرية للطباعة والنشر-بغداد 1400هـ/1980م).

- فوات الوفيات والذيل عليها، تح احسان عباس، (دار صادر-بيروت-1973).

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا(ت:709هـ/1309م)

- الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، (دار صادر-بيروت-1403هـ/1983م).

ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي(ت:739هـ/1338م)

- مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تح علي محمد البجاوي، (دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت-1374هـ/1955م).

ابن العبري، غريغوريوس ابو الفرج بن هارون الملطي(ت:685هـ/1286م)

- تاريخ مختصر الدول، ط3، (دار الرائد اللبناني-بيروت-1403هـ/1983م).
ابن العماد الحنبلي، ابي الفلاح عبد الحي(ت:1089هـ/1678م)
- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بلا:ت).
ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم(ت:807هـ/1404م)
- تاريخ ابن الفرات، تح د.حسن محمد الشماع(دار الطباعة الحديثة-البصرة-1390هـ/1970م).
ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق البغدادي (ت:723هـ/1393م)
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تح مصطفى جواد(مطبعة الفرات-بغداد-1351هـ/1932م).
ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت:697هـ/1298م)
- مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تح مصطفى جواد (مطبعة الحكومة-بغداد-1390هـ/1970م).
ابن كثير، عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن عمر القرشي(ت:774هـ/1372م)
- البداية والنهاية، (دار الفكر-بيروت)
- البداية والنهاية، تح، احمد عبد الوهاب فتيح، ط6، (دار الحديث-القاهرة-1423هـ/2003م).
ابن يونة التطلي، بنيامين النباري الاندلسي (ت:569هـ/1173م)
- رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، (المطبعة الشرقية-بغداد-1945م).
ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم (ت:665هـ/1267م)
- تراجم رجال القرنين السادس السابع المعروف بالذيل على الروضتين، وضع حواشيه وعلق عليه ابراهيم شمس الدين، (دار الكتب العلمية-بيروت-1421هـ/2002م).
ابو الفدا، عمادالدين اسماعيل (ت:732 هـ /1332 م)
– تقويم البلدان، تح رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، (دار الطباعه السلطانية – باريس – 1256 هـ / 1840 م).
- المختصر في اخبار البشر، تح اديب عارف الزين (دار البحار – بيروت – 1381 هـ /1961 م).
الاربلي، محمد بن عبدالرحمن سنبط قنيتو (ت:717 هـ / 1317 م)
– خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تح مكي السيد جاسم، ط2 (مكتبة المثنى – بغداد)

البلاذري، الامام ابي الحسن احمد بن يحيى بن داود البغدادي (ت:279 هـ/893 م)
– فتوح البلدان، تح رضوان محمد رضوان (دار الكتب العلمية – بيروت – 1403 هـ / 1983 م)
الجوهري، اسماعيل بن حماد (ت:400هـ)
– الصحاح في اللغة والعلوم، اعداد وتصنيف نديم مرعشلي واسامة مرعشلي، (دار الحضارة العربية – بيروت – 1974)
الخفاجي، شهاب الدين احمد (ت:997 هـ /1569 م)
– شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تصحيح السيد محمد بدر النعساني، (مطبعة السعادة – القاهرة – 1325 م)
الدواداري، ابي بكر بن عبدالله بن ايبك (ت:735 هـ /1334 هـ)
– كنز الدرر وجامع الغرر، تح.سعيد عبدالفتاح عاشور (دار احياء الكتب العربية – القاهرة – 1972)
الديار البكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت:990 هـ /1582 م)
– تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس (مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع – بيروت – 1283 هـ)
الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت:748هـ /1347م)
- تاريخ الاسلام ووفيات مشاهير الاعلام، تح د. عمر عبدالسلام تدمري، ط2 (دار الكتاب العربي-بيروت-1999).
- دول الاسلام، ط2،(مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيدر اباد – الدكن – 1364 هـ).
- سير اعلام النبلاء، تح بشار عواد معروف ومحي هلال سرحان، ط4 (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – 1986)
- العبر في خبر من غبر، تح ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول (دار الكتب العلمية – بيروت)
الراوندي، محمد بن علي بن سليمان (ت:559 هـ /1202 م)
– راحة الصدور واية السرور، ترجمة ابراهيم امين الشواربي وآخرون (مطابع دار القلم – القاهرة – 1960)
سبط بن الجوزي، شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت:654هـ/1256م)
- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدراباد –الدكن – الهند – 1951)
السبكي، تاج الدين ابي نصر عبدالوهاب بن تقي الدين (ت:771 هـ /1370م)
– طبقات الشافعيه الكبرى، (المطبعة الحسينية – مصر– 1324هـ)
السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت:911 هـ /1505 م)
– تاريخ الخلفاء، تح محمد ابو الفضل ابراهيم و محمد محي الدين عبدالحميد (دار الفكر العربي – القاهرة)

الشهرستاني، ابي الفتح محمد بن عبدالكريم (ت:548 هـ /1153 م)
– الملل والنحل، تح احمد فهمي محمد، (مطبعة حجازي – القاهرة – 1368 هـ / 1948 م) مكتبة الحسين التجاريه
الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت:764 هـ /1362 م)
– الوافي بالوفيات، تح محمد بن محمد و محمد بن ابراهيم بن عبدالرحمن بأعتناء هلموت ريتر، ط2 (دار النشر فرانز شتايزبفيسبادن 1381 هـ /1962 م)
الغساني، ابو العباس اسماعيل بن العباس بن رسول (ت:803 هـ /1400 م)
– العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك تح شاكر محمود عبدالمنعم (دار البيان – بغداد – 1395 هـ / 1975 م)
الغياثي، عبدالله بن فتح الله البغدادي (كان حيا" في سنة 891 هـ /1486 م)
– التاريخ الغياثي، تح طارق نافع الحمداني، (مطبعة اسعد – بغداد – 1975 م)
الفيروز ابادي، مجدالدين محمد بن يعقوب (ت:817 هـ /1414 م)
– القاموس المحيط، اعداد وتقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، ط2 (دار احياء التراث العربي – بيروت – 1424 هـ / 2003 م)
القرماني، ابي العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي (ت:1019هـ /1610م)
– اخبار الدول واثار الأول في التاريخ، (عالم الكتب – بيروت) (مكتبة المتنبي – القاهرة – بلا : ت)
القزويني، زكريا محمد بن محمد (ت:682هـ/1283م)
- اثار البلاد واخبار العباد، (دار صادر للطباعة والنشر-بيروت-1380هـ/1960م).
القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (ت:821هـ/1418م)
- صبح الاعشى في صناعة الانشى، تح محمد حسين شمس الدين، (دار الكتب العلمية-بيروت-1407هـ/1987م).
مسلم، ابي العباس احمد بن عمر بن ابراهيم الانصاري المالكي القرطبي (ت:261هـ/875م)
- **صحيح مسلم، شرح النووي، اعتنى به محمد بن عبادي بن عبدالحليم، (مطابع دار البيان الحديثة – القاهرة – 1424 هـ / 2003 م) (مكتبة الصفا ميدان الازهر – القاهرة)،**

مغلطاي، علاء الدين بن قليج بن عبدالله البكجري الحنفي (ت:762 هـ/ 1360م)
– مختصر تاريخ الخلفاء، تح آسيا كليان علي بارح، (دار الكتب العلمية – بيروت – 1424 هـ / 2003 م).

المقريزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي (ت:845 هـ /1441 م)
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تح محمد مصطفى زيادة ط2 (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – 1956 م)
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية (دار صادر – بيروت)

النسوي، محمد بن احمد (ت:639 هـ / 1241 م)
– سيرة جلال الدين منكبرتي، تح حافظ احمد حمدي (دار الفكر مطبعة الاعتماد – القاهرة – 1953)

النووي، ابو زكريا يحيى بن شرف (ت:676 هـ / 1277 م)
– رياض الصالحين، تح د. ماهر ياسين الفحل، (شركة الخنساء للطباعة المحدودة – بغداد – 1426 هـ - 2006 م)

الهمذاني، رشيدالدين فضل الله (ت:718 هـ / 1318 م)
- جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ترجمة فؤاد عبدالمعطي الصياد، راجعه وقدم له د. يحيى الخشاب (دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – 1983)
- جامع التواريخ (الايلخانيون تاريخ هولاكو) ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون (مطبعة وزارة الثقافة والارشاد– القاهرة – 1960)

ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله الرومي (ت:626 هـ / 1228 م)
– معجم البلدان (دار الفكر – بيروت – بلا ت)

المصادر الفارسية

الجويني، علاءالدين عطا ملك (ت:681 هـ /1282 م)
– تاريخ جهانكشاي، تح محمد بن عبدالوهاب القزيني (ليدن – مطبعة يريل – 1355 هـ / 1937 م) .
خواند مير، غياث الدين محمد بن همام الدين (ت:942 هـ /1535 م)
– تاريخ حبيب السير في اخبار افراد البشر (كتاب خانه خيام – طهران – 1333 هـ / 1914م).
مير خواند، مير محمد بن سيد برهان الدين خواندشاه (ت:903 هـ / 1497 م)
– تاريخ روضة الصفا في سير الانبياء والملوك والخلفاء (جاب بيروز – طهران – 1339 هـ / 1920 م).

المـــراجــع الفـــارسيـــة

اقبال، عباس
– تـاريخ مفصـل ايـران مـن اسـتيلاء المغـول حتـى اعـلان المشـروطية (درجاب خانة سيهر – يافت – طهران – 1347 هـ / 1928 م)
جهانبكلو، امير حسين
– تاريخ اجتماعي دورة المغول، (اصفهان – 1336 هـ/ 1917م)

المراجـــع الحديثه

ابراهيم، ناجيه عبدالله

– ريف بغداد (دراسة تاريخية لتنظيماته الادارية واحوالة الاقتصادية، 575 – 656 هـ / 1179 – 1258 م)، (دار الشؤون الثقافية العامه – بغداد – 1988م)

احدث السنين في التقويميين الهجري والميلادي، اشرف جاسم جرجس ومحمد مظفر الادهمي (بغداد – 1409 هـ / 1988 م)

ارنولد، سير توماس . و .

– الدعوة الى الاسلام، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون ط3 (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – 1970م)

الامين، حسن

– الاسماعيليون والمغول ونصيرالدين الطوسي، (الغدير للطباعة والنشر والتوزيع – لبنان – 1417 هـ / 1997 م)

– جنكيزخان وهولاكو (الغزو المغولي للبلاد الاسلامية من بغداد الى عين جالوت)، ط2 (دار النهار للنشر – بيروت – 1983 م)

بارتولد، فازيلي فلادميروفتش

– تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة احمد السعيد سليمان، (مطبعة الانجلو المصرية – القاهرة – 1958 م)

– تاريخ الحضارة الاسلامية، ترجمة حمزه طاهر، ط3 (دار المعارف – مصر – 1958)

– تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، (الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب – 1401 هـ / 1981 م)

بدر، مصطفى طه

– محنة الاسلام الكبرى بين المسيحية والاسلام (دار الفكر العربي)

بروكلمان، كارل

– تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ط4 (دار العلم للملايين – بيروت – 1965)

الجميلي، رشيدالدين

– تاريخ الدولة العربية الاسلامية (عصور عباسية متأخرة) (مطبعة التعليم العالي – بغداد – 1989)

الجنابي، خالد جاسم

– تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الاموي، ط2 (دار الحرية للطباعة – بغداد – 1986)
جواد، مصطفى
– في التراث العربي، قدم له واخرجه ونصصه وفهرسه محمد جميل شلش وعبدالحميد العلوجي
حتى، فيليب وآخرون
– تاريخ العرب (مطول)، ط2 (دار الكشاف للنشر والتوزيع – بيروت – 1953)
حسن، حسن ابراهيم
– تاريخ الاسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) (مطبعة السنّة المحمدية – القاهرة – 1967)
حسين، محسن محمد
– اربيل في العهد الاتابكي (522 – 630 هـ / 1128 –1233 م) مطبعة اسعد – بغداد – 1976)

حميد، عبدالعزيز واخرون
– الفنون الزخرفية العربية الاسلامية (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – جامعة بغداد)
الخالدي، اسماعيل عبدالعزيز
- العالم الاسلامي والغزو المغولي، (مطابع دار القبس- الكويت- 1404هـ/1984م)
خصباك، جعفر حسين
– العراق في عهد المغول الايلخانيين (656 – 736 هـ / 1258 – 1335)، (مطبعة العاني – بغداد – 1968)
الخضري بك، الشيخ محمد
– تاريخ الامم الاسلامية، المكتبه التجاريه الكبرى – مصر 1970م)
ابو خليل، شوقي
– اطلس التاريخ العربي الاسلامي، ط12 (دار الفكر – سوريا)

دائـــرة المعـــــارف الاسلامية
- مادة بالش، تحرير بارتولد، ترجمة احمد الشناوي واخرون، (دار الفكر)
- مادة تتر، تحرير هوتسما واخرون ترجمة احمد الشناوي واخرون، (دار الفكر).
- مادة جنكيزخان، تحرير بارتولد، ترجمة احمد الشناوي واخرون، (دار الفكر).
دحلان، احمد زيني
– الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبويه (مطبعة مصطفى محمد – مصر).
الدهوكي، فرست مرعي
– جهاد الايوبين والمماليك ضد الصليبيين والمغول، ط2 (المنتدى الجامعي للطباعة والنشر والتوزيع – صنعاء 1424 هـ / 2003 م)
-محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية(مطبعة الالوان-صنعاء-1422هـ/2001م).
ديورانت، ول
– قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران (دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع – بيروت – 1324 هـ)
رفعت، محمد
– تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسيه (دار المعارف – مصر1959)
الرفيعي، عبدالامير
– العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية ط1 (دار الفرات للنشر والتوزيع – بيروت – 2002 م)
رؤوف، عماد عبدالسلام
– معركة عين جالوت (دار الحرية للطباعة – بغداد – 1986).
رنسيمان، ستيفن
– تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، (دار الثقافة – مطبعة النجوى – بيروت – 1389 هـ / 1969 م)
الزركلي، خيرالدين
– الاعلام، ط4 (دار العلم للملايين – بيروت – 1339 هـ/ 1979م)
الساداتي، احمد محمود
– تاريخ الدول الاسلامية بآسيا وحضاراتها، (مكتبة نهضة الشرق – القاهرة – 1987 م)

– تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضاراتهم، (المطبعة النموذجيه – مصر – 1378 هـ / 1959 م)
شبر، جاسم حسن
- تاريخ المشعشعين وتراجم اعلامهم (مطبعة الادب – النجف الاشرف – 1385 هـ / 1965 م)
شلبي، احمد
– موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، ط2 (مكتبة النهضة المصرية – 1982 م)
الصياد، فؤاد عبدالمعطي
– المغول في التاريخ، (دار النهضة للطباعة – بيروت – 1980 م)
– مؤرخ المغول الكبير (رشيدالدين فضل الله الهمذاني) ط1 (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – القاهرة – 1386 – 1967 م)
عاشور، سعيد عبدالفتاح
– مصر والشام في عصر الايوبين والمماليك، (دار النهضه العربية للطباعة والنشر – بيروت)
عاشور، فايد حماد
– العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكه الاولى، (دار المعارف – مصر – 1975 م)
العاني، نوري عبدالحميد
– العراق في العهد الجلائري (دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – 1986)
العبادي، احمد مختار
– تاريخ الايوبين والمماليك، (دار النهضة للطباعة والنشر – بيروت – 1995).
عبدالجبار، ناجي واخرون
– الدولة العربية في العصر العباسي (مطابع التعليم العالي – البصرة – 1989).
العبود، نافع توفيق
- دولة الخوارزمية (نشأتها وعلاقتها مع الدول الاسلامية ط1(مطبعة الجامعة –بغداد -1978).
العبيدي، صلاح حسين
- الفنون الزخرفية العربية الاسلامية، (مطبعة التعليم العالي – بغداد 1980).
العريني، السيد الباز

- المغول، (دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت 1967).
العزاوي، عباس
-تاريخ العراق بين احتلالين، (مطبعة بغداد – بغداد -1353هـ /1935م).
- تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، (شركة التجارة والطباعة /بغداد 1377هـ/1958م).
- التعريف بالمؤرخين في عهد المغول التركمان، (شركة التجارة والطباعة – بغداد – 1957م).
عماره، محمد
- معارك العرب ضد الغزاة، (دار الحرية – بيروت1972).

العمري، ياسين بن خير الله
- الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، تح رجاء محمود السامرائي، (دار العربية للموسوعات – بيروت –1987).
- زبدة الاثار الجلية في الحوادث الارضية، تح عماد عبد السلام رؤوف، (مطبعة الاداب – النجف الاشرف -1974)
العودة، سليمان بن حمد
- كيف دخل التتر بلاد المسلمين (الادوار الخفية في سقوط الخلافة العباسية، ط3(دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض1422هـ/2001م)
الغامدي، سعد بن محمد حذيفة مسفر
- سقوط الخلافة العباسية، ط2(الرياض 1403هـ/1983)
فامبري، ارمينوس
- تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة احمد محمود الساداتي، (دار الكتب – مكتبة نهضة الشرق – القاهرة – 1987)
الفقي، عصام عبد الرؤوف
- بلاد الجزيرة في اواخر العصر العباسي، (دار الفكر العربي – مؤسسة دار الكتاب الحديث – الكويت)
فوزي، فاروق عمر
- تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الاسلامية، (الدار العربية للطباعة – بغداد – 1988)
- العراق والتحدي الفارسي، (الشؤون الثقافية العامة -1987)

فوزي، فاروق عمر ومرتضى حسن النقيب
- تاريخ ايران (دراسة في التاريخ السياسي ببلاد فارس خلال العصور الاسلامية الوسيطة، (مطبعة – التعليم العالي بغداد -1989)
القزاز، محمد صالح داود
-الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير (512-656هـ/1118-1258م)، (ومطبعة القضاء – النجف الاشرف-1390هـ/1970م)
- الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية (مطبعة القضاء-النجف الاشرف-1390هـ/1970م)
لامب، هارولد
– جنكيز خان(امبراطور الناس كلهم) ترجمة اللواء بهاء الدين نوري، (مطبعة السكك الحديدية –بغداد -1946).

- شعلة الاسلام ((قصة الحروب الصليبية)) ترجمة محمود عبد الله يعقوب (مطبعة الارشاد بغداد -1967)بالتعاون مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – بغداد)

لويس، برنارد
- اصول الاسماعيلية، ترجمة خليل احمد جلو وجاسم محمد رجب، (دار الكتاب العربي – مصر – 1947)

لين بول، ستانلي
- الدول الاسلامية، ترجمة محمد صبحي فرزات، (مطبعة الفلاح – دمشق -1354هـ/1974م)

مرتضى افندي، نظمي زادة
- كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، (مطبعة الاداب النجف الاشرف -1971)
مصطفى، احمد عبد الرحيم
- في اصول التاريخ العثماني، (دار الشروق – بيروت – 1402هـ/1982م)
الموسوعة العربية الميسرة .(دار النهضة للطبع والنشر – لبنان 1987)

النبراوي، فتحية
- العلاقات السياسية والاسلامية وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى (1000-1300 م)، (دار التضامن للطباعة – القاهرة – 1402هـ/1982م)
النبراوي، فتحية ومحمد نصر مهنا
- قضايا العالم الاسلامي ومشكلاته السياسية بين الماضي والحاضر، ط1(مطبعة اطلس – القاهرة -1403هـ/1983 م)
الندوى، على ابو الحسن بن عبد الحي –
- رجال الدعوة في الاسلام، ط3، (دار ابن كثير- دمشق- 1420هـ/1999م)
الورد، باقر امين
- حوادث بغداد في 12قرن، (الدار العربية – بغداد – 1989)

وليام، دي ويت، صمويل نسنسون واخرون
- احداث شهيرة من التاريخ، ترجمة اسماعيل مظهر وجلال مظهر، (مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – القاهرة- نيويورك- 1969م)
ياسين، باقر
- تاريخ العنف الدموي في العراق، ط1، (دار الكنوز الادبية- بيروت- 1999م).

الاطاريح الجامعية

الجنابي، عجمي محمود

- المقاومة العربية للغزو المغولي حتى عين جالوت، اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة بغداد-1990).

حيدر، عبد الرحمن فرطوس

- الايلخان هولاكو ودوره في نشأة وقيام الدول الايلخانية، اطروحة دكتوراه غير منشورة (كلية الاداب- جامعة بغداد- 1424هـ/ 2003م).

الزهاوي، عباس عبد الستار عبد القادر

- دراسات المستشرق ف.ف بارتولد عن المشرق الاسلامي، اطروحة دكتوراه غير منشورة (كلية الاداب-جامعة بغداد- 1423هـ/ 2003م)